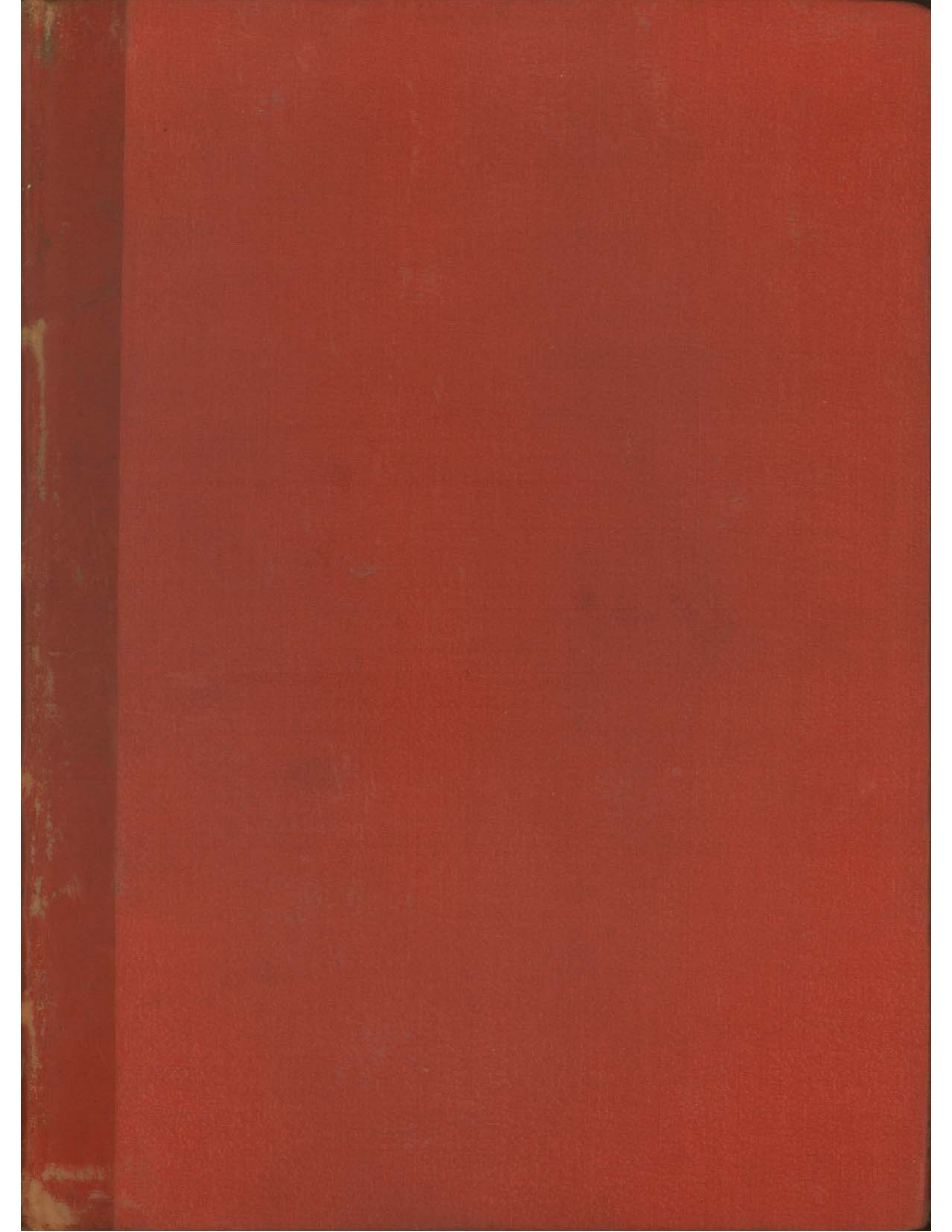
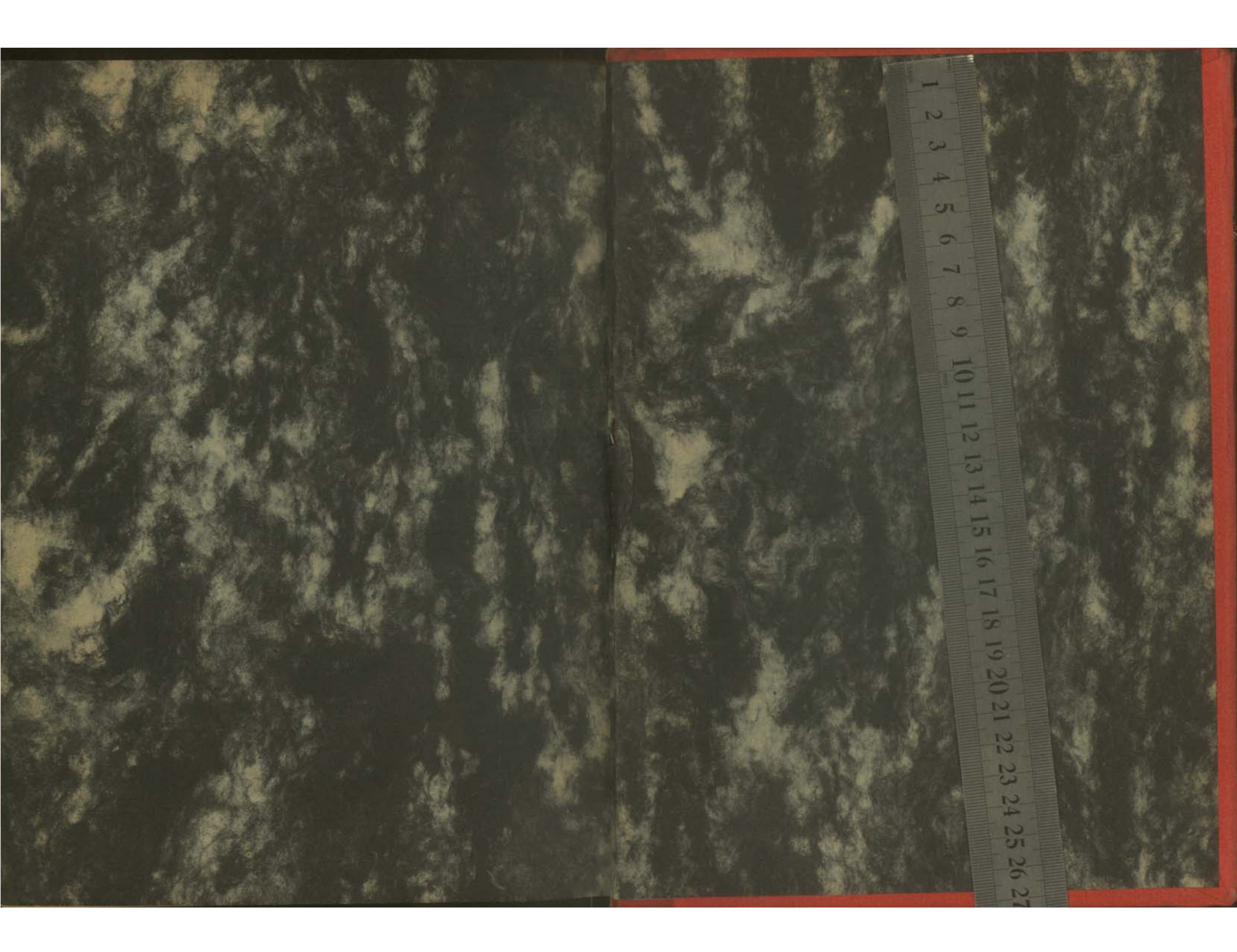








تفسير أبي السعود

المسمى

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

لخاتمة المحققين وامام المدققين قاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادي

ولد رحمه الله تعالى سنة ٨٩٦ هجرية وتوفي سنة ٩٥١



الجزء الخامس

صححت هذه الطبعة بمعرفة بعض أفاضل العلماء وقوبلت على عدة نسخ وقرئت في المرة الأخيرة على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

الشيخ حسن محمد المسعودي

المدرس بالقسم العالي بالأزهر

الملتزم

محمد محمد عبد اللطيف

صاحب المكتبة الحسينية المصرية

بالأزهر الشريف بمصر

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٧ هجرية — سنة ١٩٢٨ ميلادية

المطبعة المصرية

ادارة محمد مجيد عبد اللطيف

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمن

﴿مكية وآيها خمس أو ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ باما لة الالف و باخراجها بين بين و بفتح الميم لالتقاء الساكنين أو نصبها باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث أو للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه و فى قوله تعالى ﴿تنزيل الكتاب﴾ كالذى سلف فى الم السجدة وقوله تعالى ﴿من الله العزيز العليم﴾ كما فى مطلع سورة الزمر فى الوجوه كلها و وجه التعرض لنعتى العزة والعلم ما ذكر هناك ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول﴾ اما صفات أخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ماهو المقصود والاضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أو ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق و فى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها و رجحانها ﴿لااله الا هو﴾ فيجب الاقبال الكلى على طاعته فى أوامره ونواهيه ﴿اليه المصير﴾ فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازى كلا من المطيع والعاصى ﴿مايجادل فى آيات الله﴾ أى بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴿الا الذين كفروا﴾ بها وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها وأما الجدال فيها لحل مشكلاتها و كشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق فى مضايق الافهام ومزالق الأقدام وابطال شبه أهل الزيغ والضلال فمن أعظم الطاعات و لذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء فى قوله تعالى ﴿فلا يغررك تقلبهم فى البلاد﴾ لترتيب النهى أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذى لا شئ أمقت منه عند الله تعالى و لا أجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا و زخارفها فانهم مأخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم﴾ أى الذين تحزبوا على الرسل و ناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم ﴿وهمت كل أمة﴾ من تلك الامم العاتية ﴿برسولهم﴾ وقرئ برسولها ﴿ليأخذوه﴾ ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الاخذ بمعنى الاسر ﴿وجادلوا بالباطل﴾ الذى لا أصل ولا حقيقة له أصلا ﴿ليدحضوا به الحق﴾ الذى لامحيد عنه كما فعل هؤلاء ﴿فأخذتهم﴾ بسبب ذلك أخذ عزيز مقتدر ﴿فكيف كان عقاب﴾ الذى عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء أيضا لاتحادهم فى الطريقة

واشتراكهم فى الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ أى كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب أيضا ﴿على الذين كفروا﴾ أى كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلاة والسلام فان ذلك للاشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التى من جملتها نصرته عليه الصلاة والسلام وتعذيب أعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى ﴿أنهم أصحاب النار﴾ فى حيز النصب بحذف لام التعليل أى لانهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التى هى عذاب النار وملازموها أبدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه الصلاة والسلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقا وأحق استيجابا وقيل هو فى محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أى كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار فى الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعت لمصدر محذوف ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذى العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن أشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء مايسعدهم فى الدارين أى ينزهونه تعالى عن كل مالا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التى لاتتناهى ﴿ويؤمنون به﴾ ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف أهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ فان المشاركة فى الايمان أقوى المناسبات وأتمها وأدعى الدواعى الى النصح والشفقة وفى نظم استغفارهم لهم فى سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى فى موقع القبول. روى أن حملة العرش أرجلهم فى الارض السفلى و رؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفى الحديث ان الله أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا أيمانهم على الشمائل مامنهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ﴿ربنا﴾ على ارادة القول أى يقولون ربنا على أنه اما بيان لاستغفارهم أو حال ﴿وسعت كل شئ رحمة وعلما﴾ أى وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن أصله للاغراق فى وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات هنا والفاء فى قوله تعالى ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ أى للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ماقبلها من سعة الرحمة والعلم ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ﴿ربنا وأدخلهم﴾ عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة فى الجؤار ﴿جنات عدن التى وعدتهم﴾

أى وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ أى صلاحا مصححا لدخول الجنة فى الجملة وان كان دون صلاح أصولهم وهو عطف على الضمير الأول أى وأدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم و يتضاعف ابتهاجهم أو على الثانى لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذلا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألحقنابهم ذريتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبى أين ولدى أين زوجى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لايستدعى حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لأن الدعاء بالادخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد ﴿انك أنت العزيز﴾ أى الغالب الذى لايمتنع عليه مقدور ﴿الحكيم﴾ أى الذى لايفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها ﴿وقهم السيئات﴾ أى العقوبات لان جزاء السيئة سيئة مثلها أو جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أومخصوص بالأتباع أو المعاصى فى الدنيا فمعنى قوله تعالى ﴿ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته﴾ ومن تقه المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ماسألوا المسبب ﴿وذلك﴾ اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته أو اليها والى الوقاية ومافيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذى لامطمع وراءه لطامع ﴿ان الذين كفروا﴾ شروع فى بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد مابين فيما سبق أنهم أصحاب النار ﴿ينادون﴾ أى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضا أى أبغضوها أشد البغض وأنكروها أبلغ الانكار وأظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أى لمقت الله أنفسكم الامارة بالسوء أومقته اياكم فى الدنيا ﴿اذ تدعون﴾ من جهة الانبياء ﴿الى الايمان﴾ فتأبون قبوله ﴿فتكفرون﴾ اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها أو اقتداء بأخلائكم المضلين واستحبابا لآرائهم أكبر من مقتكم أنفسكم الامارة أو من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذا ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر أى مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين فى الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بأنفسهم أضرابهم مما لاداعى اليه ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ صفتان لمصدرى الفعلين المذكورين أى اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين على أنهما مصدران لهما أيضا بحذف الزوائد أو لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحياة حتما كأنه قيل أمتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال

وعضة دهر ياابن مروان لم تدع من المال الا مسحت أومجلف

أى لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ قيل أرادوا بالاماتة الاولى خلقهم أمواتا و بالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على أن الاماتة جعل الشئ عادم الحياة أعم من أن يكون بانشائه كذلك كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض و كبر الفيل أو بجعله كذلك بعد الحياة و بالاحياءين الاحياء الأول واحياء البعث وقيل أرادوا بالاماتة الاولى مابعد حياة الدنيا و بالثانية مابعد حياة القبر و بالاحياءين مافى القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم وأما حديث لزوم الزيادة على

النص ضرورة تحقق حياة الدنيا فمدفوع لكن لابما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما ينطق به قولهم ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ماعلقوا به أطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذى أرادوه بقولهم ﴿فهل الى خروج من سبيل﴾ مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لأنهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب فى أن الذى كان ينكرونه و يفرعون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء بعد الموت وأما الاحياء الأول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه فى سلك مااعترفوا به وزعموا أن الاعتراف يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الأولى مع كونهم معترفين بها فى الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة فى القبر فان مقصدهم الاصلى هو الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام أى من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى ﴿ذلكم﴾ الخ جواب لهم باستحالة حصول مايرجونه ببيان مايوجبها من أعمالهم السيئة أى ذلكم الذى أنتم فيه من العذاب مطلقا لامقيدا بالخلود كما قيل ﴿بأنه﴾ أى بسبب أن الشأن ﴿اذا دعى الله﴾ فى الدنيا أى عبد ﴿وحده﴾ أى منفردا ﴿كفرتم﴾ أى بتوحيده ﴿وان يشرك به تؤمنوا﴾ أى بالاشراك به وتسارعوا فيه وفى ايراد اذا وصيغة الماضى فى الشرطية الأولى وان وصيغة المضارع فى الثانية مالا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك ﴿فالحكم لله﴾ الذى لايحكم الا بالحق ولا يقضى الا بما تقتضيه الحكمة ﴿العلى الكبير﴾ الذى ليس كمثله شئ فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله يفعل مايشاء ويحكم مايريد لامعقب لحكمه وقد حكم بأنه لامغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لانهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج أبدا ﴿هو الذى يريكم آياته﴾ الدالة على شئونه العظيمة الموجبة لتفرده بالألوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة ﴿وينزل﴾ بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال ﴿لكم من السماء رزقا﴾ أى سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة ﴿وما يتذكر﴾ بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها ﴿الا من ينيب﴾ الى الله تعالى و يتفكر فيما أودعه فى تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ أى اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ﴿ولو كره الكافرون﴾ ذلك وغاظهم اخلاصكم ﴿رفيع الدرجات﴾ نحو بديع السموات على أنه صفة مشبهة أضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد فى الاستعمال أى رفيع درجات ملائكته أى معارجهم ومصاعدهم الى العرش ﴿ذو العرش﴾ أى مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو أخبر عنه بهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى بكون علو شأنه وعظم سلطانه فى غاية لاغاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى ﴿يلقى الروح من أمره﴾ فانه خبر آخر لما ذكر

منبئ عن انزال الرزق الروحانى الذى هو الوحى بعد بيان انزال الرزق الجسمانى الذى هو المطر أى ينزل الوحى الجارى
من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من أمره بيان للروح الذى أريد به الوحى فانه أمر بالخير أو حال منه
أى حال كونه ناشئا ومبتدأ من أمره أو صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أى الروح الكائن
من أمره أو متعلق بيلقى ومن للسببية كالباء مثل ما فى قوله تعالى مما خطيئاتهم أى يلقى الوحى بسبب أمره ﴿على من
يشاء من عباده﴾ وهو الذى اصطفاه لرسالته وتبليغ أحكامه اليهم ﴿لينذر﴾ أى الله تعالى أو الملقى عليه أو الروح
وقرئ لتنذر على أن الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام أو الروح لانها قد تؤنث ﴿يوم التلاق﴾ اما ظرف
للمفعول الثانى أى لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجسام وأهل
السموات والارض أو هو المفعول الثانى اتساعا أو أصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار أصالة وقرئ
لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم ﴿يوم هم بارزون﴾ بدل من يوم التلاق أى خارجون من قبورهم أو ظاهرون
لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما
جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشى الابدان أو أعمالهم وسرائرهم ﴿لا
يخفى على الله منهم شئ﴾ استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون فى الدنيا من الاستتار توهما
باطلا أو خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون أى لا يخفى عليه تعالى شئ ما من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم الجلية
والخفية السابقة واللاحقة ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب
بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة أو مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم
وظهور أحوالهم كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ أى ينادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد
القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روى أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد فى أرض بيضاء كأنها
سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل حكاية لما ينطق
به لسان الحال من تقطع أسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الأفاعيل بقبضة القدرة الالهية ﴿اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت﴾ الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التى هى الحكم السوى
والقضاء الحق أو حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب أى تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة
بما كسبت من خير أو شر ﴿لا ظلم اليوم﴾ بنقص ثواب أو زيادة عذاب ﴿ان الله سريع الحساب﴾ أى سريع
حسابه تماما اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة فى أقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضى الله
عنهما أنه تعالى اذا أخذ فى حسابهم لم يقل أهل الجنة الا فيها ولا أهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم
تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه أو سريع مجيئا
فيكون تعليلا للانذار ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ أى القيامة سميت بها لازوفها وهو القرب غير أن فيه اشعارا
بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهى مشارفة أهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما فى قوله تعالى فلولا
اذا بلغت الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقى وقوله تعالى ﴿اذ القلوب لدى الحناجر﴾ بدل من يوم الآزفة فانها
ترتفع من أماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت ﴿كاظمين﴾ على الغم
حال من أصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم أو من ضميرها فى الظرف وجمع السلامة باعتبار أن الكظم
من أحوال العقلاء كقوله تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم على أنها حال مقدرة أى أنذرهم

مقدرا كظمهم أو مشارفين الكظم ﴿ما للظالمين من حميم﴾ أى قريب مشفق ﴿ولا شفيع يطاع﴾ أى لا شفيع
مشفع على معنى نفى الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى
الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به ﴿يعلم خائنة الأعين﴾
النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه أو خيانة الأعين على أنها مصدر كالعافية ﴿وما تخفى
الصدور﴾ من الضمائر والأسرار والجملة خبر آخر مثل يلقى الروح للدلالة على أنه ما من خفى الا وهو متعلق العلم
والجزاء ﴿والله يقضى بالحق﴾ لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا وهو حق وعدل ﴿والذين يدعون﴾
يعبدونهم ﴿من دونه﴾ تعالى ﴿لا يقضون بشئ﴾ تهكم بهم لان الجماد لا يقال فى حقه يقضى أو لا يقضى وقرئ
تدعون على الخطاب التفاتا أو على اضمار قل ﴿ان الله هو السميع البصير﴾ تقرير لعلمه تعالى بخائنة الأعين وقضائه
بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾ أى مآل حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم ﴿كانوا
هم أشد منهم قوة﴾ قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جئ بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة
أفعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرئ أشد منكم بالكاف ﴿وآثارا فى الأرض﴾ مثل القلاع الحصينة
والمدائن المتينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أخذا وبيلا ﴿وما
كان لهم من الله من واق﴾ أى من واق يقيهم عذاب الله ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من الأخذ ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم
﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أى بالمعجزات أو بالأحكام الظاهرة ﴿فكفروا فأخذهم الله انه قوى﴾ متمكن مما
يريد غاية التمكن ﴿شديد العقاب﴾ لا يؤبه عند عقابه بعقاب ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ وهى معجزاته ﴿وسلطان
مبين﴾ أى وحجة قاهرة وهى اما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا أفردت بالذكر مع
اندراجها تحت الآيات لانافتها افراد جبريل وميكال بالذكر مع دخولهما فى الملائكة عليهم السلام ﴿الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب﴾ أى فيما أظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾ وهو
ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾ كما قال فرعون سنقتل أبناءهم
ونستحيى نساءهم أى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه الصلاة والسلام
وأحس بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم أنه المولود الذى حكم
المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده ﴿وما كيد الكافرين الا فى ضلال﴾ أى فى ضياع وبطلان لا يغنى عنهم شيأ
وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة
الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جئ به فى تضاعيف ما حكى عنهم من الاباطيل للمسارعة
الى بيان بطلان ما أظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة ﴿وقال فرعون ذرونى أقتل موسى﴾ كان ملؤه
اذا هم بقتله عليه الصلاة والسلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذى تخافه فانه أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة
وبقولهم اذا قتلته أدخلت على الناس شبهة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف
والظاهر من دهاء اللعين ونكارته أنه كان قد استيقن أنه نبى وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف
ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما أنهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان
الذى يكفه الا ما فى نفسه من الفزع الهائل وقوله ﴿وليدع ربه﴾ تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه

أخوف مايخافه ﴿انى أخاف﴾ ان لم أقتله ﴿أن يبدل دينكم﴾ أن يغير ما أنتم عليه من الدين الذى هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه ﴿أوأن يظهر فى الأرض الفساد﴾ ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أى تتابع وتعاون ﴿وقال موسى﴾ أى لقومه حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله عليه الصلاة والسلام ﴿انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ صدر عليه الصلاة والسلام كلامه بان تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لأنهما الذى يستدعيه وأضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته فى العياذ به تعالى والتوكل عليه فان فى تظاهر النفوس تأثيرا قويا فى استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرئ عدت بالادغام ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا أو غريبا موحدا ﴿يكتم ايمانه﴾ أى من فرعون وملئه ﴿أتقتلون رجلا﴾ أتقصدون قتله ﴿أن يقول﴾ لأن يقول أو كراهة أن يقول ﴿ربى الله﴾ أى وحده من غير روية وتأمل فى أمره ﴿وقد جاءكم بالبينات﴾ والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التى شاهدتموها وعهدتموها ﴿من ربكم﴾ أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال ﴿فان يك كاذبا فعليه كذبه﴾ لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله ﴿وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ أى ان لم يصبكم كله فلا أقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقى الترديد كونه كاذبا أو يصبكم مايعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لما أن مراده بالبعض نفسه ﴿ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب﴾ احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما أيده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله أراهم المعنى الثانى وهو عاكف على المعنى الأول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ غالبين عالين على بنى اسرائيل ﴿فى الأرض﴾ أى أرض مصر لا يقاومكم أحد فى هذا الوقت ﴿فمن ينصرنا من باس الله﴾ من أخذه وعذابه ﴿ان جاءنا﴾ أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور فى الأرض اليهم خاصة ونظم نفسه فى سلكهم فيما يسوؤهم من مجىء بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بأنه مناصح لهم ساع فى تحصيل مايجديهم ودفع ما يرديهم سعيه فى حق نفسه ليتأثروا بنصحه ﴿قال فرعون﴾ بعد ماسمع نصحه ﴿ما أريكم﴾ أى ما أشير عليكم ﴿الا ما أرى﴾ واستصوبه من قتله ﴿وما أهديكم﴾ بهذا الرأى ﴿الا سبيل الرشاد﴾ أى الصواب أو لا أعلمكم الا ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار أحدا أبدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لأنه مقصور على السماع أو للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل ﴿وقال الذى آمن﴾ مخاطبا لقومه ﴿ياقوم انى أخاف

عليكم﴾ فى تكذيبه والتعرض له بالسوء ﴿مثل يوم الأحزاب﴾ مثل أيام الأمم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم ﴿مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود﴾ أى مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل ﴿والذين من بعدهم﴾ كقوم لوط ﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما أن المنفى فيه ارادة ظلم ما فينتفى الظلم بطريق الأولوية ﴿ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد﴾ خوفهم بالعذاب الأخروى بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوى ويوم التناد يوم القيامة لأنه ينادى فيه بعضهم للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار حسبما حكى فى سورة الأعراف وقرئ بتشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب ﴿يوم تولون مدبرين﴾ بدل من يوم التناد أى منصرفين عن الموقف الى النار أو فارين منها حسبما نقل آنفا ﴿مالكم من الله من عاصم﴾ يعصمكم من عذابه والجملة حال أخرى من ضمير تولون ﴿ومن يضلل الله فماله من هاد﴾ يهديه الى طريق النجاة ﴿ولقد جاءكم يوسف﴾ هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء الى الأولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم ابن يوسف الصديق ﴿من قبل﴾ من قبل موسى ﴿بالبينات﴾ بالمعجزات الواضحة ﴿فما زلتم فى شك مما جاءكم به﴾ من الدين ﴿حتى اذا هلك﴾ بالموت ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الاضلال الفظيع ﴿يضل الله من هو مسرف﴾ فى عصيانه ﴿مرتاب﴾ فى دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد ﴿الذين يجادلون فى آيات الله﴾ بدل من الموصول الاول أو بيان له أو صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين ﴿بغير سلطان﴾ متعلق بيجادلون أى بغير حجة صالحة للتمسك بها فى الجملة ﴿أتاهم﴾ صفة سلطان ﴿كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا﴾ فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفى كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ فيصدر عنه أمثال ماذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما ﴿وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا﴾ أى بناء مكشوفا عاليا من صرح الشىء اذا ظهر ﴿لعلى أبلغ الاسباب﴾ أى الطرق ﴿أسباب السموات﴾ بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها ﴿فأطلع الى اله موسى﴾ بالنصب على جواب الترجى وقرئ بالرفع عطفا على أبلغ ولعله أراد أن يبنى له رصدا فى موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب التى هى أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها مايدل على ارسال الله تعالى اياه أو أن يرى فساد قوله عليه الصلاة والسلام بأن اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وماذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه ﴿وانى لأظنه كاذبا﴾ فيما يدعيه من الرسالة ﴿وكذلك﴾ أى ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط ﴿زين لفرعون سوء عمله﴾ فانهمك فيه انهماكا لا يرعوى عنه بحال ﴿وصد عن السبيل﴾ أى سبيل الرشاد والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات

ويؤيده قوله تعالى ﴿وما كيد فرعون الا فى تباب﴾ أى خسار وهلاك أو على أنه من صد صدودا أى أعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على أنه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا أى هو وقومه ﴿وقال الذى آمن﴾ أى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام ﴿ياقوم اتبعونى﴾ فيمادللتكم عليه ﴿أهدكم سبيل الرشاد﴾ أى سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بأن مايسلكه فرعون وقومه سبيل الغى والضلال ﴿ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع﴾ أى تمتع يسير لسرعة زوالها أجمل لهم أو لا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها رأس كل شر ومنه تتشعب فنون مايؤدى الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال ﴿وان الآخرة هى دار القرار﴾ لخلودها ودوام مافيها ﴿من عمل﴾ فى الدنيا ﴿سيئة فلا يجزى﴾ فى الآخرة ﴿الا مثلها﴾ عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بأمثالها ﴿ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك﴾ الذين عملوا ذلك ﴿يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ أى بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا من الله عزوجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بأنه لاعبرة بالعمل بدونه وأن ثوابه أعلى من ذلك ﴿وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار﴾ كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على مايقابلون به نصحه ومدار التعجب الذى يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كأنه قيل أخبرونى كيف هذه الحال أدعوكم الى الخير وتدعوننى الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل مالى أراك حزينا أى مالك تكون حزينا وقوله تعالى ﴿تدعوننى لأكفر بالله﴾ بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام ﴿وأشرك به ماليس لى به﴾ بشركته له تعالى فى المعبودية وقيل بربوبيته ﴿علم﴾ والمراد نفى المعلوم والاشعار بأن الالوهية لابدلها من برهان موجب للعلم بها ﴿وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار﴾ الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران ﴿لا جرم﴾ لارد لمادعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى ﴿أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة﴾ أى حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها أصلا أو عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا من لابد فعل من التبديد أى التفريق والمعنى لاقطع لبطلان ألوهية الاصنام أى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لاجرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد ﴿وأن مردنا الى الله﴾ أى بالموت عطف على أن ما تدعوننى داخل فى حكمه وكذا قوله تعالى ﴿وأن المسرفين﴾ أى فى الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء ﴿هم أصحاب النار﴾ أى ملازموها ﴿فستذكرون﴾ وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ﴿ما أقول لكم﴾ من النصائح ﴿وأفوض أمرى الى الله﴾ قاله لما أنهم كانوا توعدوه ﴿ان الله بصير بالعباد﴾ فيحرس من يلوذ به من المكاره ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام ﴿وحاق بآل فرعون﴾ أى بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما أنه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم ﴿سوء العذاب﴾ الغرق والقتل والنار ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب أو النار

خبر مبتدا محذوف كأن قائلا قال ماسوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان أو بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها أو من الآل ولا يشترط فى الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد أن آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى فى ذلك أن يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص أو باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه أن أرواحهم فى أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين اما للتخصيص وأما فيما بينهما فالله تعالى أعلم بحالهم واما للتأبيد هذا ما دامت الدنيا ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يقال للملائكة ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ أى عذاب جهنم فانه أشد مما كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم فان عذابها ألوان بعضها أشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب ﴿واذ يتحاجون فى النار﴾ أى واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها ﴿فيقول الضعفاء﴾ منهم ﴿للذين استكبروا﴾ وهم رؤساؤهم ﴿انا كنا لكم تبعا﴾ أتباعا كخدم فى جمع خادم أو ذوى تبع أى اتباع على اضمار المضاف أو تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار﴾ بالدفع أو بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون أى دافعون عنا نصيبا الخ أو بمغنون على تضمينه معنى الحمل أى مغنون عنا حاملين نصيبا الخ أو نصب على المصدرية كشيأ فى قوله تعالى لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ فانه فى موقع غناء فكذلك نصيبا ﴿قال الذين استكبروا انا كل فيها﴾ أى نحن وأنتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن أنفسنا وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ﴿ان الله قد حكم بين العباد﴾ وقضى قضاء متقنا لامردله ولا معقب لحكمه ﴿وقال الذين فى النار﴾ من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم ﴿لخزنة جهنم﴾ أى للقوام بتعذيب أهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع أو لبيان محلهم فيها بأن تكون جهنم أبعد دركات النار وفيها أعتى الكفرة وأطغاهم أو لكون الملائكة الموكلين بعذاب أهلها أقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوما﴾ أى مقدار يوم أو فى يوم ما من الايام على أنه ظرف لامعيار شيئا ﴿من العذاب﴾ واقتصارهم فى الاستدعاء على ماذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب فى مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأسا أو تخفيف قدر كثير منه فى زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس فى حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت أمانيهم ﴿قالوا﴾ أى الخزنة ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ أى ألم تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصى كما فى قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا أرادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة أوقات الدعاء وتعطيل أسباب الاجابة ﴿قالوا بلى﴾ أى أتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير والفاء فى قوله تعالى ﴿قالوا فادعوا﴾ فصيحة كما فى قول من قال فقد جئنا خراسانا أى اذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان أن سببه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يوهم أن الاذن فى حيز الامكان وأنهم لو أذن لهم

فيه لفعلوا ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء اطماعهم فى الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به فى قولهم ﴿ ومادعاء
الكافرين الا فى ضلال ﴾ أى ضياع و بطلان وقوله تعالى ﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ﴾ الخ كلام مستأنف مسوق
من جهته تعالى لبيان أن ماأصاب الكفرة من العذاب المحكى من فروع حكم كلى تقتضيه الحكمة وهو أن شأننا المستمر
أنا ننصر رسلنا وأتباعهم ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي
وغير ذلك من العقوبات و لايقدح فى ذلك ماقد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هى بالعواقب وغالب
الأمر ﴿ ويوم يقوم الأشهاد ﴾ أى يوم القيامة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وأنها تكون عند جميع الأولين
والآخرين بشهادة الأشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب ﴿ يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ﴾ بدل من الأول
وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لاتنفع بالتاء ﴿ ولهم اللعنة ﴾ أى البعد عن الرحمة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ أى جهنم
﴿ ولقد آتينا موسى الهدى ﴾ مايهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع ﴿ وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب ﴾ وتركنا
عليهم من بعده التوراة ﴿ هدى وذكرى ﴾ هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا ﴿ لأولى الألباب ﴾ لذوى العقول
السليمة العاملين بما فى تضاعيفه ﴿ فاصبر ﴾ على ما نالك من أذية المشركين ﴿ ان وعد الله ﴾ أى وعده الذى ينطق
به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وأن جندنا لهم الغالبون أو وعده الخاص بك أو
جميع مواعيده التى من جملتها ذلك ﴿ حق ﴾ لايحتمل الاخلاف أصلا واستشهد بحال موسى وفرعون ﴿ واستغفر
لذنبك ﴾ تداركا لما فرط منك من ترك الأولى فى بعض الأحايين فانه تعالى كافيك فى نصرة دينك واظهاره على الدين
كله ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ﴾ أى ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان
الواجب بمكة ركعتين بكرة و ركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشى والابكار وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر
﴿ ان الذين يجادلون فى آيات الله ﴾ ويجحدون بها ﴿ بغير سلطان أتاهم ﴾ فى ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك
مع استحالة اتيانه للايذان بأن التكلم فى أمر الدين لابد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان
نزل فى مشركى مكة وقوله تعالى ﴿ ان فى صدورهم الا كبر ﴾ خبر لان أى مافى قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن
التفكر والتعلم أو الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق أو الا ارادة أن تكون النبوة لهم دونك حسداً و بغيا حسبما
قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم • قالوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه و لذلك يجادلون فيها لا أن فيها موقع
جدال ما أو أن لهم شيئاً يتوهم أن يصلح مدارا لمجادلتهم فى الجملة وقوله تعالى ﴿ ماهم ببالغيه ﴾ صفة لكبر قال مجاهد
ماهم ببالغى مقتضى ذلك الكبر وهو ماأرادوه من الرياسة أو النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا
المذكور فى التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج فى آخر الزمان و يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه
الأنهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم ﴿ فاستعذ
بالله ﴾ أى فالتجئ اليه من كيد من يحسدك و يبغى عليك وفيه رمز الى أنه من همزات الشياطين ﴿ انه هو السميع
البصير ﴾ لاقوالكم وأفعالكم وقوله تعالى ﴿ لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ﴾ تحقيق للحق وتبيين
لأشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج قوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق
مثلهم ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ لقصورهم فى النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم ﴿ ومايستوى
الأعمى والبصير ﴾ أى الغافل والمستبصر ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ ﴾ أى والمحسن والمسئ
فلابد أن تكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهى فيما بعد البعث و زيادة لا فى المسئ

لتأكيد النفى لطول الكلام بالصلة ولأن المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى
عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود أو الدلالة بالصراحة والتمثيل
﴿ قليلا ماتتذكرون ﴾ على الخطاب بطريق الالتفات أى تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس
أو الكفار ﴿ ان الساعة لآتية لا ريب فيها ﴾ أى فى مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها
﴿ ولكن أكثر الناس لايؤمنون ﴾ لايصدقون بها لقصور أنظارهم على ظواهر مايحسون به ﴿ وقال ربكم ادعونى ﴾
أى اعبدونى ﴿ أستجب لكم ﴾ أى أثبكم لقوله تعالى ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾
أى صاغرين أذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الأمر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة أو المراد
بالعبادة الدعاء فانه من أفضل أبوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبنى للمفعول من الادخال ﴿ الله الذى جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه ﴾ بأن خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف المحركات وهدء الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار
والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا ﴿ والنهار مبصرا ﴾ أى مبصرا فيه أو به ﴿ ان الله لذو فضل ﴾ عظيم
لا يوازيه ولا يدانيه فضل ﴿ على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم
وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ﴿ ذلكم ﴾ المتفرد بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية ﴿ الله ربكم
خالق كل شئ لا اله الا هو ﴾ أخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على
الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ فكيف ومن
أى وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره ﴿ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ﴾ أى مثل
ذلك الافك العجيب الذى لا وجه له ولا مصحح أصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى أى آية كانت لا افكا آخر
له وجه ومصحح فى الجملة ﴿ الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء ﴾ بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان
بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء فى فأحسن
تفسيرية فان الاحسان عين التصوير أى صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب
الأعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ أى اللذائذ
﴿ ذلكم ﴾ الذى نعت بما ذكر من النعوت الجليلة ﴿ الله ربكم ﴾ خبران لذلكم ﴿ فتبارك الله ﴾ أى تعالى بذاته
﴿ رب العالمين ﴾ أى مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه فى ذاته و وجوده وسائر أحواله جميعا بحيث
لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية ﴿ هو الحى ﴾ المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية ﴿ لا اله الا هو ﴾ اذ
لا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله ﴿ فادعوه ﴾ فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى ﴿ مخلصين له
الدين ﴾ أى الطاعة من الشرك الجلى والخفى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ أى قائلين ذلك • عن ابن عباس رضى الله
عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ﴿ قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله
لما جاءنى البينات من ربى ﴾ من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فان الآيات
التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والأنفسية ﴿ وأمرت أن أسلم لرب العالمين ﴾ أى بأن أنقاد له
وأخلص له دينى ﴿ هو الذى خلقكم من تراب ﴾ أى فى ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام منه حسبما مر تحقيقه
مرارا ﴿ ثم من نطفة ﴾ أى ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة أى منى ﴿ ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ﴾ أى أطفالا
والافراد لارادة الجنس أو لارادة كل واحد من أفراده ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ علة ليخرجكم معطوفة على علة

أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل وكذا
الكلام فى قوله تعالى ﴿ثم لتكونوا شيوخا﴾ ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا
﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد أوقبله أيضا ﴿ولتبلغوا﴾ متعلق بفعل مقدر
بعده أى ولتبلغوا ﴿أجلا مسمى﴾ هو وقت الموت أو يوم القيامة يفعل ذلك ﴿ولعلكم تعقلون﴾ ولكى تعقلوا
مافى ذلك من فنون الحكم والعبر ﴿هو الذى يحيى﴾ الاموات ﴿ويميت﴾ الاحياء أو الذى يفعل الاحياء والاماتة
﴿فاذا قضى أمرا﴾ أى أراد أمرا من الامور ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ من غير توقف على شىء من الأشياء أصلا
وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فى المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير
أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على أن مابعدها من نتائج ماقبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به
سبحانه ﴿ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون﴾ تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد
لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ماسبق من قوله تعالى
ان الذين يجادلون فى آيات الله الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لايكاد يدخل تحت الوجود هو الأمنية الفارغة
فلا تكرير فيه أى انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال
فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى ﴿الذين كذبوا
بالكتاب﴾ أى بكل القرآن أو بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها فى محل الجر على أنه بدل من الموصول
الاول أو فى حيز النصب أو الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثانى بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع
المجادلة فى بعض المواد لا فى الكل وصيغة الماضى للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الصلة الاولى للدلالة على
تجدد المجادلة وتكررها ﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾ من سائر الكتب أو مطلق الوحى والشرائع ﴿فسوف يعلمون﴾
كنه مافعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته ﴿اذ الاغلال فى أعناقهم﴾ ظرف ليعلمون اذ المعنى على
الاستقبال ولفظ الماضى لتيقنه ﴿والسلاسل﴾ عطف على الاغلال والجار فى نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره
لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى ﴿يسحبون﴾ بحذف العائد أى يسحبون بها وهو على الأولين حال من المستكن
فى الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون
﴿فى الحميم﴾ وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل
بالجر حملا على المعنى لأن قوله تعالى الاغلال فى أعناقهم فى معنى أعناقهم فى الاغلال أو اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به
﴿ثم فى النار يسجرون﴾ أى يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أى
ملئ والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب الى باب ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون
الله قالوا ضلوا عنا﴾ أى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن
يقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئا﴾ أى بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد
شيأ بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الضلال
الفظيع ﴿يضل الله الكافرين﴾ حيث لا يهتدون الى شىء ينفعهم فى الآخرة أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم
حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ﴿ذلكم﴾ الاضلال ﴿بما كنتم تفرحون فى الارض﴾ أى تبطرون وتتكبرون ﴿بغير
الحق﴾ وهو الشرك والطغيان ﴿وبما كنتم تمرحون﴾ تتوسعون فى البطر والاشر والالتفات للمبالغة فى التوبيخ

﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ أى أبوابها السبعة المقسومة لكم ﴿خالدين فيها﴾ مقدرا خلودكم فيها ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾
أى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود ﴿فاصبر﴾ الى أن يلاقوا ما أعد لهم من
العذاب ﴿ان وعد الله﴾ بتعذيبهم ﴿حق﴾ كائن لامحالة ﴿فاما نرينك﴾ أى فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية
ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها ﴿بعض الذى نعدهم﴾ وهو القتل والاسر ﴿أو نتوفينك﴾
قبل ذلك ﴿فالينا يرجعون﴾ يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك
ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب وأفظعه كما ينبئ عنه
الاقتصار على ذكر الرجوع فى هذا المعرض ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾
اذ قيل عدد الأنبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفا والمذكور قصصهم أفراد معدودة وقيل أربعة آلاف من
بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وما كان لرسول﴾ أى وما صح وما استقام لرسول منهم ﴿أن يأتى
بآية الا باذن الله﴾ فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية
على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح منها ﴿فاذا جاء أمر الله﴾
بالعذاب فى الدنيا والآخرة ﴿قضى بالحق﴾ بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه ﴿وخسر هنالك﴾ أى وقت
مجىء أمر الله اسم مكان استعير للزمان ﴿المبطلون﴾ أى المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون
المقترحون دخولا أوليا ﴿الله الذى جعل لكم الأنعام﴾ قيل هى الابل خاصة أى خلقها لأجلكم ومصلحتكم
وقوله تعالى ﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب
والأكل منها أى تعلقهما بها وقيل للتبعيض أى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على أن كلا من الركوب والأكل
مختص ببعض معين منها بحيث لايجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم
الكريم فى الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار بأصالة الركوب ﴿ولكم فيها منافع﴾ أخر غير الركوب والأكل
كألبانها وأوبارها وجلودها ﴿ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم﴾ بحمل أثقالكم من بلد الى بلد ﴿وعليها وعلى الفلك
تحملون﴾ لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر فى فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك
فى الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هى الأزواج الثمانية فمعنى الركوب والأكل منها تعلقهما
بالكل لكن لا على أن كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على أن كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز
تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن بعضها يتعلق به الأكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع
تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ﴿ويريكم آياته﴾ دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته ﴿فأى آيات
الله﴾ أى فأى آية من تلك الآيات الباهرة ﴿تنكرون﴾ فان كلا منها من الظهور بحيث لايكاد يجترئ على انكارها من
له عقل فى الجملة وهو ناصب لأى واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير أى هو الشائع
المستفيض والتأنيث قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى
أغرب لابهامه ﴿أفلم يسيروا﴾ أى أقعدوا فلم يسيروا ﴿فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾
من الأمم المهلكة وقوله تعالى ﴿كانوا أكثر منهم وأشد قوة﴾ الخ استئناف مسوق لبيان مبادى أحوالهم وعواقبها
﴿وآثارا فى الأرض﴾ باقية بعدهم من الأبنية والقصور والمصانع وقيل هى آثار أقدامهم فى الأرض لعظم أجرامهم
﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة

أى لم يغن عنهم أو أى شىء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات أو بالآيات الواضحة ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ أى أظهروا الفرح بذلك وهو مالهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو هو علم الأنبياء الذى أظهره رسلهم على أن معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ وقيل الفرح أيضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادى جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم المؤدى الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ يعنون الأصنام ﴿فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا﴾ أى عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم أن ذلك يغنى عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الاغناء وقد كثر فى الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على أن التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل مابعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو أنهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لأن النافع هو الايمان الاختيارى ﴿سنة الله التى قد خلت فى عباده﴾ أى سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فى العباد وهو من المصادر المؤكدة ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ أى وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة

(مكية . وآيها ثلاث أو أربع وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا أو مبتدأ خبره ﴿تنزيل﴾ وهو على الأول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى ﴿من الرحمن الرحيم﴾ متعلق بمؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره ﴿كتاب﴾ وهو على الوجوه الاول بدل منه أو خبر آخر أو خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبىء عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴿فصلت آياته﴾ ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل فى أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد ووعيد وقرىء فصلت أى فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعانى من قولك فصل من البلد فصولا ﴿قرآنا عربيا﴾ نصب على المدح أو الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة أو من آياته ﴿لقوم يعلمون﴾ أى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لأهل العلم والنظر لأنهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى لقرآنا أى كائنا لقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم

ليست بصفة له أو بفصلت ﴿بشيرا ونذيرا﴾ صفتان أخريان لقرآنا أى بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب أو الخبرية لمحذوف ﴿فأعرض أكثرهم﴾ عن تدبره مع كونه على لغتهم ﴿فهم لا يسمعون﴾ سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به ﴿وقالوا﴾ أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما فى القرآن ﴿قلوبنا فى أكنة﴾ أى أغطية متكاثفة ﴿مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر﴾ أى صمم وأصله الثقل وقرىء بالكسر وقرىء بفتح القاف ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب مابينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج أسماعهم له كأن بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿فاعمل﴾ أى على دينك وقيل فى ابطال أمرنا ﴿اننا عاملون﴾ أى على ديننا وقيل فى ابطال أمرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى ﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد﴾ تلقين للجواب عنه أى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبىء عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بينى وبينكم فان الخطاب فى الهكم محكى منتظم للكل لا أنه خطاب منه عليه الصلاة والسلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا أدعوكم الى ماتنبو عنه العقول والاسماع وانما أدعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وأنا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فتأمل والفاء فى قوله تعالى ﴿فاستقيموا اليه﴾ لترتيب ما بعدها على ماقبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص فى الاعمال ﴿واستغفروه﴾ مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى ﴿وويل للمشركين﴾ ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تعالى ﴿الذين لا يؤتون الزكوة﴾ لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ وهو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم ايتائها متجدد والكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وماسواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعات ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ أى لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو لا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملونه ﴿قل أئنكم لتكفرون﴾ انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التأكيد واما للاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل ﴿بالذى خلق الارض فى يومين﴾ لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به أى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها أى حكم بأنها ستوجد فى مقدار يومين أو فى نوبتين على أن ما يوجد فى كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقى انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها ﴿وتجعلون له أندادا﴾ عطف على تكفرون داخل فى حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ماهو الواقع لا بأن يكون مدار

الانكار هو التعدد أى وتجعلون له أندادا والحال أنه لا يمكن أن يكون له ند واحد ﴿ذلك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من أن المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره مابعده أى ذلك العظيم الشأن الذى فعل ماذكر ﴿رب العالمين﴾ أى خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى ﴿وجعل فيها رواسى﴾ عطف على خلق داخل فى حكم الصلة والجعل ابداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلافصل على أن فيه فائدة التنبيه على أن مجرد المعطوف عليه كاف فى تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة أن يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر أى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأياما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى ﴿من فوقها﴾ متعلق بجعل أو بمضمر هو صفة لرواسى أى كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لأهلها و يظهر للنظار مافيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار ﴿و بارك فيها﴾ أى قدر أن يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوانات التى من جملتها الانسان وأصناف النبات التى منها معايشهم ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ أى حكم بالفعل بأن يوجد فيما سيأتى لأهلها من الانواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أقواتها ﴿فى أربعة أيام﴾ متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها أى قدر حصولها فى يومين وانما قيل فى أربعة أيام أى تتمة أربعة تصريحا بالفذلكة ﴿سواء﴾ مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأيام أى استوت سواء أى استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى أقواتها أو فى فيها وقرئ بالرفع أى هى سواء ﴿للسائلين﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض ومافيها أو بقدر أى قدر فيها أقواتها لأجل السائلين أى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ﴿ثم استوى الى السماء﴾ شروع فى بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض وأهلها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين وترتيب مبادى معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان أى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوى على غيره ﴿وهى دخان﴾ أى أمر ظلمانى عبر به عن مادتها أو عن الاجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها أو دخان مرتفع من الماء كما سيأتى وانما خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿فقال لها وللارض﴾ اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير مافيها كأنه قيل فقال لها وللارض التى قدر وجودها ووجود مافيها ﴿ائتيا﴾ أى كونا واحدثا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك أمر ومأمور كما فى قوله تعالى كن وقوله تعالى ﴿طوعا أو كرها﴾ تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال أى طائعتين أو كارهتين وقوله تعالى ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ أى منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما فى معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا أنه فعل مترتب على تكوينها أى خلقهن خلقا ابداعيا وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الأول تمييز على الثانى ﴿فى

يومين﴾ فى وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق مافيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل فى ستة أيام حسبما نص عليه فى مواقع من التنزيل ﴿وأوحى فى كل سماء أمرها﴾ عطف على قضاهن أى خلق فى كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدى فالوحى عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى الى أهل كل منها أوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وأياما كان فعلى ماقرر من التفصيل لا دلالة فى الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهى ومافى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء ومافيها وعليه اطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى أحدث فى الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله من أنه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء فى سلك الامر بالاتيان انشاءها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه ائتى ياأرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى ياسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما تنبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهى الموافقة وأنت خبير بأن المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق مافيها أيضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالاظهر أن يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته أن يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب فى أن تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف فى حصوله ولا يقدح فى ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الارض فى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ذكر ماذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى أنفسها وتحمل البعدية اما على أنه قاصر عن الأول فى الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على أنه أدخل فى الالزام لما أن المنافع المنوطة بما فى الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر واحاطتهم بتفاصيلها أكمل وليس ما روى عن الحسن رضى الله عنه نصا فى تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة فى ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدى عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر باتيانهما حينئذ أيضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح فى ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخى الزمانى وأما على تقدير كونها للتراخى

الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة فى الآية الكريمة على الترتيب كما فى الوجه الأول وعلى ذلك بنى الكلام فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا الآية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ من الكواكب فانها كلها ترى متلألئة عليها كأنها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى ﴿وحفظا﴾ مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا أى وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ﴿ذلك﴾ الذى ذكر بتفاصيله ﴿تقدير العزيز العليم﴾ المبالغ فى القدرة والعلم ﴿فان أعرضوا﴾ متصل بقوله تعالى قل أئنكم الخ أى فان أعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان أو عن الايمان بعد هذا البيان ﴿فقل لهم ﴿أنذرتكم﴾ أى أنذركم وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الانذار المنبىء عن تحقق المنذر به ﴿صاعقة﴾ أى عذابا هائلا شديد الوقع كأنه صاعقة ﴿مثل صاعقة عاد وثمود﴾ وقرىء صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل ﴿اذ جاءتهم الرسل﴾ حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جعله صفة لصاعقة عاد أى الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ متعلق بجاءتهم أى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجىء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجىء أنفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما و بجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أى من قبلهم وممن يجىء من خلفهم أى من بعدهم فكأن الرسل قد جاءوهم وخاطبوهم بقوله تعالى ﴿أن لا تعبدوا الا الله﴾ أى بان لا تعبدوا على أن أن مصدرية أو أى لا تعبدوا على أنها مفسرة ﴿قالوا لو شاء ربنا﴾ أى ارسال الرسل لا انزال الملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما أرادوه من نفى رسالة البشر وقد مر فيما سلف ﴿لأنزل ملائكة﴾ أى لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لأنزل ﴿فانا بما أرسلتم به﴾ أى على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم ﴿كافرون﴾ لما أنكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى أن أبا جهل قال فى ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه عليه الصلاة والسلام وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فأجابنى بشىء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب ﴿فأما عاد فاستكبروا فى الارض﴾ شروع فى حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق أى فتعظموا فيها على أهلها أو استعلوا فيها واستولوا على أهلها ﴿بغير الحق﴾ أى بغير استحقاق للتعظم

والولاية ﴿وقالوا﴾ مدلين بشدتهم وقوتهم ﴿من أشد منا قوة﴾ حيث كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده ﴿أولم يروا﴾ أى أغفلوا أو ألم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ﴿أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ أى قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على مالا يتناهى قوى على مالا يقدر عليه غير مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وانما أورد فى حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والأرض لادعائهم الشدة فى القوة وفيه ضرب من التهكم بهم ﴿وكانوا بآياتنا﴾ المنزلة على الرسل ﴿يجحدون﴾ أى ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ أى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع و يقبض أو عاصفة تصوت فى هبوبها من الصرير ﴿فى أيام نحسات﴾ جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرىء بالسكون على التخفيف أو على أنه نعت على فعل أو وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الأربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الأربعاء ﴿لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا﴾ وقرىء لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح أو الى الأيام وأضيف العذاب الى الخزى الذى هو الذل والاستكانة على أنه وصف له كما يعرب عنه قوله سبحانه ﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾ وهو فى الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة ﴿وهم لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وأزحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى فى تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرىء ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أى اختاروا الضلالة على الهداية ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدل منه ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من اختيار الضلالة ﴿ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ من تلك الصاعقة ﴿ويوم يحشر أعداء الله﴾ شروع فى بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من ألوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده ما سيأتى من قوله تعالى فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرىء يحشر على بناء الفاعل ونصب أعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها ﴿الى النار﴾ أى الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها واما لأن حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى ﴿فهم يوزعون﴾ أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون و يدفعون الى النار وقوله تعالى ﴿حتى اذا ما جاؤها﴾ أى جميعا غاية ليحشر أو ليوزعون أى حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها فى قوله تعالى ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ فان ما تشهد به من الزنا أعظم جناية وقبحا وأجلب للخزى والعقوبة مما يشهد به السمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح أى سألوها سؤال توبيخ لما روى أنهم قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفى رواية بعدا لكن وسحقا عنكن

كنت أجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى ﴿قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ﴾ لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء أى أنطقنا الله الذى أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار فى الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل حى ﴿وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون﴾ فان من قدر على خلقكم وانشائكم أولا وعلى اعادتكم و رجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود أى ما كنتم تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون﴾ من القبائح المخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بأن شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بأنها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم . عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان أخفينا فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكى حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازى يعم معناه الحقيقى وما يجرى مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما فى قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده ليعم ما حكى من الحال جميع أصناف الكفرة فتدبر ﴿وذلكم﴾ اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته فى الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم﴾ خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا ﴿فأصبحتم﴾ بسبب ذلك الظن السوء الذى أهلككم ﴿من الخاسرين﴾ اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين ﴿فان يصبروا فالنار مثوى لهم﴾ أى محل ثواء واقامة أبدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم أو للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم فى غاية دركات النار ﴿وان يستعتبوا﴾ أى يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه ﴿فما هم من المعتبين﴾ المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين أى ان يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة ﴿وقيضنا لهم﴾ أى قدرنا وقرنا للكفرة فى الدنيا ﴿قرناء﴾ جمع قرين أى أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم﴾ من أمور الدنيا واتباع الشهوات ﴿وما خلفهم﴾ من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط ﴿وحق عليهم القول﴾ أى ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهو قوله تعالى لابليس فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين كما مر مرارا ﴿فى أمم﴾ حال من الضمير المجرور أى كائنين فى جملة أمم وقيل فى بمعنى مع وهذا كما ترى صريح فى أن

المراد بأعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الأولين والآخرين كما قيل ﴿قد خلت﴾ صفة لأمم أى مضت ﴿من قبلهم من الجن والانس﴾ على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء ﴿انهم كانوا خاسرين﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للأولين والآخرين ﴿وقال الذين كفروا﴾ من رؤساء المشركين لأعقابهم أو قال بعضهم لبعض ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن﴾ أى لا تنصتوا له ﴿والغوا فيه﴾ وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى كلقى يلقى ولغا يلغو اذا هذى ﴿لعلكم تغلبون﴾ أى تغلبونه على قراءته ﴿فلنذيقن الذين كفروا﴾ أى فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين أو جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أوليا ﴿عذابا شديدا﴾ لا يقادر قدره ﴿ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون﴾ أى جزاء سيئات أعمالهم التى هى فى أنفسها أسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن أعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الأرحام وقرى الأضياف لأنها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذى كانوا يعملون فى الآخرة ﴿ذلك﴾ مبتدأ وقوله تعالى ﴿جزاء أعداء الله﴾ خبره أى ما ذكر من الجزاء جزاء معد لأعدائه تعالى وقوله تعالى ﴿النار﴾ عطف بيان للجزاء أو ذلك خبر مبتدا محذوف أى الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ هى خبره أى هى بعينها دار اقامتهم على أن فى للتجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال فى البيضة عشرون منا حديد وقيل هى على معناها والمراد أن لهم فى النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون ﴿جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ منصوب بفعل مقدر أى يجزون جزاء أو بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما فى قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل أى بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو ﴿وقال الذين كفروا﴾ وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ﴿ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس﴾ يعنون فريقى شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ أرنا تخفيفا كفخذ فى فخذ وقيل معناه أعطناهما وقرئ باختلاس كسرة الراء ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ أى ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ﴿ليكونا من الاسفلين﴾ أى ذلا ومهانة أو مكانا ﴿ان الذين قالوا ربنا الله﴾ شروع فى بيان حسن أحوال المؤمنين فى الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أى قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته ﴿ثم استقاموا﴾ أى ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على أن ثم للتراخى فى الزمان أو فى الرتبة فان الاستقامة لها الشان كله وما روى عن الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم فى معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما أن الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى فى مواطن ثلاثة عند الموت وفى القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ﴿أن لا تخافوا﴾ ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى أن

الله تعالى كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وأن امامفسرة أومخففةمن الثقيلةوالاصل بانه لاتخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ لاتخافوا أى يقولون لاتخافوا على أنه حال من الملائكة أواستئناف ﴿وأبشروا﴾ أى سروا ﴿بالجنةالتى كنتم توعدون﴾ فى الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشاراتهم فى أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى ﴿نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا﴾ الخ من بشاراتهم فى الدنيا أى أعوانكم فى أموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى مافيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام ﴿وفى الآخرة﴾ نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادى والخصام ﴿ولكم فيها﴾ أى فى الآخرة ﴿ما تشتهى أنفسكم﴾ من فنون الطيبات ﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب أى تدعون لأنفسكم وهو أعم من الاول ولكم فى الموضعين خبر ومامبتدأ وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ماتشتهى للاشباع فى البشارة والايذان باستقلال كل منهما ﴿نزلا من غفور رحيم﴾ حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله﴾ أى الى توحيده تعالى وطاعته . عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المؤذنين والحق أن حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر ﴿وعمل صالحا﴾ فيما بينه وبين ربه ﴿وقال اننى من المسلمين﴾ ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان أى مذهبه لا أنه تكلم بذلك وقرئ انى بنون واحدة ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة﴾ جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصبر على أذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان أى لاتستوى الخصلة الحسنة والسيئة فى الآثار والأحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى وقوله تعالى ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك بالتى هى أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من أساء فانه أحسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى ﴿فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾ بيان لنتيجة الدفع المأمور به أى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق ﴿وما يلقاها﴾ أى ما يلقى هذه الخصلة والسجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان ﴿الا الذين صبروا﴾ أى شأنهم الصبر ﴿وما يلقاها الا ذوحظ عظيم﴾ من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا ﴿واما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جدجده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن ﴿فاستعذ بالله﴾ من شره ولا تطعه ﴿انه هو السميع﴾ باستعاذتك ﴿العليم﴾ بنيتك أو بصلاحك وفى جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ﴿ومن آياته﴾ الدالة على شئونه العظيمة ﴿الليل والنهار والشمس والقمر﴾ كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره ﴿لاتسجدوا للشمس ولا للقمر﴾ لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم ﴿واسجدوا لله الذى خلقهن﴾ الضمير للاربعة لان حكم جماعة مالا يعقل حكم

الانثى أو الاناث أو لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما فى المخلوقية فى سلك الأعراض التى لا قيام لها بذاتها وهو السر فى نظم الكل فى سلك آياته تعالى ﴿ان كنتم اياه تعبدون﴾ فان السجود أقصى مراتب العبادة فلابد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعى رحمه الله وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى ﴿فان استكبروا﴾ عن الامتثال ﴿فالذين عند ربك﴾ من الملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار﴾ أى دائما ﴿وهم لا يسأمون﴾ لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ﴿ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة﴾ يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء﴾ أى المطر ﴿اهتزت وربت﴾ أى تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنا أن يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت أى ارتفعت ﴿ان الذى أحياها﴾ بما ذكر بعد موتها ﴿لمحيى الموتى﴾ بالبعث ﴿انه على كل شئ﴾ من الاشياء التى من جملتها الاحياء ﴿قدير﴾ مبالغ فى القدرة ﴿ان الذين يلحدون﴾ يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون ﴿فى آياتنا﴾ بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة ﴿لا يخفون علينا﴾ فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى ﴿أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة﴾ تنبيه على كيفية الجزاء ﴿اعملوا ما شئتم﴾ من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء فى النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد ﴿انه بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم بحسب أعمالكم وقوله تعالى ﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾ بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائى سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى ﴿وانه لكتاب عزيز﴾ أى كثير المنافع عديم النظير أو منيع لا تتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ خبر لمبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ﴿ما يقال لك﴾ الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أى ما يقال فى شأنك وشأن ما أنزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك ﴿الا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ أى الا مثل ما قد قيل فى حقهم مما لا خير فيه ﴿ان ربك لذو مغفرة﴾ لانبيائه ﴿وذو عقاب أليم﴾ لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضا ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا﴾ جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر ﴿لقالوا لولا فصلت آياته﴾ أى بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى ﴿أأعجمى وعربى﴾ انكار مقرر للتحضيض والأعجمى يقال لكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة فى الوصف كأحمرى والمعنى أكلام أعجمى ورسول أو مرسل اليه عربى على أن الافراد مع كون المرسل اليهم أمة جمة لما أن المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا أو جمعا وقرئ أعجمى أى أكلام منسوب الى أمة العجم وقرئ أعجمى على الاخبار بأن القرآن أعجمى والمتكلم والمخاطب عربى ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب وأيا ما كان فالمقصود بيان أن آيات الله تعالى على أى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به ﴿قل هو للذين آمنوا هدى﴾ يهديهم الى الحق ﴿وشفاء﴾ لما فى الصدور من شك وشبهة ﴿والذين لا يؤمنون﴾ مبتدأ خبره ﴿فى آذانهم وقر﴾

على أن التقدير هو أى القرآن فى آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر و فى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من
وقر وهو أوفق لقوله تعالى ﴿وهو عليهم عمى﴾ وقيل خبر الموصول فى آذانهم و وقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ
والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لايؤمنون فى آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين
عطف الموصول على الموصول الأول أى هو للأولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم ﴿أولئك﴾ اشارة الى
الموصول الثانى باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وملاحظة ماأثبت له ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان ببعد منزلته فى الشر مع مافيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد أى أولئك البعداء الموصوفون بماذكر من التصام
عن الحق الذى يسمعونه والتعامى عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها ﴿ينادون من مكان بعيد﴾ تمثيل لهم فى عدم قبولهم
واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لايكاد يسمع من مثلها الأصوات ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾
كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف فى شأن الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى
مايقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك أى و بالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال
قومك فى شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به و كافر ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ فى حق أمتك المكذبة وهى
العدة بتأخير عذابهم وفصل مابينهم و بين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله
تعالى ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى ﴿لقضى بينهم﴾ باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبى الأمم السالفة ﴿وانهم﴾
أى كفار قومك ﴿لفى شك منه مريب﴾ أى من القرآن وجعل الضمير الأول لليهود والثانى للتوراة مما لاوجه له ﴿من
عمل صالحا﴾ بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها ﴿فلنفسه﴾ أى فلنفسه يعمله أو فنفعه لنفسه لالغيره ﴿ومن أساء
فعليها﴾ ضرره لاعلى غيره ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله مبنى على تنزيل ترك اثابة المحسن
بعمله أو اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة أو باساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى
وقد مر مافى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الأنفال ﴿اليه يرد علم الساعة﴾ أى اذا سئل
عنها يقال الله يعلم أو لايعلمها الا الله تعالى ﴿وماتخرج من ثمرات من أكمامها﴾ أى من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو
وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع وقد قرئ بجمع الضمير أيضا وما
نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق واحتمال أن تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد ﴿وماتحمل من
أنثى ولاتضع﴾ أى حملها وقوله تعالى ﴿الا بعلمه﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى ومايحدث شئ من خروج
ثمرة ولاحمل حامل ولاوضع واضع ملابسا بشئ من الأشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ﴿ويوم يناديهم أين شركائى﴾
أى بزعمكم كما نص عليه فى قوله تعالى نادوا شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر أو ظرف
لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ﴿قالوا آذناك﴾ أى أخبرناك
﴿مامنا من شهيد﴾ من أحد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال ومامنا أحد الا وهو موحد لك أومامنا
من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء أى مامنا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم
آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أو لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن
أنا لانشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه أو لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان
قبل ذلك ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون﴾ أى يعبدون ﴿من قبل﴾ أى غابوا عنهم أو ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم
كغيبتهم ﴿وظنوا﴾ أى أيقنوا ﴿مالهم من محيص﴾ مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى ﴿لايسأم الانسان﴾

أى لايمل ولايفتر ﴿من دعاء الخير﴾ من طلب السعة فى النعمة وأسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير ﴿وان مسه
الشر﴾ أى العسر والضيقة ﴿فيؤوس قنوط﴾ فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة أن القنوط عبارة
عن يأس مفرط يظهر أثره فى الشخص فيتضاءل وينكسر أى مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف
للجنس بوصف غالب أفراده لما أن اليأس من رحمته تعالى لايتأتى الا من الكافر وسيصرح به ﴿ولئن أذقناه رحمة منا
من بعد ضراء مسته﴾ بتفريجها عنه ﴿ليقولن هذا لى﴾ أى حق أستحقه لما لى من الفضل والعمل أولى لا لغيرى
فلا يزول عنى أبدا ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أى تقوم فيما سيأتى ﴿ولئن رجعت الى ربى﴾ على تقدير قيامها ﴿ان
لى عنده للحسنى﴾ أى للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وأن نعم الآخرة
كذلك ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ أى لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه
فى سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفى قوله تعالى انما بغيكم على أنفسكم من سورة يونس ﴿ولنذيقنهم
من عذاب غليظ﴾ لايقادر قدره ولايبلغ كنهه ﴿واذا أنعمنا على الانسان أعرض﴾ أى عن الشكر ﴿ونأى بجانبه﴾
أى ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما فى قوله تعالى فى جنب الله ويجوز أن يراد به
عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه ﴿واذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾
أى كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل اذ الطول أطول الامتدادين فاذا
كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل فى
بعض الأوقات ﴿قل أرأيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان كان﴾ أى القرآن ﴿من عند الله ثم كفرتم به﴾ مع تعاضد
موجبات الايمان به ﴿من أضل ممن هو فى شقاق بعيد﴾ أى من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا
لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم ﴿سنريهم آياتنا﴾ الدالة على حقيته وكونه من عند الله ﴿فى الآفاق﴾ هو ما أخبرهم به
النبى صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور
على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة ﴿وفى أنفسهم﴾ هو ماظهر فيما بين أهل
مكة وماحل بهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآفاق أى منازل الأمم الخالية وآثارهم وفى أنفسهم يوم بدر وقال
مجاهد والحسن والسدى فى الآفاق مايفتح الله من القرى عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفى أنفسهم فتح مكة
وقيل فى الآفاق أى فى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء
والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة فى تكوين الاجنة فى
ظلمات الارحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون واعتذر بأن
معنى السين مع أن اراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا
على حقائقها يوما فيوما ﴿حتى يتبين لهم﴾ بذلك ﴿أنه الحق﴾ أى القرآن أو الاسلام والتوحيد ﴿أولم يكف
بربك﴾ استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم فى شأن القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى
والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولاتكاد تزاد
الا مع كفى وقوله تعالى ﴿أنه على كل شئ شهيد﴾ بدل منه أى ألم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية
القرآن ولم يكفهم فى ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه ان هذا
الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم

الغيب الذى هو على كل شئ شهيد أى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل وأما ماقيل من أن المعنى أو لم يكفك أنه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى ﴿ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم﴾ أى فى شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح فى أن عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهو لغة فيها ﴿ألا انه بكل شئ محيط﴾ عالم بجميع الأشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لامحالة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات والله أعلم

سورة حم عسق وتسمى الشورى

(مكية وهى ثلاث وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم عسق﴾ اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدا محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تعالى ﴿كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق أو أن ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف فى حيز النصب على أنه مفعول ليوحى على الاول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكد له على الثانى وذلك على الاول اشارة الى مافيها وعلى الثانى الى ايحائها ومافيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل أى مثل مافى هذه السورة من المعانى أوحى اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم على أن مناط المماثلة ماأشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق ومافيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد أو مثل ايحائها أوحى اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما فى قوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحى وأن ايحاء مثله عادته وفى جعل مضمون السورة أو ايحائها مشبها به من تفخيمها مالايخفى وكذا فى وصفه تعالى بوصفى العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع مافيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ و يوحى خبره المسند الى ضميره أو مصدر و يوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما فى قراءة نوحى والعزيز ومابعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى ﴿له مافى السموات ومافى الارض وهو العلى العظيم﴾ خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته ﴿تكاد السموات﴾ وقرئ بالياء ﴿يتفطرن﴾ يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما فى سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول أبلغ لأنه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر ﴿من فوقهن﴾ أى يبتدأ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثانى

للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة فى الارض حيث أثرت فى جهة الفوق فلأن تؤثر فى جهة التحت أولى وقيل الضمير للارض فانها فى معنى الارضين ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ ينزهونه تعالى عما لايليق به ملتبسين بحمده ﴿ويستغفرون لمن فى الارض﴾ بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الأسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعا فى ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما فى قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة ﴿ألا ان الله هو الغفور الرحيم﴾ اذ مامن مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثانى بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ماطلبوه من المغفرة رحمة ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ شركاء وأندادا ﴿الله حفيظ عليهم﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها ﴿وماأنت عليهم بوكيل﴾ بموكل بهم أو بموكول اليه أمرهم وانما وظيفتك الانذار ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا﴾ ذلك اشارة الى مصدر أوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لأوحينا أى ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم أوحينا اليك قرآنا عربيا لالبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما أنت نذير فحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين ﴿لتنذر أم القرى﴾ أى أهلها وهى مكة ﴿ومن حولها﴾ من العرب ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أى يوم القيامة لأنه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الأعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثانى مفعولى الأول وأول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على أن فاعله ضمير القرآن ﴿لاريب فيه﴾ اعتراض مقرر لما قبله ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾ أى بعد جمعهم فى الموقف فانهم يجمعون فيه أولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين أى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب ﴿ولوشاء الله لجعلهم﴾ أى فى الدنيا ﴿أمة واحدة﴾ قيل مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ﴿ولكن يدخل من يشاء فى رحمته﴾ أنه تعالى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولاريب فى أن مشيئته تعالى لكل من الداخلين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل ﴿والظالمون مالهم من ولى ولا نصير﴾ للايذان بأن الادخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لامن جهته تعالى كما فى الادخال فى الرحمة لا لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ماقاله مقاتل على دين الاسلام كما فى قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى أمرهم على مايختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بقوله تعالى يدخل من يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير وأنت خبير بأن فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم فى رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه

سياق النظم الكريم وسباقه أن يراد الاتحاد فى الكفر كما فى قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم فى فترة ادريس أو فى فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ماذكر من يوم الجمع ومافيه من ألوان الاهوال فيبقوا على ماهم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء فى رحمته أى شأنه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ماذكر فيتأثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة و يدخلهم فى رحمته و لا يتأثر به الآخرون و يتمادون فى غيهم وهم الظالمون فيبقون فى الدنيا على ماهم عليه من الكفر و يصير ون فى الآخرة الى السعير من غير ولى يلى أمرهم و لا نصير يخلصهم من العذاب ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين ولى أو نصير وأم منقطعة ومافيها من بل للانتقال من بيان ماقبلها الى بيان مابعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان أن مافعلوا ليس من اتخاذ الاولياء فى شئ لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو أظهر الممتنعات أى بل أتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى ﴿فالله هو الولى﴾ جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولاية مااتخذوه أولياء ان أرادوا وليا فى الحقيقة فالله هو الولى لا ولى سواه ﴿وهو يحيي الموتى﴾ أى ومن شأنه ذلك ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ فهو الحقيق بأن يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لايقدر على شئ ﴿وما اختلفتم فيه من شئ﴾ حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى وماخالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم ﴿فحكمه﴾ راجع ﴿الى الله﴾ وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ﴿ذلكم﴾ الحاكم العظيم الشان ﴿الله ربى﴾ مالكى ﴿عليه توكلت﴾ فى مجامع أمورى خاصة لا على غيره ﴿واليه أنيب﴾ أرجع فى كل مايعن لى من معضلات الامور لا الى أحد سواه وحيث كان التوكل أمرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها أوثر فى الاول صيغة الماضى و فى الثانى صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم فى شئ من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و لا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتعلق بتكليفكم و لا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح و لا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿فاطر السموات والارض﴾ خبر آخر لذلكم أو خبر لمبتدا محذوف أو مبتدأ خبره ﴿جعل لكم﴾ وقرئ بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف للاسم الجليل فى قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف ﴿من أنفسكم﴾ من جنسكم ﴿أزواجا﴾ نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة ﴿ومن الانعام﴾ أى وجعل للانعام من جنسها ﴿أزواجا﴾ أو خلق لكم من الانعام أصنافا أو ذكورا واناثا ﴿يذرؤكم﴾ يكثركم من الذرء وهو البث و فى معناه الذرو والذر ﴿فيه﴾ أى فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ﴿ليس كمثله شئ﴾ أى ليس مثله شئ فى شأن من الشؤن التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لايفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة فى شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته أى ليس كصفته صفة ﴿وهو السميع البصير﴾ المبالغ فى العلم بكل مايسمع و يبصر ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أى خزائنهما ﴿يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر﴾ يوسع و يضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة ﴿انه بكل شئ عليم﴾ مبالغ فى

الاحاطة به فيفعل كل مايفعل على ماينبغى أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى﴾ وايذان بأن ماشرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه دينا قديما أجمع عليه الرسل والخطاب لأمته عليه الصلاة والسلام أى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولى العزائم من مشاهير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمرا مؤكدا على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم و لاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود فى شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى فى حق عيسى عليه السلام والا فما من نبى الا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من أصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بايحائه اليه عليه الصلاة والسلام اما ماذكر فى صدر السورة الكريمة و فى قوله تعالى و كذلك أوحينا الآية أو مايعمهما وغيرهما مما وقع فى سائر المواقع التى من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بالذى لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ماقبله وما بعده من التوصية لمراعاة ماوقع فى الآيات المذكورة ولما فى الايحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر فى تقديمه على مابعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام ﴿أن أقيموا الدين﴾ أى دين الاسلام الذى هو توحيد الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله و بيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمر له ومحل أن أقيموا اما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبى عليه الصلاة والسلام مستلزم لكون الخطاب فى قوله تعالى ﴿و لا تتفرقوا فيه﴾ للانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهى الى أممهم تمحل ظاهر مع أن الاظهر أنه متوجه الى أمته صلى الله عليه وسلم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا أى لا تتفرقوا فى الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى ﴿كبر على المشركين﴾ شروع فى بيان أحوال بعض من شرع لهم ماشرع من الدين القويم أى عظم وشق عليهم ﴿ماتدعوهم اليه﴾ من التوحيد و رفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وقوله تعالى ﴿الله يجتبى اليه من يشاء﴾ استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بأن منهم من يجيب الى الدعوة أى الله يجتلب الى ماتدعوهم اليه من يشاء أن يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى مادعى اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿و يهدى اليه من ينيب﴾ أى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى ﴿وماتفرقوا﴾ شروع فى بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى أحوال أهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وماتفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة أى وماتفرقوا فى الدين الذى دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم ﴿الا من بعد

ماجاءهم العلم﴾ بحقيته بما شاهدوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه فى كتابهم أو العلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال أو من أعم الاوقات أى وماتفرقوا فى حال من الاحوال أو فى وقت من الاوقات الا حال مجئ العلم أو الا وقت مجئ العلم ﴿بغيا بينهم﴾ وحمية وطلبا للرياسة لا لأن لهم فى ذلك شبهة ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهى العدة بتأخير العقوبة ﴿الى أجل مسمى﴾ هو يوم القيامة ﴿لقضى بينهم﴾ لأوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى ﴿وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا أى وان المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد ماأورث أهل الكتاب كتابهم ﴿لفى شك منه﴾ من القرآن ﴿مريب﴾ موقع فى القلق أو فى الريبة ولذلك لايؤمنون به لا لمحض البغى والمكابرة بعد ماعلموا بحقيته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ماقيل من أن ضمير تفرقوا لأمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأن المراد تفرق كل أمة بعد نبيها مع علمهم بأن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وكذا ماقيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين بعد ماأهلك الله تعالى أهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيمابينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغى بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد أصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار وامهال على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه الأمة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق أن ماشرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الاعلام عليهم الصلاة والسلام تأكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق أممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام ﴿فلذلك﴾ أى فلأجل ماذكر من التفرق والشك المريب أو فلأجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون ﴿فادع﴾ أى الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم فى شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ماذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما فى قوله تعالى بأن ربك أوحى لها أى فالى ذلك الدين فادع ﴿واستقم﴾ عليه وعلى الدعوة اليه ﴿كما أمرت﴾ وأوحى اليك ﴿ولاتتبع أهواءهم﴾ الباطلة ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ أى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ فى تبليغ الشرائع والأحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوى بينى وبينكم ولا آمركم بما لا أعمله ولا أخالفكم الى ماأنهاكم عنه ولا أفرق بين أكابركم وأصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف أى أمرت بذلك لاعدل أو زائدة أى أمرت أن أعدل والباء محذوفة ﴿الله ربنا وربكم﴾ أى خالقنا جميعا ومتولى أمورنا ﴿لنا أعمالنا﴾ لايتخطانا جزاؤها ثوابا كان أوعقابا ﴿ولكم أعمالكم﴾ لايجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم وتتضرر بسيآتكم ﴿لاحجة بيننا وبينكم﴾ أى لامحاجة ولاخصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة ﴿واليه المصير﴾ فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة فى مواقف المجاوبة لامتاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال ﴿والذين يحاجون فى الله﴾

أى فى دينه ﴿من بعد ما استجيب له﴾ من بعد مااستجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه أو من بعد مااستجاب الله لرسوله عليه الصلاة والسلام وأيده بنصره أو من بعد مااستجاب له أهل الكتاب بان أقروا بنبوته عليه الصلاة والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق ﴿حجتهم داحضة عند ربهم﴾ زائلة باطلة بل لاحجة لهم أصلا وانما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل ﴿وعليهم غضب﴾ عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ﴿ولهم عذاب شديد﴾ لايقادر قدره ﴿الله الذى أنزل الكتاب﴾ أى جنس الكتاب ﴿بالحق﴾ ملتبسا به فى أحكامه وأخباره أو بما يحق انزاله من العقائد والأحكام ﴿والميزان﴾ والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن ﴿ومايدريك﴾ أى أى شئ يجعلك عالما ﴿لعل الساعة﴾ التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق ﴿قريب﴾ أى شئ قريب أو قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الأعمال ويوفى جزاؤها ﴿يستعجل بها الذين لايؤمنون بها﴾ استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذى نحن عليه أم الذى عليه محمد وأصحابه ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ أى الكائن لامحالة ﴿ألا ان الذين يمارون فى الساعة﴾ يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة ﴿لفى ضلال بعيد﴾ عن الحق فان البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه أبعد وأبعد ﴿الله لطيف بعباده﴾ أى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون ألطافه مالا يكاد يناله أيدى الافكار والظنون ﴿يرزق من يشاء﴾ أن يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ماتقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ﴿وهو القوى﴾ الباهر القدرة الغالب على كل شئ ﴿العزيز﴾ المنيع الذى لايغلب ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ الحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور أى من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة ﴿نزد له فى حرثه﴾ نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فمافوقها ﴿ومن كان يريد﴾ بأعماله ﴿حرث الدنيا﴾ وهو متاعها وطيباتها ﴿نؤته منها﴾ أى شيأ منها حسبما قسمنا له لاما يريده ويبتغيه ﴿وماله فى الآخرة من نصيب﴾ اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء ﴿أم لهم شركاء﴾ أى بل ألهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع ﴿شرعوا لهم﴾ بالتسويل ﴿من الدين مالم يأذن به الله﴾ كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم واضافتها اليهم لأنهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لأنها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن أضللن كثيرا أو تماثيل من سن الضلالة لهم ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أى القضاء السابق بتأخير الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة ﴿لقضى بينهم﴾ أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم ﴿وان الظالمين لهم عذاب أليم﴾ وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الأليم غالب فى عذاب الآخرة ﴿ترى الظالمين﴾ يوم القيامة والخطاب لكل أحد ممن يصلح له للقصد الى أن سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء ﴿مشفقين﴾

خائفين ﴿مما كسبوا﴾ من السيآت ﴿وهو واقع بهم﴾ أى وو باله لاحق بهم لامحالة أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين أو اعتراض ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات﴾ مستقرون فى أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لهم مايشاءون عند ربهم﴾ أى مايشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاءون ﴿ذلك﴾ اشارة الى ماذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه ﴿هو الفضل الكبير﴾ الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ﴿ذلك﴾ الفضل الكبير هو ﴿الذى يبشر الله عباده﴾ أى يبشرهم به لحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما فى قوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقرئ يبشر من أبشر ﴿قل لا أسألكم عليه﴾ روى أنه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون أن محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت أى لا أطلب منكم على ماأنا عليه من التبليغ والبشارة ﴿أجرا﴾ نفعا ﴿الا المودة فى القربى﴾ أى الا أن تودونى لقرابتى منكم أو تودوا أهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة وفى القربى حال منها أى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى أهلها أو فى حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى أنها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيامة وقيل القربى التقرب الى الله أى الا أن تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أى يكتسب أى حسنة كانت فتتناول مودة ذى القربى تناولا أوليا وعن السدى أنها المرادة وقيل نزلت فى الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم ﴿نزد له فيها﴾ أى فى الحسنة ﴿حسنا﴾ بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أى يزد الله وقرئ حسنى ﴿ان الله غفور﴾ لمن أذنب ﴿شكور﴾ لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ﴿أم يقولون﴾ بل أيقولون ﴿افترى﴾ محمد ﴿على الله كذبا﴾ بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهمزة للانكار التوبيخى كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لاسيما الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها وقوله تعالى ﴿فان يشأ الله يختم على قلبك﴾ استشهاد على بطلان ماقالوا ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه أن دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لايشاء صدوره عن النبى صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكأنه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الأمر كذلك بل تواتر الوحى حينا فحينا تبين أنه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لايجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن و يقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لأنساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم ﴿ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾ استئناف مقرر لنفى الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر أى ومن عادته تعالى أنه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق

على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب و يثبت الحق الذى هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذى لا مرد له بنصرته عليهم ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ فيجرى عليها أحكامها اللائقة بها من المحو والاثبات ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده﴾ التوبة هى الرجوع عن المعاصى بالندم عليها والعزم على أن لايعاودها أبدا وروى جابر رضى الله عنه أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه ياهذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ﴿ويعفو عن السيئات﴾ صغيرها وكبيرها لمن يشاء ﴿ويعلم ما يفعلون﴾ كائنا ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ماتفعلون بالتاء ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما فى قوله تعالى واذا كالوهم أى كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لأنه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ﴿ويزيدهم من فضله﴾ على ماسألوا واستحقوا بموجب الوعد ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض﴾ لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية أو الكيفية ﴿ولكن ينزل بقدر﴾ أى بتقدير ﴿ما يشاء﴾ أن ينزله مما تقتضيه مشيئته ﴿انه بعباده خبير بصير﴾ محيط بخفايا أمورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم فى كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر و يغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وروى أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت فى العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا واذا أجدبوا انتجعوا ﴿وهو الذى ينزل الغيث﴾ أى المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال ﴿من بعد ماقنطوا﴾ يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه أيضا لتذكر كمال النعمة وقرئ بكسر النون ﴿وينشر رحمته﴾ أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما أوليا ﴿وهو الولى﴾ الذى يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة ﴿الحميد﴾ المستحق للحمد على ذلك لاغيره ﴿ومن آياته خلق السموات والارض﴾ على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤنه العظيمة ﴿وما بث فيهما﴾ عطف على السموات أو الخلق ﴿من دابة﴾ من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الارض فان ما يختص بأحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وأن يخلق الله فى السماء حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم ﴿وهو

على جمعهم﴾ أى حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى ﴿اذا يشاء﴾ متعلق بما قبله لا بقوله تعالى ﴿قدير﴾ فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضى تدخل المضارع ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾ أى مصيبة كانت ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ أى فهى بسبب معاصيكم التى اكتسبتموها والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما فى الباء من معنى السببية ﴿ويعفو عن كثير﴾ من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم لاسباب أخرى منها تعريضه للثواب بالصبر عليه ﴿وما أنتم بمعجزين فى الارض﴾ فائتين ماقضى عليكم من المصائب وان هربتم من أقطارها كل مهرب ﴿وما لكم من دون الله من ولى﴾ يحميكم منها ﴿ولا نصير﴾ يدفعها عنكم ﴿ومن آياته الجوار﴾ السفن الجارية ﴿فى البحر﴾ وقرئ الجوارى ﴿كالاعلام﴾ أى كالجبال على الاطلاق لا التى عليها النار للاهتداء خاصة ﴿ان يشأ يسكن الريح﴾ التى تجريها وقرئ الرياح ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ فيبقين ثوابت على ظهر البحر أى غير جاريات لا غير متحركات أصلا ﴿ان فى ذلك﴾ الذى ذكر من السفن اللاتى يجرين تارة ويركدن أخرى على حسب مشيئته تعالى ﴿لآيات﴾ عظيمة فى أنفسها كثيرة فى العدد دالة على ماذكر من شؤنه تعالى ﴿لكل صبار شكور﴾ لكل من حبس نفسه عن التوجه الى مالا ينبغى ووكل همته بالنظر فى آيات الله تعالى والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو فى قوله تعالى ﴿ويعف عن كثير﴾ لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ﴿ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا﴾ عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما فى قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ﴿ما لهم من محيص﴾ أى من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل ﴿فما أوتيتم من شئ﴾ مما ترغبون وتتنافسون فيه ﴿فمتاع الحيوة الدنيا﴾ أى فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم ﴿وما عند الله﴾ من ثواب الآخرة ﴿خير﴾ ذاتا لخلوص نفعه ﴿وأبقى﴾ زمانا حيث لا يزول ولا يفنى ﴿للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ لا على غيره أصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها فى الحيوة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثانى وعن على رضى الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى ﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ أى الكبائر من هذا الجنس ﴿والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ مع ما بعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على أنهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كبير الاثم الشرك ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة﴾ نزل فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أى فى سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات ﴿والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون﴾ أى ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر مهمات الفضائل وهذا لا ينافى وصفهم بالغفران فان كلا منهما

فضيلة محمودة فى موقع نفسه ورذيلة مذمومة فى موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام مذموم فانه اغراء على البغى وعليه قول من قال

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وقوله تعالى ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه فى نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى أن البادئ هو الذى فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لأجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدى واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به ﴿فمن عفا﴾ عن المسئ اليه ﴿وأصلح﴾ بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴿فأجره على الله﴾ عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود ﴿انه لا يحب الظالمين﴾ البادئين بالسيئة والمتعدين فى الانتقام ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ أى بعد ما ظلم وقد قرئ به ﴿فأولئك﴾ اشارة الى من باعتبار المعنى كما أن الضميرين لها باعتبار اللفظ ﴿ما عليهم من سبيل﴾ بالمعاتبة أو المعاقبة ﴿انما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾ يبتدئونهم بالاضرار أو يعتدون فى الانتقام ﴿ويبغون فى الارض بغير الحق﴾ أى يتكبرون فيها تجبرا وفسادا ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغى بغير الحق ﴿لهم عذاب أليم﴾ بسبب ظلمهم وبغيهم ﴿ولمن صبر﴾ على الاذى ﴿وغفر﴾ لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره الى الله تعالى ﴿ان ذلك﴾ الذى ذكر من الصبر والمغفرة ﴿لمن عزم الامور﴾ أى ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وهذا فى المواد التى لا يؤدى العفو الى الشر كما أشير اليه ﴿ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده﴾ من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه ﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب﴾ أى حين يرونه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ﴿يقولون هل الى مرد﴾ أى الى رجعة الى الدنيا ﴿من سبيل﴾ حتى نؤمن ونعمل صالحا ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أى على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب فى الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية ﴿خاشعين من الذل﴾ متذللين متضائلين مما دهاهم ﴿ينظرون من طرف خفى﴾ أى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف ﴿وقال الذين آمنوا ان الخاسرين﴾ أى المتصفين بحقيقة الخسران ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم﴾ بالتعريض للعذاب الخالد ﴿يوم القيامة﴾ اما ظرف لخسروا فالقول فى الدنيا أو لقال فالقول يوم القيامة أى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقوله تعالى ﴿ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم﴾ اما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم﴾ برفع العذاب عنهم ﴿من دون الله﴾ حسبما كانوا يرجون ذلك فى الدنيا ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ يؤدى سلوكه الى النجاة ﴿استجيبوا لربكم﴾ اذا دعاكم الى الايمان على لسان نبيه ﴿من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله﴾ أى لا يرده الله بعد ما حكم به على أن من صلة مرد أو من قبل أن يأتى من الله يوم لا يمكن رده ﴿ما لكم من ملجأ يومئذ﴾ أى مفر تلتجئون اليه ﴿وما لكم من نكير﴾ أى انكار لما اقترفتموه لأنه مدون فى صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم ﴿فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلاة والسلام أى فان لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم اليه فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ﴿ان عليك الا البلاغ﴾ وقد فعلت ﴿وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة﴾ أى نعمة من الصحة والغنى والأمن ﴿فرح بها﴾ أريد بالانسان الجنس لقوله تعالى ﴿وان تصبهم سيئة﴾ أى بلاء

من مرض وفقر وخوف ﴿بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور﴾ بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الأولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على أن ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها بأعمالهم للايذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام فى سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم ﴿لله ملك السموات والارض﴾ فمن قضيته أن يملك التصرف فيهما وفى كل مافيهما كيفما يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريده ﴿يخلق مايشاء﴾ مما تعلمه ومما لاتعلمه ﴿يهب لمن يشاء اناثا﴾ من الاولاد ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ منهم من غير أن يكون فى ذلك مدخل لأحد ﴿أو يزوجهم﴾ أى يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ﴿ذكرانا واناثا﴾ قالوا معنى يزوجهم أن تلد غلاما ثم جارية أو جارية ثم غلاما أو تلد ذكرا وأنثى توأمين ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ والمعنى يجعل أحوال العباد فى حق الأولاد مختلفة على ماتقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى واما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لان مساق الآية للدلالة على أن الواقع ماتتعلق به مشيئته تعالى لا ماتتعلق به مشيئة الانسان والاناث كذلك أو لأن الكلام فى البلاء والعرب تعدهن أعظم البلايا أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف فى الثالث لأنه قسم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه فى الرابع لافصاحه بأنه قسم المشترك بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الأنبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين ﴿انه عليم قدير﴾ مبالغ فى العلم والقدرة فيفعل مافيه حكمة ومصلحة ﴿وما كان لبشر﴾ أى وما صح لفرد من أفراد البشر ﴿أن يكلمه الله﴾ بوجه من الوجوه ﴿الا وحيا﴾ أى الا بأن يوحى اليه ويلهمه ويقذف فى قلبه كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليهما السلام فى ذبح ولده وقد روى عن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره أو بأن يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الاجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى ﴿أو من وراء حجاب﴾ فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى ﴿أو يرسل رسولا﴾ أى ملكا ﴿فيوحى﴾ ذلك الرسول الى المرسل اليه الذى هو الرسول البشرى ﴿باذنه﴾ أى بأمره تعالى وتيسيره ﴿مايشاء﴾ أن يوحيه اليه وهذا هو الذى يجرى بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح أن يكلم الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا وقرىء أو يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروى أن اليهود قالت للنبى عليه الصلاة والسلام ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت رضى الله عنها أو لم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية ﴿انه على﴾ متعال عن صفات المخلوقين لايتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا بأحد الوجوه المذكورة ﴿حكيم﴾ يجرى أفعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة

وأخرى بدونها اما الهاما واما خطابا ﴿وكذلك﴾ أى ومثل ذلك الايحاء البديع ﴿أوحينا اليك روحا من أمرنا﴾ هو القرآن الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة أبدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام ارساله اليه بالوحى ﴿ما كنت تدرى﴾ قبل الوحى ﴿ما الكتاب﴾ أى أى شىء هو ﴿ولا الايمان﴾ أى الايمان بتفاصيل مافى تضاعيف الكتاب من الأمور التى لاتهتدى اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه الصلاة والسلام له مما لاريب فيه قطعا ﴿ولكن جعلناه﴾ أى الروح الذى أوحيناه اليك ﴿نورا نهدى به من نشاء﴾ هدايته ﴿من عبادنا﴾ وهو الذى يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى ﴿وانك لتهدى﴾ تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور أى وانك لتهدى بذلك النور من نشاء هدايته ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو الاسلام وسائر الشرائع والأحكام وقرىء لتهدى أى ليهديك الله وقرىء لتدعو ﴿صراط الله﴾ بدل من الأول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى ﴿الذى له مافى السموات وما فى الارض﴾ لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع مافيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك أتم ايجاب ﴿ألا الى الله تصير الأمور﴾ أى أمور مافيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه مالا يخفى ۔ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له

سورة الزخرف

(مكية وقيل الا قوله واسأل من أرسلنا وآيها تسع وثمانون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم ﴿والكتاب﴾ بالجر على أنه مقسم به اما ابتداء أو عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على أن مدار العطف المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة فى تأكيد مضمون الجملة القسمية ﴿المبين﴾ أى البين لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل مايحتاج اليه فى أبواب الديانة ﴿انا جعلناه قرآنا عربيا﴾ جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ماهو غايته التى يعرب عنها قوله تعالى ﴿لعلكم تعقلون﴾ فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة أعذارهم أى جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكى تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على مايتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية ﴿وانه فى أم الكتاب﴾ أى فى اللوح المحفوظ فانه أصل الكتب السماوية وقرىء ام الكتاب بالكسر ﴿لدينا﴾ أى عندنا ﴿لعلى﴾ رفيع القدر بين الكتب شريف ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة أو محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا فى أم الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة فى حكمها ففى الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بأنه من علو الشان بحيث لايحتاج فى بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف فى الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كما أنه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى أنه لايخطر بالبال عند ذكره شىء آخر أولى منه بالاقسام به واما مستأنفة

مقررة لعلو شأنه الذى أنبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض فى قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم و بعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به و يعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار أن يكون الامر بخلافه فقيل ﴿أفنضرب عنكم الذكر﴾ أى ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كأنه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام أى أنهملكم فننحى الذكر عنكم ﴿صفحا﴾ أى اعراضا عنكم على أنه مفعول له للمذكور أو مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل أفنصفح عنكم صفحا أو بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية أى أفننحيه عنكم جانبا ﴿أن كنتم قوما مسرفين﴾ أى لأن كنتم منهمكين فى الاسراف مصرين عليه على معنى أن حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لانفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرىء ان بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ماقبله عليه وقوله تعالى ﴿وكم أرسلنا من نبي فى الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن﴾ تقرير لما قبله ببيان أن اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا﴾ أى من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلاة والسلام و وعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين و وصفهم بأشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ﴿ومضى مثل الاولين﴾ أى سلف فى القرآن غير مرة ذكر قصتهم التى حقها أن تسير مسير المثل ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ أى ليسندن خلقها الى من هذا شأنه فى الحقيقة و فى نفس الامر لا أنهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بأن اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال و بما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء أمر بين لاريب فيه وأن الحجة قائمة عليهم شاؤا أو أبوا وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى ﴿الذى جعل لكم الارض مهدا﴾ استئناف من جهته تعالى أى بسطها لكم تستقرون فيها ﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ تسلكونها فى أسفاركم ﴿لعلكم تهتدون﴾ أى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم أو بالتفكر فيها الى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر﴾ بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ﴿فأنشرنا به﴾ أى أحيينا بذلك الماء ﴿بلدة ميتا﴾ خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرىء ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة فى معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بأمر الاحياء والاشعار بعظم خطره ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة اخراج النبات من الارض ﴿تخرجون﴾ أى تبعثون من قبوركم أحياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس ﴿والذى خلق الأزواج كلها﴾ أى أصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والأنثى وقيل كل ماسوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك ﴿وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون﴾ أى ماتركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى للرمز الى مكانيتها و كون حركتها غير ارادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها ﴿لتستووا على ظهوره﴾ أى لتستعلوا على ظهور ماتركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه﴾ أى تذكروها

بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بألسنتكم ﴿وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا﴾ متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون و كبر ثلاثا وهلل ثلاثا ﴿وما كنا له مقرنين﴾ أى مطيقين من أقرن الشىء اذا أطاقه وأصله وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرىء بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لايعرف قدرها و لاحق المنعم بها ﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ أى راجعون وفيه ايذان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه من المسير و يتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب الى الله تعالى فيبنى أموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة و لايخطر بباله فى شىء مما يأتى و يذر أمرا ينافيها ومن ضرورته أن يكون ركوبه لامر مشروع ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾ متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ أى وقد جعلوا له سبحانه بألسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته فى حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرىء جزؤا بضمتين ﴿ان الانسان لكفور مبين﴾ ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون مايقولون سبحان الله عما يصفون ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ أم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى ﴿وأصفاكم بالبنين﴾ اما عطف على اتخذ داخل فى حكم الانكار والتعجيب أو حال من فاعله باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ أى بل اتخذ من خلقه أخس الصنفين واختار لكم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه أما كان لكم شىء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء أنه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية مااعتبر فيهما من الحقارة والفخامة ﴿واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ الخ استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى أنهم نسبوا اليه ماذكر ومن حالهم أن أحدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها أى اذا أخبر أحدهم بولادة ماجعله مثلا له سبحانه اذ الولد لابد أن يجانس الوالد و يماثله ﴿ظل وجهه مسودا﴾ أى صار أسود فى الغاية من سوء مابشر به ﴿وهو كظيم﴾ مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرىء مسود ومسواد على أن فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبراله ﴿أومن ينشأ فى الحلية﴾ تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا أى أو جعلوا من شأنه أن يربى فى الزينة وهو عاجز عن أن يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير مافى أم المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنوانى أى أو اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته ﴿وهو﴾ مع ماذكر من القصور ﴿فى الخصام﴾ أى الجدال الذى لايكاد يخلو عنه الانسان فى العادة ﴿غير مبين﴾ غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لاتمنع عمل مابعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرىء ينشأ ويناشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد ونظيره غلاه وأغلاه وغالاه ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا﴾ بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله عز وجل أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا وقرىء عبيد الرحمن

وقرىء عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرىء أنثا وهو جمع الجمع ﴿أشهدوا خلقهم﴾ أى أحضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بأنوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرىء أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما ﴿ستكتب شهادتهم﴾ هذه فى ديوان أعمالهم ﴿ويسألون﴾ عنها يوم القيامة وقرىء يكتب وسنكتب بالياء والنون وقرىء شهاداتهم وهى قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة وقرىء يساءلون من المساءلة للمبالغة ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ بيان لفن آخر من كفرهم أى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق مرضى عنده تعالى وأنهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بأنه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما أن عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد أخطأوا فى الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا أو السخط فى شىء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ﴿ما لهم بذلك﴾ أى بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة ﴿من علم﴾ يستند الى سند ما ﴿ان هم الا يخرصون﴾ يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز أن يشار بذلك الى أصل الدعوى كأنه لما أظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه الى ابطال أن يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ﴿أم آتيناهم كتابا من قبله﴾ من قبل القرآن أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه ﴿فهم به﴾ بذلك الكتاب ﴿مستمسكون﴾ وعليه معولون ﴿بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون﴾ أى لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والأمة الدين والطريقة التى تؤم أى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرىء امة بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم أى القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبر ان والظرف صلة لمهتدون ﴿وكذلك﴾ أى والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ﴿ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون﴾ استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بأن التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر الى التقليد ﴿قال﴾ حكاية لما جرى بين المنذرين وبين أممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم أى قال كل نذير من أولئك المنذرين لأممهم ﴿أولو جئتكم﴾ أى أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم ﴿بأهدى﴾ بدين أهدى ﴿مما وجدتم عليه آباءكم﴾ من الضلالة التى ليست من الهداية فى شىء وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرىء قل على أنه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ الى كل نذير لا على أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى ﴿قالوا انا بما أرسلتم به كافرون﴾ فانه حكاية عن الأمم قطعا أى قال كل أمة لنذيرها انا بما أرسلت به الخ وقد أجمل عند الحكاية للايجاز كما مر فى قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما أرسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما فى نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى ﴿فانتقمنا منهم﴾ أى بالاستئصال ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من الأمم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك ﴿واذ قال ابراهيم﴾ أى واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام ﴿لأبيه وقومه﴾ المكبين على التقليد كيف

تبرأ مما هم فيه بقوله ﴿اننى براء مما تعبدون﴾ وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال أو ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه أشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرىء برىء وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أى اننى برىء من عبادتكم أو معبودكم ﴿الا الذى فطرنى﴾ استثناء منقطع أو متصل على أن ما تعم أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو صفة على أن ما موصوفة أى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى ﴿فانه سيهدين﴾ أى سيثبتنى على الهداية أو سيهدين الى ما وراء الذى هدانى اليه الى الآن والأوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار ﴿وجعلها﴾ أى جعل ابراهيم كلمة التوحيد التى ما تكلم به عبارة عنها ﴿كلمة باقية فى عقبه﴾ أى فى ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرىء كلمة وفى عقبه على التخفيف ﴿لعلهم يرجعون﴾ علة للجعل أى جعلها باقية فى عقبه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد ﴿بل متعت هؤلاء﴾ اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه بأن وصى بها بنيه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة ﴿وآباءهم﴾ بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا فى الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد ﴿حتى جاءهم﴾ أى هؤلاء ﴿الحق﴾ أى القرآن ﴿ورسول﴾ أى رسول ﴿مبين﴾ ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرىء متعنا ومتعت بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة فى تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعله سببا لزيادة الكفران أقصى مراتب الكفر والضلال ﴿ولما جاءهم الحق﴾ لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث ﴿قالوا هذا سحر وانا به كافرون﴾ فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين﴾ أى من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴿عظيم﴾ أى بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومى وعروة بن مسعود الثقفى وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآنا لنزل الى أحد هؤلاء بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية وأما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل وقوله تعالى ﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾ انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾ أى أسباب معيشتهم ﴿فى الحياة الدنيا﴾ قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض﴾ فى الرزق وسائر مبادى المعاش ﴿درجات﴾ متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ ليصرف بعضهم بعضا فى مصالحهم ويستخدموهم

فى مهنهم و يتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا و يترافدوا و يصلوا الى مرافقهم لا لكمال فى الموسع و لا لنقص فى المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا فى تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنيئة وهو فى طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم فى تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها و يقوم بأمرها ﴿ و رحمت ربك ﴾ أى النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين ﴿خير مما يجمعون﴾ من حطام الدنيا الدنيئة الفانية وقوله تعالى ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حقارة شأنه بحيث لولا أن يرغب الناس لحبهم الدنيا فى الكفر اذا رأوا أهله فى سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لأعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة و ذلك قوله تعالى ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ﴾ أى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن افراد المستكن فى يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء أنه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كأنه لغة فى سقف وسقوفا ﴿ ومعارج ﴾ أى جعلنا لهم معارج من فضة أى مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج ﴿عليها يظهرون﴾ أى يعلون السطوح والعلالى ﴿ولبيوتهم﴾ أى وجعلنا لبيوتهم ﴿ أبوابا وسررا﴾ من فضة ﴿عليها﴾ أى على السرر ﴿يتكئون﴾ ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير ﴿ و زخرفا﴾ أى زينة عطف على سقفا أوذهبا عطف على محل من فضة ﴿وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا﴾ أى وما كل ماذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الاشئ يتمتع به فى الحياة الدنيا و فى معناه ماقرئ وما كل ذلك الامتاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على أن ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرئ بكسر اللام على أنها لام العلة وما موصولة قدحذف عائدها أى للذى هو متاع الخ كما فى قوله تعالى تماما على الذى أحسن ﴿والآخرة﴾ بما فيها من فنون النعم التى يقصر عنها البيان ﴿عند ربك للمتقين﴾ أى عن الكفر والمعاصى و بهذا تبين أن العظيم هو العظيم فى الآخرة لافى الدنيا ﴿ومن يعش﴾ أى يتعام ﴿عن ذكر الرحمن﴾ وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح أى يعم يقال عشى يعشى اذا كان فى بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه فى حظوظها الفانية والشهوات ﴿نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ لايفارقه و لايزال يوسوسه و يغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه أن يرفع يقيض ﴿وانهم﴾ أى الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ﴿ليصدونهم﴾ أى قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار افراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها ﴿عن السبيل﴾ المستبين الذى يدعو اليه القرآن ﴿ و يحسبون﴾ أى العاشون ﴿أنهم﴾ أى الشياطين ﴿مهتدون﴾ أى الى السبيل المستقيم والالما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا أومن فاعله أومنهما لاشتمالها على ضميريهما أى وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون اليه وصيغة المضارع فى الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجددى لقوله تعالى ﴿حتى اذا جاءنا﴾ فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتما أن تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير فى جاء ومابعده لما أن المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الأمر وتفظيع الحال والمعنى

يستمر العاشون على ماذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة ﴿قال﴾ مخاطبا له ﴿ياليت بينى و بينك﴾ فى الدنيا ﴿بعد المشرقين﴾ أى بعد المشرق والمغرب أى تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد اليهما ﴿فبئس القرين﴾ أى أنت وقوله تعالى ﴿ولن ينفعكم﴾ الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا أى لن ينفعكم ﴿اليوم﴾ أى يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم ﴿اذظلمتم﴾ أى لأجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا باتباعكم اياهم فى الكفر والمعاصى وقيل اذظلمتم بدل من اليوم أى اذتبين عندكم وعند الناس جميعا أنكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا وعليه قول من قال اذاما انتسبنا لم تلدنى لئيمة أى تبين أنى لم تلدنى لئيمة بل كريمة وقوله تعالى ﴿أنكم فى العذاب مشتركون﴾ تعليل لنفى النفع أى لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا و يجوز أن يسند الفعل اليه لكن لابمعنى لن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم فى تحمل أعبائها وتقسمهم لعنائها لأن لكل منهم مالاتبلغه طاقته كما قيل لأن الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ فى المجاهدة فى دعاء قومه وهم لايزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن فنزل ﴿أفأنت تسمع الصم أوتهدى العمى﴾ وهو انكار تعجيب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا فى الكفر واستغرقوا فى الضلال بحيث صار مابهم من العشى عمى مقرونا بالصمم ﴿ومن كان فى ضلال مبين﴾ عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار فى الضلال المفرط بحيث لاارعواء له منه لاتوهم القصور من قبل الهادى ففيه رمز الى أنه لايقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء ﴿فامانذهبن بك﴾ أى فان قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشفى بذلك صدرك وصدور المؤمنين ﴿فانا منهم منتقمون﴾ لامحالة فى الدنيا والآخرة فما مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى أنها لاتفارق النون المؤكدة ﴿أونرينك الذى وعدناهم﴾ أى أوأردنا أن نريك العذاب الذى وعدناهم ﴿فانا عليهم مقتدرون﴾ بحيث لامناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر ﴿فاستمسك بالذى أوحى اليك﴾ من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود أوأخرناه الى يوم الآخرة وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ﴿انك على صراط مستقيم﴾ تعليل للاستمساك أوللامر به ﴿وانه لذكر﴾ لشرف عظيم ﴿لك ولقومك وسوف تسألون﴾ يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ أى واسأل أممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤل عنه عين مانطقت به ألسنة الرسل لامايقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ أى هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب و يعادى ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ ملتبسا بها ﴿الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين﴾ أريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ماأشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه ﴿فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون﴾ أى فاجؤا وقت ضحكهم منها أى استهزؤا بها أول مارأوها ولم يتأملوا فيها ﴿وما نريهم من آية﴾ من

الآيات ﴿الاهي أكبر من أختها﴾ الاوهي بالغة أقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها أنها أكبر من كل مايقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة تصور في شيء منها أوالاوهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها ﴿وأخذناهم بالعذاب﴾ كالسنين والطوفان والجراد وغيرها ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكي يرجعوا عماهم عليه من الكفر ﴿وقالوا ياأيها الساحر﴾ نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرىء أيه الساحر بضم الهاء ﴿ادع لنا ربك﴾ ليكشف عنا العذاب ﴿بماعهد عندك﴾ بعهده عندك من النبوة أومن استجابة دعوتك أومن كشف العذاب عمن اهتدى أو بماعهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة ﴿اننا لمهتدون﴾ أى لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنابدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب﴾ بدعوته ﴿اذاهم ينكثون﴾ فاجؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقدمر تفصيله في الاعراف ﴿ونادى فرعون﴾ بنفسه أو بمناديه ﴿في قومه﴾ في مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا ﴿قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار﴾ أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس ﴿تجرى من تحتي﴾ أى من تحت قصرى أوأمرى وقيل من تحت سريرى لارتفاعه وقيل بين يدى في جناتي و بساتيني والواواما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجرى حال منها أوللحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبر للمبتدا ﴿أفلا تبصرون﴾ ذلك يريد به استعظام ملكه ﴿أم أنا خير﴾ مع هذه المملكة والبسطة ﴿من هذا الذى هو مهين﴾ ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ﴿ولا يكاد يبين﴾ أى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصاله عليه السلام في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقدكانت ذهبت عنه لقوله تعالى قدأوتيت سؤلك وأم امامنقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال اثر ماعدد أسباب فضله ومبادى خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أنى أناخير وهذه حالى من هذا الخ وامامتصلة فالمعنى أفلاتبصرون أم تبصرون خلاأنه وضع قوله أناخير موضع تبصرون لأنهم اذا قالواله أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لماذكر من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته ﴿فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب﴾ أى فهلا ألقى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما أنهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرىء أساور جمع أسورة وقرىء أساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرىء كذلك وقرىء ألقى عليه اسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿أوجاء معه الملائكة مقترنين﴾ مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أومتقارنين من اقترن بمعنى تقارن ﴿فاستخف قومه﴾ فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم ﴿فأطاعوه﴾ فيما أمرهم به ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوى ﴿فلما آسفونا﴾ أى أغضبونا أشد الغضب منقول من أسف اذا اشتد غضبه ﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ في اليم ﴿فجعلناهم سلفا﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ماحل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرىء بضم السين واللام على أنه جمع سليف أى فريق قد سلف كرغف أوسالف كصبر أوسلف كأسد وقرىء سلفا بابدال ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أى ثلة قد سلفت ﴿ومثلا للآخرين﴾ أى عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا﴾ أى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون

الله حصب جهنم حيث قال أهذا لنا ولآلهتنا أو لجميع الامم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا و بنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى ﴿اذا قومك منه﴾ أى من ذلك المثل ﴿يصدون﴾ أى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وقرىء يصدون أى من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أى يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى المفاجأة ﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو﴾ حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء أى ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكت عند ذلك الى أن نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ابهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الافحام من أول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روى أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ماأجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل وانما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لأن اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما أظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ﴿ماضربوه لك الاجدلا﴾ أى ماضربوا لك ذلك المثل الا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك ﴿بل هم قوم خصمون﴾ أى لدشداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم أآلهتنا خير أم هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة ومعنى ماضربوه الخ ماقالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا مايريد محمد بهذا الا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون و يضجرون والضمير في أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ماقلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن أشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقوله تعالى ﴿ان هو الا عبد أنعمنا عليه﴾ أى بالنبوة ﴿وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل﴾ أى أمرا عجيبا حقيقا بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه الأول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن أن ينسب اليه ما نسب الى الأصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان أنه قياس باطل بباطل أو

بأبطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فأين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم أهدى منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف أو أخف من حالهم وأما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم فى افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن عيسى فى الحقيقة وفيما أوحى الى الرسول عليهما الصلاة والسلام ليس الا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته أو كيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى ﴿ولو نشاء﴾ الخ لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله وأنه تعالى قادر على أبدع من ذلك وأبرع مع التنبيه على سقوط الملائكة أيضا من درجة المعبودية أى قدرتنا بحيث لو نشاء ﴿لجعلنا﴾ أى لخلقنا بطريق التوالد ﴿منكم﴾ وأنتم رجال ليس من شأنكم الولادة ﴿ملائكة﴾ كما خلقناهم بطريق الابداع ﴿فى الارض﴾ مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين فى السماء ﴿يخلفون﴾ أى يخلفونكم مثل أولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح والتقديس فى السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية أو انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ﴿وانه﴾ وان عيسى ﴿لعلم للساعة﴾ أى انه بنزوله شرط من أشراطها وتسميته علما لحصوله به أو بحدوثه بغير أب أو باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ماينكره الكفرة من الامور الواقعة فى الساعة وقرىء لعلم أى علامة وقرىء للعلم وقرىء لذكر على تسمية مايذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفى الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما أن فيه الاعلام بالساعة ﴿فلا تمترن بها﴾ فلا تشكن فى وقوعها ﴿واتبعون﴾ أى واتبعوا هداى أو شرعى أو رسولى وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهته تعالى ﴿هذا﴾ أى الذى أدعوكم اليه أو القرآن على أن الضمير فى انه له ﴿صراط مستقيم﴾ موصل الى الحق ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾ عن اتباعى ﴿انه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبلية ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ أى بالمعجزات أو بآيات الانجيل أو بالشرائع الواضحات ﴿قال﴾ لبنى اسرائيل ﴿قد جئتكم بالحكمة﴾ أى الانجيل أو الشريعة ﴿ولأبين لكم﴾ عطف على مقدر ينبىء عنه المجىء بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولأبين لكم ﴿بعض الذى تختلفون فيه﴾ وهو ما يتعلق بأمور الدين وأما مايتعلق بأمور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام أنتم أعلم بأمور دنياكم ﴿فاتقوا الله﴾ فى مخالفتى ﴿وأطيعون﴾ فيما أبلغه عنه تعالى ﴿ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه﴾ بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿هذا﴾ أى التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿صراط مستقيم﴾ لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام أو استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام ﴿فاختلف الأحزاب﴾ الفرق المتحزبة ﴿من بينهم﴾ أى من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى ﴿فويل للذين ظلموا﴾ من المختلفين ﴿من عذاب يوم أليم﴾ هو يوم القيامة ﴿هل ينظرون﴾ أى ما ينتظر الناس ﴿الا الساعة أن تأتيهم﴾ أى الا اتيان الساعة ﴿بغتة﴾ أى فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بأمور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى ﴿وهم لا يشعرون الأخلاء﴾

المتحابون فى الدنيا على الاطلاق أو فى الامور الدنيوية ﴿يومئذ﴾ يوم اذ تأتيهم الساعة ﴿بعضهم لبعض عدو﴾ لانقطاع مابينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها أسبابا للعذاب ﴿الا المتقين﴾ فان خلتهم فى الدنيا لما كانت فى الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الأول متصل وعلى الثانى منقطع ﴿ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم ﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾ صفة للمنادى أو نصب على المدح ﴿وكانوا مسلمين﴾ أى مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى مناد ياعبادى فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس أهل الاديان الباطلة رؤسهم ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ نساؤكم المؤمنات ﴿تحبرون﴾ تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة أو تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل ﴿يطاف عليهم﴾ بعد دخولهم الجنة حسبما أمروا به ﴿بصحاف من ذهب وأكواب﴾ كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هى كالقصعة وقيل أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له ﴿وفيها﴾ أى فى الجنة ﴿ماتشتهيه الأنفس﴾ من فنون الملاذ وقرىء ماتشتهى ﴿وتلذ الأعين﴾ أى تستلذه وتقر بمشاهدته وقرىء وتلذه ﴿وأنتم فيها خالدون﴾ اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف ﴿وتلك الجنة﴾ مبتدأ وخبر ﴿التى أورثتموها﴾ وقرىء ورثتموها ﴿بما كنتم تعملون﴾ فى الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الأول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها كما فى الأولين ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة﴾ بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط ﴿منها تأكلون﴾ أى بعضها تأكلون فى كل نوبة وأما الباقى فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهى مزينة بالثمار أبدا موقرة بها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ﴿ان المجرمين﴾ أى الراسخين فى الاجرام وهم الكفار حسبما ينبىء عنه ايرادهم فى مقابلة المؤمنين بالآيات ﴿فى عذاب جهنم خالدون﴾ خبر ان أو خالدون هو الخبر وفى متعلقة به ﴿لا يفتر عنهم﴾ أى لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف ﴿وهم فيه﴾ أى فى العذاب وقرىء فيها أى فى النار ﴿مبلسون﴾ آيسون من النجاة ﴿وما ظلمناهم﴾ بذلك ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ لتعريضهم أنفسهم للعذاب الخالد ﴿ونادوا﴾ خازن النار ﴿يامالك﴾ وقرىء يامال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه ﴿ليقض علينا ربك﴾ أى ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا أماته والمعنى سل ربك أن يقضى علينا وهذا لا ينافى ماذكر من ابلاسهم لأنه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة ﴿قال انكم ماكثون﴾ أى فى العذاب أبدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يجيبهم الا بعد ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد أربعين سنة ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى ﴿ولكن أكثركم للحق﴾ أى حق كان ﴿كارهون﴾ لا يقبلونه وينفرون عنه وأما الحق المعهود الذى هو التوحيد أو القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ﴿أم أبرموا أمرا﴾ كلام مبتدأ ناع على المشركين مافعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأم منقطعة

وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ أهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان أريد بالابرام الاحكام حقيقة فهى لانكار الوقوع واستبعاده وان أريد الاحكام صورة فهى لانكار الواقع واستقباحه أى أأبرم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فانا مبرمون﴾ كيدنا حقيقة لاهم أو فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما أبرموا كيدهم صورة كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون فى أنديتهم و يتشاورون فى أموره عليه الصلاة والسلام ﴿أم يحسبون﴾ أى بل أيحسبون ﴿أنا لانسمع سرهم﴾ وهو ماحدثوا به أنفسهم أو غيرهم فى مكان خال ﴿ونجواهم﴾ أى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجى ﴿بلى﴾ نحن نسمعهما ونطلع عليهما ﴿ورسلنا﴾ الذين يحفظون عليهم أعمالهم و يلازمونهم أينما كانوا ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ أى يكتبونهما أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التى من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على مايترجم عنه بلى أو حال أى نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبون ﴿قل﴾ أى للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم أو لمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم و بنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ﴿ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ أى له وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بشؤنه تعالى و بما يجوز عليه و بما لايجوز وأولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم و لده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم فى باب التوحيد مالايخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فأنا أول الآنفين أى المستنكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه وقيل ان نافية أى ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وقرئ ولد ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ أى يصفونه به من أن يكون له ولد وفى اضافة اسم الرب الى أعظم الاجرام وأقواها تنبيه على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته و ربوبيته كيف يتوهم أن يكون شئ منها جزأ منه سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش ﴿فذرهم﴾ حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلى ﴿يخوضوا﴾ فى أباطيلهم ﴿ويلعبوا﴾ فى دنياهم فان ما هم فيه من الأفعال والأقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم فى الفعل لجواب الأمر ﴿حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ من يوم القيامة فانهم يومئذ يعلمون مافعلوا وما يفعل بهم ﴿وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله﴾. الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر فى تفسير البسملة كأنه قيل وهو الذى مستحق لأن يعبد فيهما وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول واله خبرا لمبتدا محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه فى السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والأرضية وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى ﴿وهو الحكيم العليم﴾ كالدليل على ما قبله ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ اما على الدوام كالهواء أو فى بعض الأوقات كالطير ﴿وعنده علم الساعة﴾ أى العلم بالساعة التى فيها تقوم القيامة ﴿واليه ترجعون﴾ للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون

بالتاء ﴿ولا يملك الذين يدعون﴾ أى يدعونهم وقرئ بالتاء مخففا ومشددا ﴿من دونه الشفاعة﴾ كما يزعمون ﴿الا من شهد بالحق﴾ الذى هو التوحيد ﴿وهم يعلمون﴾ بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الافراد أولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالأصنام ﴿ولئن سألتهم من خلقهم﴾ أى سألت العابدين والمعبودين ﴿ليقولن الله﴾ لتعذر الانكار لغاية بطلانه ﴿فأنى يؤفكون﴾ فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى ﴿وقيله﴾ بالجر اما على أنه عطف على الساعة أى عنده علم الساعة وعلم قوله عليه الصلاة والسلام ﴿يارب﴾ الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر أو على أن الواو للقسم وقوله تعالى ﴿ان هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ جوابه وفى الاقسام به من رفع شأنه عليه الصلاة والسلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى مالايخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم أو على محل الساعة أو باضمار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة ﴿فاصفح عنهم﴾ فأعرض عن دعوتهم واقنط عن ايمانهم ﴿وقل سلام﴾ أى أمرى تسلم منكم ومتاركة ﴿فسوف يعلمون﴾ حالهم البتة وان تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على أنه داخل فى حيز قل . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سـورة الدخان

(مكية الا قوله انا كاشفو العذاب الآية . وهى سبع أو تسع وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم والكتاب المبين﴾ الكلام فيه كالذى سلف فى السورة السابقة ﴿انا أنزلناه﴾ أى الكتاب المبين الذى هو القرآن ﴿فى ليلة مباركة﴾ هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله أو أنزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة كما مر فى سورة الفاتحة و وصفها بالبركة لما أن نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الأقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد فى هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة ﴿انا كنا منذرين﴾ استئناف مبين لما يقتضى الانزال كأنه قيل انا أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا أنزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ استئناف كما قبله فان كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعى أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على أنها ليلة القدر ومعنى يفرق أنه يكتب و يفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد و آجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى الأخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح فى ليلة البراءة و يقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل و كذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الأعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل أى يفرق الله تعالى كل أمر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة ﴿أمرا من عندنا﴾ نصب على الاختصاص

أى أعنى بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية و يجوز كونه حالا من كل أمر لتخصصه بالوصف أو من ضميره فى حكيم وقد جوز أن يراد به مقابل النهى و يجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الأمر والفرقان فى المعنى أو لفعله المضمر لما أن الفرق به أو حالا من أحد ضميرى أنزلناه أى آمرين أو مأمورا به ﴿انا كنا مرسلين﴾ بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى ﴿رحمة من ربك﴾ غاية للارسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد و باعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أى انا أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم و وضع الرب موضع الضمير للايذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمرا على أن قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما فى قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له أى يفرق فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا و لا ريب فى أن كلا من قسمة الأرزاق وغيرها والأوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرىء رحمة بالرفع أى تلك رحمة وقوله تعالى ﴿انه هو السميع العليم﴾ تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لاتحق الا لمن هذه نعوته ﴿رب السموات والارض ومابينهما﴾ بدل من ربك أو بيان أو نعت وقرىء بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على اضمار مبتدا ﴿ان كنتم موقنين﴾ أى ان كنتم من أهل الايقان فى العلوم أو ان كنتم موقنين فى اقراركم بأنه تعالى رب السموات والارض ومابينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا أو ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك ﴿لا اله الا هو﴾ جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ ومابينهما اعتراض ﴿يحيي و يميت﴾ مستأنفة كما قبلها و كذا قوله تعالى ﴿ربكم و رب آبائكم الأولين﴾ باضمار مبتدا أو بدل من رب السموات على قراءة الرفع أو بيان أو نعت له وقيل فاعل ليميت و فى يحيي ضمير راجع الى رب السموات وقرىء بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر ﴿بل هم فى شك﴾ مما ذكر من شئونه تعالى غير موقنين فى اقرارهم ﴿يلعبون﴾ لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب والفاء فى قوله تعالى ﴿فارتقب﴾ لترتيب الارتقاب أو الأمر به على ماقبلها فان كونهم فى شك مما يوجب ذلك حتما أى فانتظر لهم ﴿يوم تأتى السماء بدخان مبين﴾ أى يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه و بين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره أو لأن فى عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار و كثرة الغبار أو لأن العرب تسمى الشر الغالب دخانا وذلك أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل و يسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى ﴿يغشى الناس﴾ أى يحيط بهم ﴿هذا عذاب أليم﴾ أى قائلين ذلك فمشى اليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم و واعدوه ان دعا لهم و كشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى ﴿ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون﴾ وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم و به أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فيدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ و يعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة

أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره والأول هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى ﴿أنى لهم الذكرى﴾ الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم فى الوعد بالايمان المنبىء عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية أى كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك و يفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ أى والحال أنهم شاهدوا من دواعى التذكر وموجبات الاتعاظ ماهو أعظم منه فى ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن و بين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ﴿ثم تولوا عنه﴾ عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ماشاهدوه من العظائم الموجبة للاقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولى ﴿وقالوا﴾ فى حقه ﴿معلم مجنون﴾ أى قالوا تارة يعلمه غلام أعجمى لبعض ثقيف وأخرى مجنون أو يقول بعضهم كذا و آخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى وقوله تعالى ﴿انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون﴾ جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض أى انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا أو زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل فى الفعلين للدلالة على تحققهما لامحالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فما لبثوا أن عادوا الى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين يوما و ريثما يكشفه عنهم يرتدون و لا يتمهلون ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ﴿انا منتقمون﴾ لا لمنتقمون لأن ان مانعة من ذلك أى يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتى الخ وقرىء نبطش أى نحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة أو نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرىء نبطش بضم الطاء وهى لغة ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ أى امتحناهم بارسال موسى عليه السلام أو أوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرىء بالتشديد للمبالغة أو لكثرة القوم ﴿وجاءهم رسول كريم﴾ على الله تعالى أو على المؤمنين أو فى نفسه لأن الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه و كرامهم ﴿أن أدوا الى عباد الله﴾ أى بأن أدوا الى بنى اسرائيل وأرسلوهم معى أو بأن أدوا الى ياعباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لأن مجىء الرسول لايكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أى جاءهم بأن الشأن أدوا الى الخ وقوله تعالى ﴿انى لكم رسول أمين﴾ تعليل للأمر أو لوجوب المأمور به أى رسول غير ظنين قد ائتمننى الله تعالى على وحيه وصدقنى بالمعجزات القاهرة ﴿وأن لاتعلوا على الله﴾ أى لاتتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه و برسوله وأن كالتى سلفت وقوله تعالى ﴿انى آتيكم﴾ أى من جهته تعالى ﴿بسلطان مبين﴾ تعليل للنهى أى آتيكم بحجة واضحة لاسبيل الى انكارها و آتيكم على صيغة الفاعل أو المضارع وفى ايراد الاداء مع الأمين والسلطان مع العلا من الجزالة مالايخفى ﴿وانى عذت بربى و ربكم﴾ أى التجأت اليه وتوكلت عليه ﴿أن ترجمون﴾ من أن ترجمونى أى تؤذونى ضربا أو شتما أو أن تقتلونى قيل لما قال وأن لاتعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرىء بادغام الذال فى التاء ﴿وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون﴾ أى وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لى فخلونى كفافا لا علىّ ولا لى ولا تتعرضوا الى بشر ولا أذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم

الى مافيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا أسباب الوصلة عنى فلاموالاة بينى و بين من لا يؤمن يأباه المقام ﴿فدعا ربه﴾ بعد ماتموا على تكذيبه عليه السلام ﴿أن هؤلاء﴾ أى بأن هؤلاء ﴿قوم مجرمون﴾ وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر مااستوجبوه به و لذلك سمى دعاء وقرىء بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم مايستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴿فأسر بعبادى ليلا﴾ باضمار القول اما بعد الفاء أى فقال ربه أسر بعبادى واما قبلها كأنه قيل قال ان كان الأمر كما تقول فأسر بعبادى أى بنى اسرائيل فقد دبر الله تعالى أن تتقدموا وقرىء بوصل الهمزة من سرى ﴿انكم متبعون﴾ أى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ماعلموا بخروجكم ﴿واترك البحر رهوا﴾ مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ماجاوزته و لا تضربه بعصاك لينطبق و لا تغيره عن حاله ليدخله القبط ﴿انهم جند مغرقون﴾ وقرىء أنهم بالفتح أى لأنهم ﴿كم تركوا﴾ أى كثيرا تركوا بمصر ﴿من جنات وعيون و زروع ومقام كريم﴾ محافل مزينة ومنازل محسنة ﴿ونعمة﴾ أى تنعم ﴿كانوا فيها فاكهين﴾ متنعمين وقرىء فكهين ﴿كذلك﴾ الكاف فى حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا أى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها ﴿وأورثناها قوما آخرين﴾ وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها وقيل فى حيز الرفع على الخبرية أى الأمر كذلك فحينئذ يكون أورثناها معطوفا على تركوا وعلى الأولين على الفعل المقدر ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم و بحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والأرض ومنه ماروى ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره فى الأرض وقيل تقديره أهل السماء والأرض ﴿وما كانوا﴾ لما جاء وقت هلاكهم ﴿منظرين﴾ ممهلين الى وقت آخر أو الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا ﴿ولقد نجينا بنى اسرائيل﴾ بأن فعلنا بفرعون وقومه مافعلنا ﴿من العذاب المهين﴾ من استعباد فرعون اياهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم ﴿من فرعون﴾ بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف أى عذاب فرعون أو حال من المهين أى كائنا من فرعون وقرىء من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وتفرعنه و فى ابهام أمره أو لا وتبيينه بقوله تعالى ﴿انه كان عاليا من المسرفين﴾ ثانيا من الافصاح عن كنه أمره فى الشر والفساد مالا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان أى كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير فى عاليا أى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا فى الاسراف ﴿ولقد اخترناهم﴾ أى بنى اسرائيل ﴿على علم﴾ أى عالمين بانهم أحقاء بالاختيار أو عالمين بأنهم يزيغون فى بعض الأوقات و يكثر منهم الفرطات ﴿على العالمين﴾ جميعا لكثرة الأنبياء فيهم أو على عالمى زمانهم ﴿وآتيناهم من الآيات﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التى لم يعهد مثلها فى غيرهم ﴿مافيه بلاء مبين﴾ نعمة جلية أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ﴿ان هؤلاء﴾ يعنى كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم فى الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ماحل بهم ﴿ليقولون انهى الاموتتنا الأولى﴾ أى ماالعاقبة ونهاية الأمر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولاقصد فيه الى اثبات موتة أخرى كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ماهى الاموتتنا الاولى أى ماالموتة التى تعقبها حياة الاالموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الاهذه الموتة دون الموتة التى تعقب حياة القبر كما تزعمون ﴿ومانحن بمنشرين﴾ بمبعوثين ﴿فأتوا بآبائنا﴾ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ان كنتم صادقين﴾

فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصى ابن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم فى المهمات والملمات ﴿أهم خير﴾ رد لقولهم وتهديد لهم أى أهم خير فى القوة والمنعة اللتين يدفع بهما أسباب الهلاك ﴿أم قوم تبع﴾ هو تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة و بنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين و لذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب فى عنوان كتابه بسم الله الذى ملك بحرا و برا أى بحارا كثيرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاتسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ماأدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لأنهم يتقيلون ﴿والذين من قبلهم﴾ عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود وأضرابهم من كل جبار عنيد أولى بأس شديد والاستفهام لتقرير أن أولئك أقوى من هؤلاء وقوله تعالى ﴿أهلكناهم﴾ استئناف لبيان عاقبة أمرهم وقوله تعالى ﴿انهم كانوا مجرمين﴾ تعليل لاهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا فى غاية القوة والشدة فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم فى الاجرام أضعف منهم فى الشدة والقوة أولى ﴿وماخلقنا السموات والارض ومابينهما﴾ أى مابين الجنسين وقرىء ومابينهن ﴿لاعبين﴾ لاهين من غير أن يكون فى خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ﴿ماخلقناهما﴾ ومابينهما ﴿الا بالحق﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو أعم الأسباب أى ما خلقناهما ملتبسا بشىء من الأشياء الاملتبسا بالحق أوماخلقناهما بسبب من الأسباب الا بسبب الحق الذى هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ أن الأمر كذلك فينكرون البعث والجزاء ﴿ان يوم الفصل﴾ أى فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه ﴿ميقاتهم﴾ وقت موعدهم ﴿أجمعين﴾ وقرىء ميقاتهم بالنصب على أنه اسم ان و يوم الفصل خبرها أى ان ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل ﴿يوم لايغنى﴾ بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لا لنفسه ﴿مولى﴾ من قرابة أو غيرها ﴿عن مولى﴾ أى مولى كان ﴿شيئا﴾ أى شيأ من الاغناء ﴿ولاهم ينصرون﴾ الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لأنه عام ﴿الا من رحم الله﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة فى حقه ومحله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء ﴿انه هو العزيز﴾ الذى لاينصر من أراد تعذيبه ﴿الرحيم﴾ لمن أراد أن يرحمه ﴿ان شجرة الزقوم﴾ وقرىء بكسر الشين وقدمر معنى الزقوم فى سورة الصافات ﴿طعام الاثيم﴾ أى الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ماقبله ومابعده عليه ﴿كالمهل﴾ وهو مايمهل فى النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت ﴿يغلى فى البطون﴾ وقرىء بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة ﴿كغلى الحميم﴾ غليانا كغليه ﴿خذوه﴾ على ارادة القول والخطاب للزبانية ﴿فاعتلوه﴾ أى جروه والعتل الاخذ بمجامع الشىء وجره بقهر وعنف وقرىء بضم التاء وهى لغة فيه ﴿الى سواء الجحيم﴾ أى وسطه ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ كان الأصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب الى الحميم للتخفيف و زيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع ﴿ذق انك أنت العزيز الكريم﴾ أى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ماكان يزعمه روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم مابين جبليها أعز ولا أكرم منى فوالله ماتستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ وقرىء بالفتح أى لأنك أو عذاب أنك ﴿ان هذا﴾ أى العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾ تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لأن المراد جنس الاثيم ﴿ان المتقين﴾ أى عن الكفر والمعاصى ﴿فى مقام﴾ فى موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذى شاع استعماله فى معنى العموم وقرىء بضم الميم وهو موضع اقامة ﴿أمين﴾ يامن صاحبه الآفات والانتقال عنه

وهو من الامن الذى هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه لما يلقى فيه من المكاره ﴿فى جنات وعيون﴾ بدل من مقام جى٫ به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب ﴿يلبسون من سندس واستبرق﴾ اماخبر ثان أو حال من الضمير فى الجار أو استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ماغلظ منه معرب ﴿متقابلين﴾ فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض ﴿كذلك﴾ أى الأمر كذلك أو كذلك أثبناهم ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ على الوصف وقرى٫ بالاضافة أى قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف فى أنهن نساء الدنيا أو غيرها ﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾ أى يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شى٫ منها بمكان ولازمان ﴿آمنين﴾ من كل ما يسوؤهم ﴿لايذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى﴾ بل يستمرون على الحياة أبدا والاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا أمكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ وقرى٫ مشددا للمبالغة فى الوقاية ﴿فضلا من ربك﴾ أى أعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرى٫ بالرفع أى ذلك فضل ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ الذى لافوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى ﴿فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون﴾ فذلكة للسورة الكريمة أى انما أنزلنا الكتاب المبين بلغتك كى يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك ﴿فارتقب﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿انهم مرتقبون﴾ ما يحل بك ٭ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له

سـورة الجاثية

(مكية وهى سبع أو ست وثلاثون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ الكلام فيه كما مر فى فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى ﴿تنزيل الكتاب﴾ على الأول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدا مضمر يلوح به ماقبله أى المؤلف من جنس ماذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم أى المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا أن الذى يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لاعهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها وأما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على أصله أى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ كما مر فى صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ﴿ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين﴾ وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما فى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وهو الاوفق بقوله تعالى ﴿وفى خلقكم﴾ أى من نطفة ثم من علقة متقلبة فى أطوار مختلفة الى تمام الخلق ﴿وما يبث من دابة﴾ عطف على المضاف دون المضاف اليه أى

وفيما ينشره ويفرقه من دابة ﴿آيات﴾ بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرى٫ آية بالتوحيد وقرى٫ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كأنه قيل وان فى خلقكم وما يبث من دابة آيات ﴿لقوم يوقنون﴾ أى من شأنهم أن يوقنوا بالأشياء على ما هى عليه ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالجر على اضمار الجار المذكور فى الآيتين قبله وقد قرى٫ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما أو تفاوتهما طولا وقصرا ﴿وما أنزل الله من السماء﴾ عطف على اختلاف ﴿من رزق﴾ أى من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتى القدرة والرحمة ﴿فأحيى به الأرض﴾ بأن أخرج منها أصناف الزروع والثمرات والنبات ﴿بعد موتها﴾ وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو أشجارها عن الثمار ﴿وتصريف الرياح﴾ من جهة الى أخرى ومن حال الى حال وقرى٫ بتوحيد الريح وتأخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود اما للايذان بأنه آية مستقلة حيث لو روعى الترتيب الوجودى لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لأن كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التى من جملتها سوق السفن فى البحار ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرى٫ بالنصب على الاختصاص وقيل على أنها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما ان وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف والنصب فى آيات وتنكير آيات فى المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات فى الدقة والجلاء ﴿تلك آيات الله﴾ مبتدأ وخبر وقوله تعالى ﴿نتلوها عليك﴾ حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل أو عطف بيان ﴿بالحق﴾ حال من فاعل نتلو ومن مفعوله أى نتلوها محقين أو ملتبسة بالحق ﴿فبأى حديث﴾ من الأحاديث ﴿بعد الله وآياته﴾ أى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم أعجبنى زيد وكرمه أو بعد حديث الله الذى هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بآياته أيضا ومناط العطف التغاير العنوانى ﴿يؤمنون﴾ بصيغة الغيبة وقرى٫ بالتاء ﴿ويل لكل أفاك﴾ كذاب ﴿أثيم﴾ كثير الآثام ﴿يسمع آيات الله﴾ صفة أخرى لأفاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير فى أثيم ﴿تتلى عليه﴾ حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لأن شرطه أن يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ﴿ثم يصر﴾ أى يقيم على كفره وأصله من اصرار الحمار على العانة ﴿مستكبرا﴾ عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الأباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان يشترى من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التى حقها أن تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما فى قول من قال

يرى غمرات الموت ثم يزورها

﴿كأن لم يسمعها﴾ أى كأنه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر أى يصر شبيها بغير السامع ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ على اصراره واستكباره ﴿واذا علم من آياتنا شيئا﴾ أى اذا بلغه من آياتنا شى٫ وعلم أنه من آياتنا لا أنه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوصل به الى الطعن والغميزة ﴿اتخذها﴾ أى الآيات كلها ﴿هزوا﴾ أى مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشى٫ والتأنيث

لأنه فى معنى الآية ﴿أولئك﴾ اشارة الى كل أفاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما فى قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما أن الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد ﴿لهم﴾ بسبب جناياتهم المذكورة ﴿عذاب مهين﴾ وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى ﴿من ورائهم جهنم﴾ أى من قدامهم لأنهم متوجهون الى ما أعد لهم أو من خلفهم لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف وقدام ﴿ولا يغنى عنهم﴾ ولا يدفع ﴿ما كسبوا﴾ من الأموال والأولاد ﴿شيئا﴾ من عذاب الله تعالى أو شيئا من الاغناء ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أى الأصنام وتوسيط حرف النفى بين المعطوفين مع أن عدم اغناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم اغناء الأموال والأولاد قطعا مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون فى شفاعتهم وفيه تهكم ﴿ولهم﴾ فيما وراءهم من جهنم ﴿عذاب عظيم﴾ لا يقادر قدره ﴿هذا﴾ أى القرآن ﴿هدى﴾ فى غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها ﴿والذين كفروا﴾ أى بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى ﴿بآيات ربهم﴾ لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم ﴿لهم عذاب من رجز﴾ أى من أشد العذاب ﴿أليم﴾ بالرفع صفة عذاب وقرىء بالجر على أنه صفة رجز وتنوين عذاب فى المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية ﴿الله الذى سخر لكم البحر﴾ بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه ﴿لتجرى الفلك فيه بأمره﴾ وأنتم راكبوها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكى تشكروا النعم المترتبة على ذلك ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض﴾ من الموجودات بأن جعلها مدارا لمنافعكم ﴿جميعا﴾ اما حال من ما فى السموات والارض أو توكيد له ﴿منه﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا أو حال من ما أى جميعا كائنا منه تعالى أو سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى أو خبر لمحذوف أى هى جميعا منه تعالى وقرىء منة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الاسناد المجازى أو خبر مبتدأ محذوف أى ذلك منه ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من الامور العظام ﴿لآيات﴾ عظيمة الشأن كثيرة العدد ﴿لقوم يتفكرون﴾ فى بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها ﴿قل للذين آمنوا﴾ حذف المقول لدلالة ﴿يغفروا﴾ عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط أى قل لهم اغفروا يغفروا ﴿للذين لا يرجون أيام الله﴾ أى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه غفارى فهم أن يبطش به وقيل حين قال ابن أبى ما قال وذلك أنهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل ابن أبى غلامه يستقى فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحدا يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب أبى بكر فقال ابن أبى ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فأنزلها الله تعالى ﴿ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾ تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم أى أمروا بذلك ليجزى يوم القيامة قوما أيما قوم قوما مخصوصين بما كسبوا فى الدنيا من الاعمال الحسنة التى من جملتها الصبر على أذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز أن يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التى من جملتها ما حكى من

الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه أن مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديرى المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بأن لا يتحقق بعض منه فى الدنيا أو بما يصدر عنه تعالى بالذات وفى ذلك من التكلف مالا يخفى وأن يراد كلا الفريقين وهو أكثر تكلفا وأشد تمحلا وقرىء ليجزى قوم وليجزى قوما أى ليجزى الجزاء قوما وقرىء لنجزى بنون العظمة ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ لا يكاد يسرى عمل الى غير عامله ﴿ثم الى ربكم﴾ مالك أموركم ﴿ترجعون﴾ فيجازيكم على أعمالكم خيرا كان أو شرا ﴿ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب﴾ أى التوراة ﴿والحكم﴾ أى الحكمة النظرية والعملية والفقه فى الدين أو فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم ﴿والنبوة﴾ حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ مما أحل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ حيث آتيناهم مالم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمى زمانهم ﴿وآتيناهم بينات من الامر﴾ دلائل ظاهرة فى أمر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو العلم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره وأنه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب ﴿فما اختلفوا﴾ فى ذلك الامر ﴿الا من بعد ما جاءهم العلم﴾ بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه ﴿بغيا بينهم﴾ أى عداوة وحسدا لا شكا فيه ﴿ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة﴾ بالمؤاخذة والجزاء ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الدين ﴿ثم جعلناك على شريعة﴾ أى سنة وطريقة عظيمة الشأن ﴿من الامر﴾ أى أمر الدين ﴿فاتبعها﴾ باجراء أحكامها فى نفسك وفى غيرك من غير اخلال بشىء منها ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ أى آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع الى دين آبائك ﴿انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ مما أراد بك ان اتبعتهم ﴿وان الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ لا يواليهم ولا يتبع أهواءهم الا من كان ظالما مثلهم ﴿والله ولى المتقين﴾ الذين أنت قدوتهم فدم على ما أنت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية ﴿هذا﴾ أى القرآن أو اتباع الشريعة ﴿بصائر للناس﴾ فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب ﴿وهدى﴾ من ورطة الضلالة ﴿ورحمة﴾ عظيمة ﴿لقوم يوقنون﴾ من شأنهم الايقان بالامور ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ استئناف مسوق لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالى الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثانى والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما فى قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ﴿أن نجعلهم﴾ أى نصيرهم فى الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوى الاحوال ﴿كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم فى الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ أى محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير فى الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوى ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون فى شىء منهما فان هؤلاء فى عز الايمان والطاعة وشرفهما فى المحيا وفى رحمة الله تعالى ورضوانه فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى وهوانهما فى المحيا وفى لعنة الله والعذاب الخالد فى الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات وقرىء محياهم ومماتهم

بالنصب على أنهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله أى حال كونهم مستوين فى محياهم ومماتهم وقد ذكر فى الآية
الكريمة وجوه أخر من الاعراب والذى يليق بجزالة التنزيل هو الأول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على أنه خبر ومحياهم
مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وأياما كان فنسبة حسبان التساوى اليهم فى ضمن الانكار التوبيخى مع
أنهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة فى الانكار والتشديد فى التوبيخ فان انكار حسبان التساوى
والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وآكده ﴿ساء مايحكمون﴾ أى ساء حكمهم
هذا أو بئس شيأ حكموا به ذلك ﴿وخلق الله السموات والارض بالحق﴾ استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان
خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضى للعدل يستدعى لامحالة تفضيل المحسن على المسئ فى المحيا والممات وانتصار
المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك فى المحيا فهو بعد الممات حتما ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ عطف على بالحق
لأن فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لأجل ذلك ولتجزى
الخ أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى ﴿وهم﴾ أى النفوس المدلول عليها بكل نفس ﴿لا
يظلمون﴾ بنقص ثواب أو بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع أنه ليس كذلك على ماعرف من قاعدة أهل السنة
لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عماذكر بتنزيله منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ الهه
هواه﴾ تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه عبده أى أنظرت فرأيته فان ذلك مما يقضى
منه العجب وقرئ آلهة هواه لأن أحدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه فكأنه اتخذ آلهة
شتى ﴿وأضله الله﴾ وخذله ﴿على علم﴾ أى عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها ﴿وختم
على سمعه وقلبه﴾ بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر فى الآيات والنذر ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ مانعة عن
الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ أى من بعد اضلاله تعالى
اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى الغى ﴿أفلا تذكرون﴾ أى ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على
الاصل ﴿وقالوا﴾ بيان لأحكام ضلالهم المحكى أى قالوا من غاية غيهم وضلالهم ﴿ماهى﴾ أى ما الحياة ﴿الاحياتنا الدنيا﴾
التى نحن فيها ﴿نموت ونحيا﴾ أى يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفا وماقبلها ومابعدها
ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به التناسخ فانه
عقيدة أكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيا ﴿وما يهلكنا الا الدهر﴾ الا مرور الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم
من دهره أى غلبه وقرئ الادهر يمر وكانوا يزعمون أن المؤثر فى هلاك الانفس هو مرور الايام والليالى وينكرون
ملك الموت وقبضه للارواح بأمر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر ﴿وما لهم بذلك﴾ أى بما ذكر من
اقتصار الحياة على مافى الدنيا واستناد الحياة والموت الى الدهر ﴿من علم﴾ مامستند الى عقل أو نقل ﴿ان هم الا
يظنون﴾ ماهم الاقوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شئ يصح أن يتمسك به فى الجملة هذا معتقدهم
الفاسد فى أنفسهم ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا﴾ الناطقة بالحق الذى من جملته البعث ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على
مانطقت به أو مبينات له ﴿ماكان حجتهم﴾ بالنصب على أنه خبر كان أى ماكان متمسكا لهم شئ من الاشياء ﴿الا
أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين﴾ فى أنا نبعث بعد الموت أى الا هذا القول الباطل الذى يستحيل أن يكون
من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم أو لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع

وقرئ برفع حجتهم على أنها اسم كان فالمعنى ماكان حجتهم شيأ من الاشياء الا هذا القول الباطل ﴿قل الله
يحييكم﴾ ابتداء ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ﴿ثم يجمعكم﴾
بعد الموت ﴿الى يوم القيامة﴾ للجزاء ﴿لاريب فيه﴾ أى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة
اقتضت الجمع للجزاء لامحالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة
التشريعية امتنع ايقاعه ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ استدراك من قوله تعالى لاريب فيه وهو اما من تمام
الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن ارتيابهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكر
لالان فيه شائبة ريب ما ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما
وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ﴿ويوم تقوم
الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ العامل فى يوم يخسر ويومئذ بدل منه ﴿وترى كل أمة﴾ من الأمم المجموعة ﴿جاثية﴾
باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية أى جالسة على أطراف الاصابع والجذو أشد استيفازا من الجثو وعن ابن
عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهى الجماعة ﴿كل أمة تدعى الى كتابها﴾ الى صحيفة
أعمالها وقرئ كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أو حال أو مفعول ثان ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾
أى يقال لهم ذلك وقوله تعالى ﴿هذا كتابنا﴾ الخ من تمام مايقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوبا بأمر الله
تعالى أضيف الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ﴿ينطق عليكم﴾
أى يشهد عليكم ﴿بالحق﴾ من غير زيادة ولا نقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى
﴿انا كنا نستنسخ﴾ الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشئ منها أى انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة
﴿ما كنتم تعملون﴾ فى الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة وقوله تعالى ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
ربهم فى رحمته﴾ أى فى جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ماخوطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد
﴿ذلك﴾ أى الذى ذكر من الادخال فى رحمته تعالى ﴿هو الفوز المبين﴾ الظاهر كونه فوزا لافوز وراءه ﴿وأما الذين
كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم﴾ أى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم يكن تأتيكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى
عليكم لحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه ﴿فاستكبرتم﴾ عن الايمان بها ﴿وكنتم قوما مجرمين﴾ أى
قوما عادتهم الاجرام ﴿واذا قيل ان وعد الله﴾ أى ماوعده من الامور الآتية أو وعده بذلك ﴿حق﴾ أى واقع
لامحالة أو مطابق للواقع ﴿والساعة﴾ التى هى أشهر ماوعده ﴿لاريب فيها﴾ أى فى وقوعها وقرئ والساعة بالنصب
عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها ﴿قلتم﴾ لغاية عتوكم ﴿ماندرى ما الساعة﴾ أى أى شئ
هى استغرابا لها ﴿ان نظن الا ظنا﴾ أى مانفعل الا ظنا وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان أتبع الا مايوحى الى وقيل
مانعتقد الا ظنا أى لا علما وقيل مانحن الا نظن ظنا وقيل مانظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى ﴿وما نحن بمستيقنين﴾
أى لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ماهى الا حياتنا الدنيا ﴿وبدا
لهم﴾ أى ظهر لهم حينئذ ﴿سيئات ماعملوا﴾ على ماهى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها أو
جزاءها فان جزاء السيئة سيئة ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ من الجزاء والعقاب ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾
نترككم فى العذاب ترك المنسى ﴿كما نسيتم﴾ فى الدنيا ﴿لقاء يومكم هذا﴾ أى كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة
اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ﴿ومأواكم النار ومالكم من ناصرين﴾ أى مالاحد منكم ناصر واحد يخلصكم

منها ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿بأنكم﴾ بسبب أنكم ﴿اتخذتم آيات الله هزوا﴾ مهزوءا بها ولم ترفعوا لها رأسا ﴿وغرتكم الحيوة الدنيا﴾ فحسبتم أن لاحياة سواها ﴿فاليوم لايخرجون منها﴾ أى من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أى يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه لفوات أوانه ﴿فلله الحمد﴾ خاصة ﴿رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان بأن ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو ﴿وله الكبرياء فى السموات والأرض﴾ لظهور آثارها وأحكامها فيهما واظهارهما فى موقع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء ﴿وهو العزيز﴾ الذى لا يغلب ﴿الحكيم﴾ فى كل ماقضى وقدر فاحمدوه وكبروه وأطيعوه . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الأحقاف

(مكية وآيها أربع أو خمس وثلاثون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ الكلام فيه كالذى مر فى مطلع السورة السابقة ﴿ماخلقنا السموات والأرض﴾ بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما ﴿وما بينهما﴾ من المخلوقات ﴿الا بالحق﴾ استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية أو من أعم الاحوال من فاعل خلقنا أو من مفعوله أى ماخلقناها فى حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق أو حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء أفعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة مالا يخفى ﴿وأجل مسمى﴾ عطف على الحق بتقدير مضاف أى وبتقدير أجل مسمى ينتهى اليه أمر الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ فان ما أنذروه يوم القيامة ومافيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر أعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية أى ماخلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذى يجازون عنده والحال أنهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له ﴿قل﴾ توبيخا لهم وتبكيتا ﴿أرأيتم﴾ أخبرونى وقرئ أرأيتكم ﴿ماتدعون﴾ ماتعبدون ﴿من دون الله﴾ من الاصنام ﴿أرونى﴾ تأكيد لأرأيتم ﴿ماذا خلقوا من الارض﴾ بيان للابهام فى ماذا ﴿أم لهم شرك﴾ أى شركة مع الله تعالى ﴿فى السموات﴾ أى فى خلقها أو ملكها وتدبيرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان مالا مدخل له فى وجود شىء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ﴿ائتونى بكتاب﴾ الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى أى ائتونى بكتاب الهى كائن ﴿من قبل هذا﴾ الكتاب أى القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم ﴿أو أثارة من علم﴾ أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى دعواكم فانها لاتكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلى أو سلطان نقلى وحيث لم يقم عليها شىء منهما وقد قامت على

خلافها أدلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة أى مناظرة فانها تثير المعانى وأثرة أى شىء أوثرتم به وخصصتم من علم مطوى من غيركم وأثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء أما المكسورة فبمعنى الاثرة وأما المفتوحة فهى المرة من أثر الحديث أى رواه وأما المضمومة فاسم مايؤثر كالخطبة التى هى اسم مايخطب به ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له﴾ انكار ونفى لأن يكون أحد يساوى المشركين فى الضلال وان كان سبك التركيب لنفى الاضل منهم من غير تعرض لنفى المساوى كما مر غير مرة أى هم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العارى عن السمع والقدرة والاستجابة ﴿الى يوم القيامة﴾ غاية لنفى الاستجابة ﴿وهم عن دعائهم﴾ الضمير الاول لمفعول يدعو والثانى لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما سبق باعتبار لفظها ﴿غافلون﴾ لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم الآية ﴿واذا حشر الناس﴾ عند قيام القيامة ﴿كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ أى مكذبين بلسان الحال أو المقال على مايروى أنه تعالى يحيى الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز أن يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم أو عن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ واضحات أو مبينات ﴿قال الذين كفروا للحق﴾ أى لاجله وفى شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة ﴿لما جاءهم﴾ أى فى أول ماجاءهم من غير تدبر وتأمل ﴿هذا سحر مبين﴾ أى ظاهر كونه سحرا ﴿أم يقولون افتراه﴾ اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ماهو أشنع منها وما فى أم من الهمزة للانكار التوبيخى المتضمن للتعجيب أى بل أيقولون افترى القرآن ﴿قل ان افتريته﴾ على الفرض ﴿فلا تملكون لى من الله شيئا﴾ اذ لاريب فى أنه تعالى يعاجلنى حينئذ بالعقوبة فكيف أجترئ على أن أفترى عليه تعالى كذبا فأعرض نفسى للعقوبة التى لامناص عنها ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى ﴿كفى به شهيدا بينى وبينكم﴾ حيث يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو مالامثل له وقرئ بفتح الدال على أنه صفة كقيم وزيم أو جمع مقدر بمضاف أى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الاولى أيضا على أنه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فأمر عليه السلام بأن يقول لهم ما كنت بديعا من الرسل قادرا على مالم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ماتقترحونه وأخبركم بكل ماتسألون عنه من الغيوب فان من قبلى من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بما أوحى اليهم ﴿وما أدرى مايفعل بى ولا بكم﴾ أى أى شىء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من أفعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رضى الله عنه ما أدرى مايصير اليه أمرى وأمركم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما مايفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وقيل يجوز أن يكون المنفى هى الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر

من سبب النزول أن ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ماسيقع فى الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحى الناطق بتفاصيل مايفعل بالجانبين هذا وقد روى عن الكلبى أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى مايفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض ذات نخيل وشجر قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه وجوز أن تكون ما موصولة والاستفهامية أقضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفى المنسحب اليه وتأكيده وقرئ مايفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ﴿ان أتبع الا مايوحى الى﴾ أى ما أفعل الا اتباع مايوحى الى على معنى قصر أفعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحى لاقصر اتباعه على الوحى كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا عن أذية المشركين والاول هو الأوفق لقوله تعالى ﴿وما أنا الا نذير﴾ أنذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الى ﴿مبين﴾ بين الانذار بالمعجزات الباهرة ﴿قل أرأيتم ان كان﴾ أى مايوحى الى من القرآن ﴿من عند الله﴾ لاسحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى ﴿وكفرتم به﴾ حال باضمار قد من الضمير فى الخبر وسطت بين أجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان كما فى قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على أن نظمه فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله فى نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به أمر محقق عندهم أيضا وانما ترددهم فى أن ذلك كفر بما من عند الله تعالى أم لا وكذا الحال فى قوله تعالى ﴿وشهد شاهد من بنى اسرائيل﴾ وما بعده من الفعلين فان الكل أمور محققة عندهم وانما ترددهم فى أنها شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه أولا والمعنى أخبرونى ان كان ذلك فى الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بنى اسرائيل الواقفين على شؤن الله تعالى وأسرار الوحى بما أوتوا من التوراة ﴿على مثله﴾ أى مثل القرآن من المعانى المنطوية فى التوراة المطابقة لما فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين مافيه فى الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفى الصحف الأولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات أخر أو على مثل ماذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء فى قوله تعالى ﴿فآمن﴾ للدلالة على أنه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحى الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبى المنتظر فقال له انى سائلك عن ثلاث لايعلمهن الا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا فقام ثم قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يارسول الله وأحذر قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد

موسى عليه السلام وشهادته بما فى التوراة من بعثة النبى عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبى وقال مسروق والله مانزلت فى عبدالله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبى بأن الآية مدنية وان كانت السورة مكية ﴿واستكبرتم﴾ عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى أخبرونى ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك أعلم بنى اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد وقوله تعالى ﴿ان الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم ﴿وقال الذين كفروا﴾ حكاية لبعض آخر من أقاويلهم الباطلة فى حق القرآن العظيم والمؤمنين به أى قال كفار مكة ﴿للذين آمنوا﴾ أى لاجلهم ﴿لو كان﴾ أى ماجاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين ﴿خيرا ماسبقونا اليه﴾ فان معالى الامور لاينالها أيدى الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم أن الرياسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم أنها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وأن من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ويأباه أن السورة مكية ولا بد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة ﴿واذ لم يهتدوا به﴾ ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده أى واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا ﴿فسيقولون﴾ غير مكتفين بنفى خيريته ﴿هذا افك قديم﴾ كما قالوا أساطير الأولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ﴿ومن قبله﴾ أى من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى ﴿كتاب موسى﴾ قيل والجملة حالية أو مستأنفة وأياما كان فهو لرد قولهم هذا افك قديم وابطاله فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا ﴿اماما ورحمة﴾ حالان من كتاب موسى أى اماما يقتدى به فى دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه ﴿وهذا﴾ الذى يقولون فى حقه مايقولون ﴿كتاب﴾ عظيم الشأن ﴿مصدق﴾ أى لكتاب موسى الذى هو امام ورحمة أو لما من بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك ﴿لسانا عربيا﴾ حال من ضمير الكتاب فى مصدق أو من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الأول مصدق وقيل مفعول لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى ﴿لينذر الذين ظلموا﴾ متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الأخير القراءة بتاء الخطاب ﴿وبشرى للمحسنين﴾ فى حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل فى محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر أى وهو بشرى وقيل على أنه عطف على مصدق ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى أمور الدين التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تراخى رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد ﴿فلا خوف عليهم﴾ من لحوق مكروه ﴿ولا هم يحزنون﴾ من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفى الحزن لابيان نفى دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين ﴿أصحاب الجنة خالدين فيها﴾ حال من المستكن فى أصحاب وقوله تعالى ﴿جزاء﴾ منصوب اما بعامل مقدر أى يجزون جزاء أو بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى أولئك أصحاب الجنة فى معنى جازيناهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ من الحسنات العلمية والعملية ﴿ووصينا الانسان﴾ بأن يحسن ﴿بوالديه احسانا﴾ وقرئ حسنا أى بأن يفعل بهما حسنا أى

فعلا ذا حسن أو كأنه فى ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين أيضا و بفتحهما أى بأن يفعل بهما فعلا حسنا أو وصيناه ايصاء حسنا ﴿حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾ أى ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر ﴿وحمله وفصاله﴾ أى مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما أراد بالأمد المدة من قال

كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى أمده

﴿ثلاثون شهرا﴾ تمضى عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لأجله وهذا دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لما أنه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما ﴿حتى اذا بلغ أشده﴾ أى اكتهل واستحكم قوته وعقله ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ قيل لم يبعث نبى قبل أربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ أشده ﴿قال رب أوزعنى﴾ أى ألهمنى وأصله أولعنى من أوزعته بكذا ﴿أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى﴾ أى نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها ﴿وأن أعمل صالحا ترضاه﴾ التنكير للتفخيم والتكثير ﴿وأصلح لى فى ذريتى﴾ أى واجعل الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم كما فى قوله يجرح فى عراقيبها نصلى قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء أبى بكر رضى الله عنهم فأعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيأ من الخير الا أعانه الله تعالى عليه ودعا أيضا فقال وأصلح لى فى ذريتى فأجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبى عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ﴿انى تبت اليك﴾ عما لا ترضاه أو عما يشغلنى عن ذكرك ﴿وانى من المسلمين﴾ الذين أخلصوا لك أنفسهم ﴿أولئك﴾ اشارة الى الانسان والجمع لأن المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكى عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة ﴿الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ من الطاعات فان المباح حسن ولا يثاب عليه ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع أحسن على أنه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور ﴿فى أصحاب الجنة﴾ أى كائنين فى عدادهم منتظمين فى سلكهم ﴿وعد الصدق﴾ مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز ﴿الذى كانوا يوعدون﴾ على ألسنة الرسل ﴿والذى قال لوالديه﴾ عند دعوتهما له الى الايمان ﴿أف لكما﴾ هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما فى هيت لك وقرئ أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك أخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روى من أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قبل اسلامه يرده ما سيأتى من قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضى الله عنها من قال ذلك ﴿أتعداننى أن أخرج﴾ أبعث من القبر بعد الموت وقرئ أخرج من الخروج ﴿وقد خلت القرون من قبلى﴾ ولم يبعث منهم أحد ﴿وهما يستغيثان الله﴾ يسألانه أن يغيثه ويوفقه للايمان ﴿ويلك﴾ أى قائلين له ويلك وهو فى الأصل دعاء عليه بالثبور أريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك ﴿آمن ان وعد الله حق﴾ أى البعث أضافه

اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطئه فى اسناد الوعد اليهما وقرئ أن وعد الله أى آمن بأن وعد الله حق ﴿فيقول﴾ مكذبا لهما ﴿ما هذا﴾ الذى تسميانه وعد الله ﴿الا أساطير الأولين﴾ أباطيلهم التى سطروها فى الكتب من غير أن يكون لها حقيقة ﴿أولئك﴾ القائلون هذه المقالات الباطلة ﴿الذين حق عليهم القول﴾ وهو قوله تعالى لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس﴾ وقد مر تفسيره فى سورة الم السجدة ﴿انهم﴾ جميعا ﴿كانوا خاسرين﴾ قد ضيعوا فطرتهم الأصلية الجارية مجرى رؤس أموالهم باتباعهم الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقى ﴿ولكل﴾ من الفريقين المذكورين ﴿درجات مما عملوا﴾ مراتب من أجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة فى مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب ﴿وليوفيهم أعمالهم﴾ أى أجزية أعمالهم وقرئ بنون العظمة ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية أو استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الأجزية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ أى يعذبون بها من قولهم عرض الأسارى على السيف أى قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ أى يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ أأذهبتم بهمزتين وبألف بينهما على الاستفهام التوبيخى أى أصبتم وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها ﴿فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ فلم يبق لكم بعد ذلك شئ منها ﴿فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ أى الهوان وقد قرئ كذلك ﴿بما كنتم﴾ فى الدنيا ﴿تستكبرون فى الارض بغير الحق﴾ بغير استحقاق لذلك ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ أى تخرجون عن طاعة الله عز وجل أى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين ﴿واذكر﴾ أى لكفار مكة ﴿أخا عاد﴾ أى هودا عليه السلام ﴿اذ أنذر قومه﴾ بدل اشتمال منه أى وقت انذاره اياهم ﴿بالاحقاف﴾ جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة ﴿وقد خلت النذر﴾ أى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر ﴿من بين يديه﴾ أى من قبله ﴿ومن خلفه﴾ أى من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين أنذر قومه وبين قوله ﴿أن لا تعبدوا الا الله﴾ مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم فى العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم وأما جعلها حالا من فاعل أنذر على معنى أنه عليه الصلاة والسلام أنذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله ﴿انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لا بد فى نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الخالى ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾ أى تصرفنا ﴿عن آلهتنا﴾ عن عبادتها ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب العظيم ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى وعدك بنزوله بنا ﴿قال انما العلم﴾ أى بوقت نزوله أو العلم بجميع الأشياء التى من جملتها ذلك ﴿عند الله﴾ وحده لا علم لى بوقت نزوله ولا مدخل لى فى اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به فى وقته المقدر له ﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾ من مواجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ أبلغكم من الابلاغ ﴿ولكنى أراكم قوما تجهلون﴾ حيث

تقترحون على ماليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى ﴿فلما رأوه﴾ فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى ﴿عارضا﴾ اما تمييزا أو حالا أو راجع الى ما استعجلوه بقولهم فائتنا بما تعدنا أى فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض فى أفق السماء ﴿مستقبل أوديتهم﴾ أى متوجه أوديتهم والاضافة فيه لفظية كما فى قوله تعالى ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ ولذلك وقعا وصفين للنكرة ﴿بل هو﴾ أى قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم أى ليس الأمر كذلك بل هو ﴿ما استعجلتم به﴾ من العذاب ﴿ريح﴾ بدل من ما أو خبر لمبتدا محذوف ﴿فيها عذاب أليم﴾ صفة لريح وكذا قوله تعالى ﴿تدمر﴾ أى تهلك ﴿كل شئ﴾ من نفوسهم وأموالهم ﴿بأمر ربها﴾ وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف أو هو الهاء فى ربها ويجوز أن يكون استئنافا واردا لبيان أن لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بأمر بارئه وتكون الهاء لكل شئ لكونه بمعنى الأشياء وفى ذكر الأمر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء فى قوله تعالى ﴿فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم﴾ فصيحة أى فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل أحد يتأتى منه الرؤية تنبيها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿نجزى القوم المجرمين﴾ وقد مر تفصيل القصة فى سورة الأعراف وقد روى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها فى الجو حتى ترى كأنها جرادة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى أن أول ما عرفوا به أنه عذاب ما رأوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ﴿ولقد مكناهم﴾ أى قررنا عادا أو أقدرناهم وما فى قوله تعالى ﴿فيما ان مكناكم فيه﴾ موصولة أو موصوفة وان نافية أى فى الذى أو فى شئ ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادى التصرفات كما فى قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصى عن تكرر لفظة ما وهو الداعى الى قلب ألفها هاء فى مهما وجعلها شرطية أو زائدة مما لا يليق بالمقام ﴿وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة﴾ ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره ﴿فما أغنى عنهم سمعهم﴾ حيث لم يستعملوه فى استماع الوحى ومواعظ الرسل ﴿ولا أبصارهم﴾ حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة فى صحائف العالم ﴿ولا أفئدتهم﴾ حيث لم يستعملوها فى معرفة الله تعالى ﴿من شئ﴾ أى شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى ﴿اذ كانوا يجحدون بآيات الله﴾ متعلق بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما أضيف اليه فان قولك أكرمته اذ أكرمنى فى قوة قولك أكرمته لاكرامه لأنك اذا أكرمته وقت اكرامه فانما أكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال فى حيث ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم﴾ يا أهل مكة ﴿من القرى﴾ كحجر ثمود وقرى قوم لوط ﴿وصرفنا الآيات﴾ كررناها لهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكى يرجعوا عما هم فيه من الكفر

والمعاصى ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ القربان ما يتقرب به الى الله تعالى وأحد مفعولى اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثانى آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لابد فى غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب فى أن قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا أى متقربا به مما لا صحة له قطعا لأنه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله فى ذلك وقرئ قربانا بضم الراء ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أى غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم أو ضاعوا عنهم أى ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور ﴿وذلك﴾ أى ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم ﴿افكهم﴾ أى أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ أفكهم على صيغة الماضى فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ أى وذلك الاتخاذ الذى هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال أى جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم أى قولهم الافك أى ذو الافك كما يقال قول كاذب ﴿وما كانوا يفترون﴾ عطف على افكهم أى وأثر افترائهم على الله تعالى أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الافك ﴿واذ صرفنا اليك نفرا من الجن﴾ أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لأنهم جماعة وهو السر فى جمع الضمير فى قوله تعالى ﴿يستمعون القرآن﴾ وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة أو صفة أخرى له أى واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن ﴿فلما حضروه﴾ أى القرآن عند تلاوته أو الرسول عند تلاوته له على الالتفات والأول هو الاظهر ﴿قالوا﴾ أى قال بعضهم لبعض ﴿أنصتوا﴾ أى اسكتوا لنسمعه ﴿فلما قضى﴾ أتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه الصلاة والسلام ﴿ولوا الى قومهم منذرين﴾ مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم . روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو ستة نفر من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا القراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فأنبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام انى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون خط لى خطا فقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا مستشعرى ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك ﴿قالوا﴾ أى عند رجوعهم الى قومهم ﴿يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ قيل قالوه

لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ أرادوا به التوراة ﴿يهدى الى الحق﴾ من العقائد الصحيحة ﴿والى طريق مستقيم﴾ موصل اليه وهو الشرائع والأعمال الصالحة ﴿ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به﴾ أرادوا به ماسمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم فى الاجابة ثم أكدوه بقولهم ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ أى بعض ذنوبكم وهو ما كان فى خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ معد للكفرة واختلف فى أن لهم أجرا غير هذا أو لا والأظهر أنهم فى حكم بنى آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ﴿ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض﴾ ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعى الله من غير اكتفاء بأحد الضميرين للمبالغة فى الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه فى الأرض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أودخل فى أعماقها وقوله تعالى ﴿وليس له من دونه أولياء﴾ بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الأولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما أن الجمع فى قوله تعالى ﴿أولئك﴾ بذلك الاعتبار أى أولئك الموصوفون بعدم اجابة داعى الله ﴿فى ضلال مبين﴾ أى ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن اجابة من هذا شأنه ﴿أولم يروا﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية أى ألم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان أن الله ﴿الذى خلق السموات والأرض﴾ ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ﴿ولم يعى بخلقهن﴾ أى لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلا أو لم يعجز عنه يقال عييت بالأمر اذا لم يعرف وجهه وقوله تعالى ﴿بقادر﴾ فى حيز الرفع لأنه خبر أن كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها فى القراءة الأولى اشتمال النفى الوارد فى صدر الآية على أن وما فى حيزها كأنه قيل أوليس الله بقادر ﴿على أن يحيى الموتى﴾ ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى ﴿بلى انه على كل شئ قدير﴾ تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ ظرف عامله قول مضمر مقوله ﴿أليس هذا بالحق﴾ على أن الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر فى سورة الاحزاب وقيل هى الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين ﴿قالوا بلى وربنا﴾ أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون فى الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما فى الدنيا وأنى لهم ذلك ﴿قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بها فى الدنيا ومعنى الأمر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء فى قوله تعالى ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ جواب شرط محذوف أى اذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولو الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد بأولى العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع

لبنة على لبنة صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أى لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿لم يلبثوا﴾ فى الدنيا ﴿الا ساعة﴾ يسيرة ﴿من نهار﴾ لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى ﴿بلاغ﴾ خبر مبتدا محذوف أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرئ بلغ وقرئ بلاغا أى بلغوا بلاغا ﴿فهل يهلك الا القوم الفاسقون﴾ أى الخارجون عن الاتعاظ به أو عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال

﴿وهى مدنية وقيل مكية وآيها تسع أو ثمان وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ أى أعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا أو منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من أهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل فى الاسلام وقيل هو عام فى كل من كفر وصد ﴿أضل أعمالهم﴾ أى أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلا لكن لا بمعنى أنه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملون من أعمال البر كصلة الأرحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها لعدم مقارنتها للايمان أو أبطل ما عملوا من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتى من قوله تعالى فتعسا لهم وأضل أعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الخ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قيل هم ناس من قريش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل عام للكل ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشأنه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وأنه الاصل فى الكل ولذلك أكد بقوله تعالى ﴿وهو الحق من ربهم﴾ بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الأول مقابل الباطل وأيا ما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناءين ونزل بالتخفيف ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ أى سترها بالايمان والعمل الصالح ﴿وأصلح بالهم﴾ أى حالهم فى الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما مر من اضلال الأعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ أى ذلك كائن بسبب أن الأولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه أصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب أن الآخرين اتبعوا الحق الذى لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الأعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح فى شئ من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل

على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذى لا أصل له أصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال أعمالهم وابطالها لبيان أن ابطالها لبطلان مبناها و زواله وأما حمله على مالا ينتفع به فليس كما ينبغى لما أن الكفر والصد أخش منه فلاوجه للتصريح بسببيته لما ذكر من اضلال أعمالهم بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد و بالحق نفس الايمان والأعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها فى الموقعين ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الضرب البديع ﴿يضرب الله﴾ أى يبين ﴿للناس أمثالهم﴾ أى أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية فى الغرابة مجرى الأمثال وهى اتباع الأولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء فى قوله تعالى ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا﴾ لترتيب مافى حيزها من الأمر على ماقبلها فان ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يرتب على كل من الجانبين مايليق به من الأحكام أى فاذا كان الأمر كما ذكر فاذا لقيتموهم فى المحاربة ﴿فضرب الرقاب﴾ أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له بأشنع صورة وتهويل لأمره وارشاد للغزاة الى أيسر مايكون منه ﴿حتى اذا أثخنتموهم﴾ أى أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشئ الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض ﴿فشدوا الوثاق﴾ فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك ﴿فامامنا بعد واما فداء﴾ أى فاما تمنون منا بعد ذلك أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعى رحمه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق وقرئ فدا كعصا ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى لاتقوم الابها من السلاح والكراع وأسند وضعها اليها وهو لأهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعى لأحد الامور الأربعة أو للمجموع والمعنى أنهم لايزالون على ذلك أبدا الى أن لايكون مع المشركين حرب بأن لاتبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل عيسى عليه السلام وأما عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فان حمل الحرب على حرب بدر فهى غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم و يفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها وان حملت على الجنس فهى غاية للضرب والشد والمعنى أنهم يقتلون و يؤسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لايبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثامها أى حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن أسلموا ﴿ذلك﴾ أى الأمر ذلك أو افعلوا ذلك ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ لانتقم منهم ببعض أسباب الهلكة والاستئصال ﴿ولكن﴾ لم يشأ ذلك ﴿ليبلو بعضكم ببعض﴾ فأمركم بالقتال و بلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر ﴿والذين قتلوا فى سبيل الله﴾ أى استشهدوا وقرئ قاتلوا أى جاهدوا وقتلوا وقتلوا ﴿فلن يضل أعمالهم﴾ أى فلن يضيعها وقرئ يضل أعمالهم على البناء للمفعول و يضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت فى يوم أحد ﴿سيهديهم﴾ فى الدنيا الى أرشد الامور و فى الآخرة الى الثواب أو سيثبت هدايتهم ﴿و يصلح بالهم و يدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ فى الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا اليها أو بينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزله و يهتدى اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شئ أعطاه الله تعالى أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها لهم وأفرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة أو حال باضمار قد أو بدونه ﴿ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله﴾ أى دينه و رسوله

﴿ينصركم﴾ على أعدائكم و يفتح لكم ﴿و يثبت أقدامكم﴾ فى مواطن الحرب ومواقفها أو على محجة الاسلام ﴿والذين كفروا فتعسا لهم﴾ التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط و رجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا أى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وقوله تعالى ﴿وأضل أعمالهم﴾ عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية للموصول ﴿ذلك﴾ أى ماذكر من التعس واضلال الأعمال ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿كرهوا ماأنزل الله﴾ من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم الامارة بالسوء ﴿فأحبط﴾ لأجل ذلك ﴿أعمالهم﴾ التى لو كانوا عملوها مع الايمان لأثيبوا عليها ﴿أفلم يسيروا فى الارض﴾ أى أقعدوا فى أماكنهم فلم يسيروا فيها ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن أخبارهم وقوله تعالى ﴿دمر الله عليهم﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله تعالى عليهم مااختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه مايختص به ﴿وللكافرين﴾ أى ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم ﴿أمثالها﴾ أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن لاعلى أن لهؤلاء أمثال ما لأولئك وأضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز أن يكون عذابهم أشد من عذاب الأولين وقد قتلوا وأسروا بأيدى من كانوا يستخفونهم و يستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد ألما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة أمثالها ﴿ذلك﴾ اشارة الى ثبوت أمثال عقوبة الامم السالفة لهؤلاء ﴿بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ أى ناصرهم على أعدائهم وقرئ ولى الذين ﴿وأن الكافرين لامولى لهم﴾ فيدفع عنهم ماحل بهم من العقوبة والعذاب و لايخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ أى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها ﴿و يأكلون كما تأكل الأنعام﴾ غافلين عن عواقبهم ﴿والنار مثوى لهم﴾ أى منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف ﴿وكأى﴾ كلمة مركبة من الكاف وأى بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى ﴿من قرية﴾ تمييز لها وقوله تعالى ﴿هى أشد قوة من قريتك﴾ صفة لقرية كما أن قوله تعالى ﴿التى أخرجتك﴾ صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف وأجرى أحكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى ﴿أهلكناهم﴾ أى وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم و وصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان بأولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما أن وصف الثانية باخراجه عليه الصلاة والسلام للايذان بأولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا وأيسر جرما منك ضرج بالدم

وقوله تعالى ﴿فلاناصر لهم﴾ بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ تقرير لتباين حالى فريقى المؤمنين والكافرين و كون الاولين فى أعلى عليين والآخرين فى أسفل سافلين و بيان لعلة مالكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بأدلة الدين وجعلها عبارة عن النبى عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لايساعده النظم الكريم على أن الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام و بينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير أليس الأمر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة

وبرهان نير من مالك أمره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ من الشرك وسائر المعاصى مع كونه فى نفسه أقبح القبائح ﴿واتبعوا﴾ بسبب ذلك التزيين ﴿أهواءهم﴾ الزائغة وانهمكوا فى فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ماهم عليه فضلا عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما أن افراد الأولين باعتبار لفظها ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون﴾ استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية أنهارها التى أشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بأن الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذى هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى ﴿فيها أنهار﴾ الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب لصدر النظم الكريم وقيل المثل زائدة كزيادة الاسم فى قول من قال   الى الحول ثم اسم السلام عليكما   والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار الخ ﴿من ماء غير آسن﴾ أى غير متغير الطعم والرائحة وقرىء غير أسن ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ بأن صار قارصا ولا خازرا كألبان الدنيا ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وانما هى تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ أو مصدر نعت به مبالغة وقرىء لذة بالرفع على أنها صفة أنهار وبالنصب على العلة أى لأجل لذة الشاربين ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ لايخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى هذا تمثيل لما يجرى مجرى الاشربة فى الجنة بأنواع مايستطاب منها ويستلذ فى الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ﴿ولهم فيها﴾ مع ماذكر من فنون الانهار ﴿من كل الثمرات﴾ أى صنف من كل الثمرات ﴿ومغفرة﴾ أى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى ﴿من ربهم﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى كائنة من ربهم وقوله تعالى ﴿كمن هو خالد فى النار﴾ خبر لمبتدا محذوف تقديره أمن هو خالد فى هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على أن فى الكلام حذفا تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد فى النار فعرى عن حرف الانكار وحذف ماحذف تصويرا لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار ﴿وسقوا ماء حميما﴾ مكان تلك الأشربة ﴿فقطع أمعاءهم﴾ من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمارت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع أمعاءهم ﴿ومنهم من يستمع اليك﴾ هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما أن جمعه فيما سيأتى باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم ﴿حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم﴾ من الصحابة رضى الله عنهم ﴿ماذا قال آنفا﴾ أى ما الذى قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم أنف الشىء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشىء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير فى قال وقرىء أنفا ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الذين طبع الله على قلوبهم﴾ لعدم توجههم نحو الخير أصلا ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه ﴿والذين اهتدوا﴾ الى طريق الحق ﴿زادهم﴾ أى الله تعالى ﴿هدى﴾ بالتوفيق والالهام ﴿وآتاهم تقواهم﴾ أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم ما يتقون ﴿فهل ينظرون الا الساعة﴾ أى القيامة وقوله تعالى ﴿أن تأتيهم بغتة﴾ أى تباغتهم بغتة وهى المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر أهوال

الأمم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة ومافيها من عظائم الأهوال ومايتنظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرىء بغتة بفتح الغين وقوله تعالى ﴿فقد جاء أشراطها﴾ تعليل لمفاجأتها لالاتيانها مطلقا على معنى أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر أمر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء أشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادى اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لامحالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهى العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى ﴿فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم﴾ حكم بخطئهم وفساد رأيهم فى تأخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى أى وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على أن أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجىء عن قيد البغته لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقا لامقيدا بقيد البغتة وقرىء ان تأتهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم ﴿فاعلم أنه لا اله الا الله﴾ أى اذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه ﴿واستغفر لذنبك﴾ وهو الذى ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الأولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشاد له عليه الصلاة والسلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ أى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم فى الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار ﴿والله يعلم متقلبكم﴾ فى الدنيا فانها مراحل لابد من قطعها لامحالة ﴿ومثواكم﴾ فى العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما أمركم به فانه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شىء منها ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ حرصا منهم على الجهاد ﴿لولا نزلت سورة﴾ أى هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد ﴿فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال﴾ بطريق الأمر به أى سورة مبينة لاتشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال . عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لم تنسخ وقرىء فاذا نزلت سورة وقرىء وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال ﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض﴾ أى ضعف فى الدين وقيل نفاق وهو الأظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ﴿ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت﴾ أى تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كدأب من أصابته غشية الموت ﴿فأولى لهم﴾ أى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول اليه أمرهم وقيل هو مشتق من الويل وأصله أويل نقلت العين الى ما بعد اللام فوزنه أفلع ﴿طاعة وقول معروف﴾ كلام مستأنف أى أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف أى أمرنا ذلك ﴿فاذا عزم الأمر﴾ أسند العزم وهو الجد الى الأمر وهو لأصحابه مجازا كما فى قوله تعالى ان ذلك من عزم الأمور وعامل الظرف محذوف أى خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى ﴿فلو صدقوا الله﴾ على طريقة قولك اذا حضرنى طعام فلو جئتنى لأطعمتك أى فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبىء عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجبه ﴿لكان﴾ أى الصدق ﴿خيرا لهم﴾ وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكى عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه فى الايمان وواطأت قلوبهم فى ذلك ألسنتهم وأياما كان فالمراد بهم الذين فى قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى ﴿فهل عسيتم﴾ الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد

التقريع أى هل يتوقع منكم ﴿ان توليتم﴾ أمور الناس وتأمرتم عليهم ﴿أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف فى الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأنتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا أطلقت أعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الافساد وقطع الأرحام وقيل ان أعرضتم عن الاسلام أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات وفيه أن الواقع فى حيز الشرط فى مثل هذا المقام لابد أن تكون محذوريته باعتبار مايستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب فى أن الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه أن يجعل عمدة فى التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بمادونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول أى جعلتم ولاة وقرئ توليتم أى تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجار أى فى أرحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ﴿أولئك﴾ اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بأن ذكر هناتهم أوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره ﴿الذين لعنهم الله﴾ أى أبعدهم من رحمته ﴿فأصمهم﴾ عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم ﴿وأعمى أبصارهم﴾ لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة فى الانفس والآفاق ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ أى ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لايقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ فلا يكاد يصل اليها ذكر أصلا وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لاتقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بابهام أمرها فى القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لايعرف حالها ولايقادر قدرها فى القساوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على أنها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ أقفلها واقفالها على المصدر ﴿ان الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ أى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام ﴿من بعد ماتبين لهم الهدى﴾ بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتابين جميعا كفروا به عليه الصلاة والسلام بعدما وجدوا نعته فى كتابهم وعرفوا أنه المنعوت بذلك وقوله تعالى ﴿الشيطان سول لهم﴾ جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان أى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤل لاستمرار القلب فمعنى سول له أمرا حينئذ أوقعه فى أمنيته فان السؤل الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف أى كيد الشيطان ﴿وأملى لهم﴾ ومد لهم فى الامانى والآمال وقيل أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ وأملى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم فالواو للحال أو للاستئناف وقرئ أملى لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومد فى عمرهم ﴿ذلك﴾ اشارة الى ماذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدى ولا الى التسويل كما قيل لان شيأ منهما ليس مسببا عن القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بأنهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿قالوا﴾ يعنى المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نعته فى التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء

كان المقول لهم المنافقين أو المشركين على رأى القائل بل من حين بعثه عليه الصلاة والسلام ﴿للذين كرهوا مانزل الله﴾ أى لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسدا وطمعا فى نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى ﴿سنطيعكم فى بعض الامر﴾ عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم ترالى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وأرادوا بالبعض الذى أشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان أمرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم فى اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿والله يعلم اسرارهم﴾ أى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ أسرارهم أى جميع أسرارهم التى من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة والفاء فى قوله تعالى ﴿فكيف اذا توفتهم الملائكة﴾ لترتيب مابعدها على ماقبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل فى الظرف كأنه قيل يفعلون فى حياتهم مايفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى فكيف حالهم أو حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على أنه اما ماض أو مضارع قد حذف احدى تاءيه ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ حال من فاعل توفتهم أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على أهول الوجوه وأفظعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما لايتوفى أحد على معصية الا يضرب الملائكة وجهه ودبره ﴿ذلك﴾ التوفى الهائل ﴿بأنهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿اتبعوا ماأسخط الله﴾ من الكفر والمعاصى ﴿وكرهوا رضوانه﴾ أى مايرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود ﴿فأحبط﴾ لأجل ذلك ﴿أعمالهم﴾ التى عملوها حال ايمانهم من الطاعات أو بعد ذلك من أعمال البر التى لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ﴿أم حسب الذين فى قلوبهم مرض﴾ هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعى عليهم بقوله تعالى ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ فأم منقطعة وأن مخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف ولن بما فى حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد أى بل أحسب الذين فى قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين أنه لن يخرج الله أحقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ﴿ولو نشاء﴾ اراءتهم ﴿لأريناكهم﴾ لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ بعلامتهم التى نسمهم بها وعن أنس رضى الله عنه ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شىء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت فى المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة وأما مافى قوله تعالى ﴿ولتعرفنهم فى لحن القول﴾ فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه أو امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطىء لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين ﴿ولنبلونكم﴾ بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ﴿ونبلو أخباركم﴾ ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ نبلو بسكون الواو على ونحن نبلو ﴿ان الذين كفروا

وصدوا﴾ الناس ﴿عن سبيل الله وشاقوا الرسول﴾ وعادوه ﴿من بعد ماتبين لهم الهدى﴾ بما شاهدوا نعته عليه الصلاة والسلام فى التوراة و بما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر ﴿لن يضروا الله﴾ بكفرهم وصدهم ﴿شيئاً﴾ من الأشياء أو شيئاً من الضرر أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيأ وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ أى مكايدهم التى نصبوها فى ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه الصلاة والسلام فلا يصلون بها الى ماكانوا يبغون من الغوائل و لاتثمر لهم الاالقتل والجلاء عن أوطانهم ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله فى أصحاب القليب ﴿فلا تهنوا﴾ أى لاتضعفوا ﴿وتدعوا الى السلم﴾ أى و لاتدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية و يجوز أن يكون منصوبا باضمار أن على جواب النهى وقرئ و لاتدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراموا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على أحد الوجهين والفاء لترتيب النهى على ماسبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى ﴿وأنتم الأعلون﴾ جملة حالية مقررة لمعنى النهى مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى ﴿والله معكم﴾ فان كونهم الأعلين وكونه عز وجل ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لأجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ أى ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم فأفردته عنه من الوتر الذى هو الفرد وعبر عن ترك الاثابة فى مقابلة الاعمال بالوتر الذى هو اضاعة شئ معتد به من الانفس والاموال مع أن الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة أعظم الحقوق واتلافها وقد مر فى قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم ﴿انما الحيوة الدنيا لعب ولهو﴾ لاثبات لها و لااعتداد بها ﴿وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾ أى ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التى يتنافس فيها المتنافسون ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ بحيث يخل أداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ﴿ان يسألكموها﴾ أى أموالكم ﴿فيحفكم﴾ أى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة و بلوغ الغاية يقال أحفى شاربه اذا استأصله ﴿تبخلوا﴾ فلا تعطوا ﴿ويخرج أضغانكم﴾ أى أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى و يعضده القراءة بنون العظمة أو للبخل لانه سبب الأضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ﴿هاأنتم هؤلاء﴾ أى أنتم أيها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى ﴿تدعون لتنفقوا فى سبيل الله﴾ استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين أى ها أنتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق فى سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما ﴿فمنكم من يبخل﴾ أى ناس يبخلون وهو فى حيز الدليل على الشرطية السابقة ﴿ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه﴾ فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى ﴿والله الغنى﴾ دون من عداه ﴿وأنتم الفقراء﴾ فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى ﴿وان تتولوا﴾ عطف على ان تؤمنوا أى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى ﴿يستبدل قوما غيركم﴾ يخلف مكانكم قوما آخرين ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾

فى التولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة

سـورة الفتح

(مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿انا فتحنا لك﴾ فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحا بحراب أو بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد أفعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو المروى عن أنس رضى الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لايخفى وقيل هو ما أتيح له عليه الصلاة والسلام فى تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام حين بلغه أن رجلا قال ماهذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة مالم يصب فى غزوة حيث أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة هى أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه الصلاة والسلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضى الله عنه وأياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح ﴿فتحا مبينا﴾ بينا ظاهر الامر مكشوف الحال أو فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ﴿ليغفر لك الله﴾ غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام فى اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بأن كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ﴿ماتقدم من ذنبك وماتأخر﴾ أى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته

ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ﴿ويتم نعمته عليك﴾ باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ﴿ويهديك صراطا مستقيما﴾ فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وأصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل ﴿وينصرك الله﴾ اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى ﴿نصرا عزيزا﴾ أى نصرا فيه عزة ومنعة أو قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة أو عزيزا صاحبه ﴿هو الذى أنزل السكينة﴾ بيان لما أفاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمأنينة أى أنزلها ﴿فى قلوب المؤمنين﴾ بسبب الصلح والأمن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ﴿ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم﴾ أى يقينا منضما الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبى صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله تعالى ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ﴿ولله جنود السموات والارض﴾ يدبر أمرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ﴿وكان الله عليما﴾ مبالغا فى العلم بجميع الأمور ﴿حكيما﴾ فى تقديره وتدبيره وقوله تعالى ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ﴿ويكفر عنهم سيئاتهم﴾ أى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال فى الذكر على التكفير مع أن الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الأعلى ﴿وكان ذلك﴾ أى ما ذكر من الادخال والتكفير ﴿عند الله فوزا عظيما﴾ لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا أى كائنا عند الله أى فى علمه تعالى وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ عطف على يدخل وفى تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ أى ظن الامر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين ﴿عليهم دائرة السوء﴾ أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرىء دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شىء وأما المضموم فجار مجرى الشر ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم﴾ عطف على ما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين مع أن حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منهما فى الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض ﴿وساءت مصيرا﴾ أى جهنم ﴿ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما﴾ اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على أن لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما ينبىء عنه التعرض لوصف العزة ﴿انا أرسلناك شاهدا﴾ أى على أمتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿ومبشرا﴾ على الطاعة ﴿ونذيرا﴾ على المعصية ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام ولأمته ﴿وتعزروه﴾ وتقووه بتقوية دينه ورسوله ﴿وتوقروه﴾ وتعظموه ﴿وتسبحوه﴾ وتنزهوه أو تصلوا له من السبحة ﴿بكرة وأصيلا﴾ غدوة وعشيا عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرىء الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرىء

وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاى المكسورة وقرىء بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعززوه بزاءين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره ﴿ان الذين يبايعونك﴾ أى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى ﴿انما يبايعون الله﴾ خبر ان يعنى أن مبايعتك هى مبايعة الله عز وجل لأن المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه وقوله تعالى ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ حال أو استئناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقرىء انما يبايعون لله أى لاجله ولوجهه ﴿فمن نكث فانما ينكث على نفسه﴾ أى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرىء بكسر الكاف ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله﴾ بضم الهاء فانه أبقى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرىء بكسرها أى ومن وفى بعهده ﴿فسيؤتيه أجرا عظيما﴾ هو الجنة وقرىء بما عهد وقرىء فسنؤتيه بنون العظمة ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ هم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم عليه الصلاة والسلام وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى الله تعالى اليه عليه الصلاة والسلام بأنهم سيعتلون ويقولون ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرىء شغلتنا بالتشديد للتكثير ﴿فاستغفر لنا﴾ الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم﴾ بدل من سيقول أو استئناف لتكذيبهم فى الاعتذار والاستغفار ﴿قل﴾ ردا لهم عند اعتذارهم اليك بأباطيلهم ﴿فمن يملك لكم من الله شيئا﴾ أى فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شىء من النفع ﴿ان أراد بكم ضرا﴾ أى ما يضركم من هلاك الأهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرىء ضرا بالضم ﴿أو أراد بكم نفعا﴾ أى ومن يقدر على شىء من الضرر ان أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهليكم فأى حاجة الى التخلف لأجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى ﴿بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه أى ليس الأمر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الأعمال التى من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى ﴿بل ظننتم﴾ الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام أى بل ظننتم ﴿أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا﴾ بأن يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلأجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على تقدير تاء التأنيث وأما الأهالى فاسم جمع كالليالى وقرىء الى أهلهم ﴿وزين ذلك فى قلوبكم﴾ وقبلتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مبالين بهم وقرىء زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه أو الى الشيطان ﴿وظننتم ظن السوء﴾ المراد به اما الظن الأول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التى من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال ﴿وكنتم قوما بورا﴾ أى هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على أنه جمع بائر كعائذ وعوذ أو فاسدين فى أنفسكم

وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله﴾ كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين
لكيفيته أى ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين ﴿فانا أعتدنا للكافرين سعيرا﴾ أى لهم وانما وضع موضع
الضمير الكافرون ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير
سعيرا للتهويل أو لأنها نار مخصوصة ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ وما فيهما يتصرف فى الكل كيف يشاء
﴿يغفر لمن يشاء﴾ أن يغفر له ﴿ويعذب من يشاء﴾ أن يعذبه من غير دخل لأحد فى شىء منهما وجودا وعدما
وفيه حسم لأطماعهم الفارغة فى استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ مبالغا فى المغفرة
والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله وأما من عداه من الكافرين فهم
بمعزل من ذلك قطعا ﴿سيقول المخلفون﴾ أى المذكورون وقوله تعالى ﴿اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها﴾
ظرف لما قبله لا شرط لما بعده أى سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم
بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ﴿ذرونا نتبعكم﴾ الى خيبر ونشهد معكم قتال أهلها ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾
بأن يشاركوا فى الغنائم التى خصها بأهل الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة
ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها
بهم حسبما أمره الله عز وجل وقرىء كلم الله وهو جمع كلمة وأيا ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لأهل
الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معى أبدا فان ذلك فى غزوة تبوك ﴿قل﴾ اقناطا لهم ﴿لن تتبعونا﴾ أى
لا تتبعونا فانه نفى فى معنى النهى للمبالغة ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ أى عند الانصراف من الحديبية ﴿فسيقولون﴾
للمؤمنين عند سماع هذا النهى ﴿بل تحسدوننا﴾ أى ليس ذلك النهى حكم الله بل تحسدوننا أن نشاركم فى الغنائم
وقرىء تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ أى لا يفهمون ﴿الا قليلا﴾ الا فهما قليلا
وهو فطنتهم لأمور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجهل المفرط وسوء الفهم
فى أمور الدين ﴿قل للمخلفين من الأعراب﴾ كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة فى ذمهم ﴿ستدعون الى قوم أولى
بأس شديد﴾ هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركون
لقوله تعالى ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ أى يكون أحد الأمرين اما المقاتلة أبدا أو الاسلام لا غير كما يفصح عنه
قراءة أو يسلموا وأما من عداهم فينتهى قتالهم بالجزية كما ينتهى بالاسلام وفيه دليل على امامة أبى بكر رضى الله عنه
اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح أنهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة فيخص دوام نفى الاتباع
بما فى غزوة خيبر كما قاله محيى السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس
يقبل منهم الجزية ﴿فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا﴾ هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة ﴿وان تتولوا﴾
عن الدعوة ﴿كما توليتم من قبل﴾ فى الحديبية ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ لتضاعف جرمكم ﴿ليس على الأعمى
حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ أى فى التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان
التكليف يدور على الاستطاعة وفى نفى الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة
الرخصة ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما ذكر من الأوامر والنواهى ﴿يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾
وقرىء ندخله بنون العظمة ﴿ومن يتول﴾ أى عن الطاعة ﴿يعذبه﴾ وقرىء بالنون ﴿عذابا أليما﴾ لا يقادر

قدره ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين﴾ هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى
﴿اذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ منصوب برضى وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به أو
بمحذوف هو حال من مفعوله روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعى رسولا
الى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فأخبرهم أنه عليه الصلاة والسلام
لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت
لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال عليه الصلاة والسلام
لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على أن يقاتلوا قريشا
ولا يفروا وروى على الموت دونه وأن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض
وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلثمائة وقوله تعالى ﴿فعلم ما فى قلوبهم﴾ عطف
على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى بايعوك لا على رضى فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما فى قلوبهم
من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ عطف على رضى
أى فأنزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح ﴿وأثابهم فتحا قريبا﴾ هو فتح
خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرىء وآتاهم ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ أى مغانم خيبر
والالتفات الى الخطاب على قراءة الأعمش وطلحة ونافع لتشريفهم فى مقام الامتنان ﴿وكان الله عزيزا﴾ غالبا
﴿حكيما﴾ مراعيا لمقتضى الحكمة فى أحكامه وقضاياه ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة﴾ هى ما يفيؤه على المؤمنين
الى يوم القيامة ﴿تأخذونها﴾ فى أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها ﴿فعجل لكم هذه﴾ أى غنائم خيبر ﴿وكف
أيدى الناس عنكم﴾ أى أيدى أهل خيبر وحلفائهم من بنى أسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم
الرعب فنكصوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح ﴿ولتكون آية للمؤمنين﴾ أمارة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله
عليه وسلم فى وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة
اما بمحذوف مؤخر أى ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو بما تعلق به علة أخرى محذوفة من أحد
الفعلين أى فعجل لكم هذه أو كف أيدى الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الأول اعتراضية وعلى الثانى
عاطفة ﴿ويهديكم﴾ بتلك الآية ﴿صراطا مستقيما﴾ هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه فى كل ما تأتون
وما تذرون ﴿وأخرى﴾ عطف على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى ﴿لم تقدروا عليها﴾ وهى
مغانم هوازن فى غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله
تعالى ﴿قد أحاط الله بها﴾ صفة أخرى لأخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها
بالنظر الى قدرتهم أى قد قدر الله عليها واستولى وأظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان
أخرى منصوب بمضمر يفسره قد أحاط الله بها أى وقضى الله أخرى ولا ريب فى أن الاخبار بقضاء الله اياها بعد
اندراجها فى جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة فى بيان
تعجيلها ﴿وكان الله على كل شىء قديرا﴾ لأن قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشىء دون شىء ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾
أى أهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر ﴿لولوا الادبار﴾ منهزمين ﴿ثم لا يجدون وليا﴾ يحرسهم
﴿ولا نصيرا﴾ ينصرهم ﴿سنة الله التى قد خلت من قبل﴾ أى سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم

﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أى تغييرا ﴿وهو الذى كف أيديهم﴾ أى أيدى كفار مكة ﴿عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾ أى فى داخلها ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ وذلك أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح و به استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لاصلحا ﴿وكان الله بما تعملون﴾ من مقاتلتهم وهزمهم أو لا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء ﴿بصيرا﴾ فيجازيكم بذلك أو يجازيهم ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى﴾ بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف أى ونحر الهدى و بالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى ﴿معكوفا﴾ حال من الهدى أى محبوسا وقوله تعالى ﴿أن يبلغ محله﴾ بدل اشتمال من الهدى أو منصوب بنزع الخافض أى محبوسا من أن يبلغ مكانه الذى يحل فيه نحره و به استدل أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أن المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم و روى أن خيامه صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهناك نحرت هداياه صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذى هو منى ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم﴾ لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ﴿أن تطؤوهم﴾ أى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم ﴿فتصيبكم منهم﴾ أى من جهتهم ﴿معرة﴾ أى مشقة ومكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير فى البحث عنهم وهى مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه ﴿بغير علم﴾ متعلق بأن تطؤهم أى غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى ﴿ليدخل الله فى رحمته﴾ متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى الى الفتح بلا محذور فى رحمته الواسعة بقسميها ﴿من يشاء﴾ وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التى من جملتها الأمن مستضعفين تحت أيدى الكفرة وأما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين فى اقامة مراسم العبادة كما ينبغى فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم فى الرحمة الاخروية وقد جوز أن يكون من يشاء عبارة عمن رغب فى الاسلام من المشركين و يأباه قوله تعالى ﴿لو تزيلوا﴾ الخ فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما أى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ﴿اذ جعل الذين كفروا﴾ منصوب باذكر على المفعولية أو بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو أحسن الله اليكم وأياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى ﴿فى قلوبهم الحمية﴾ أى الأنفة والتكبر متعلق به أو بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له أى جعلوها ثابتة راسخة فى قلوبهم ﴿حمية الجاهلية﴾ بدل من الحمية أى حمية الملة الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثانى على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فأنزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسيرا له والسكينة الثبات والوقار يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبى

صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك و كتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ماهذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك و يبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ أى كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها أو كلمة أهلها ﴿وكانوا أحق بها﴾ متصفين بمزيد استحقاق لها على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل أحق بها من الكفار ﴿وأهلها﴾ أى المستأهل لها ﴿وكان الله بكل شئ عليما﴾ فيعلم حق كل شئ فيسوقه الى مستحقه ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا﴾ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها فى عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وعبد الله بن نفيل و رفاعة بن الحرث والله ما حلقنا و لا قصرنا و لا رأينا المسجد الحرام فنزلت أى صدقه صلى الله عليه وسلم فى رؤياه كما فى قولهم صدقنى سن بكره وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى ﴿بالحق﴾ اما صفة لمصدر مؤكد محذوف أى صدقا ملتبسا بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التى هى التمييز بين الراسخ فى الايمان والمتزلزل فيه أو حال من الرؤيا أى ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام وقد جوز أن يكون قسما بالحق الذى هو من أسماء الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله تعالى ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف أى والله لتدخلن الخ وقوله تعالى ﴿ان شاء الله﴾ تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد أو للاشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك أو هى حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه ﴿آمنين﴾ حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى ﴿محلقين رؤسكم ومقصرين﴾ أى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة ﴿لا تخافون﴾ حال مؤكدة من فاعل لتدخلن أو آمنين أو محلقين أو مقصرين أو استئناف أى لا تخافون بعد ذلك ﴿فعلم ما لم تعلموا﴾ عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلى المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أى فعلم عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا ﴿فجعل﴾ لأجله ﴿من دون ذلك﴾ أى من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد الحرام الخ ﴿فتحا قريبا﴾ وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين وأما جعل ما فى قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فتأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى﴾ أى ملتبسا به أو بسببه و لأجله ﴿ودين الحق﴾ و بدين الاسلام ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليعليه على جنس الدين بجميع أفراده التى هى الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الأحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الاديان اذ ما من أهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه سبحانه سيفتح لهم من البلاد و يتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على أن ما وعده كائن لا محالة أو على نبوته عليه الصلاة والسلام باظهار المعجزات ﴿محمد﴾ خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى ﴿رسول الله﴾ بدل أو بيان

أو نعت أى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى ﴿والذين معه﴾ مبتدأ خبره ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم فى الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقرىء أشداء و رحماء بالنصب على المدح أو على الحال من المستكن فى معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى ﴿تراهم ركعا سجدا﴾ أى تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الأول خبر آخر أو استئناف وقوله تعالى ﴿يبتغون فضلا من الله و رضوانا﴾ أى ثوابا و رضا اما خبر آخر أو حال من ضمير تراهم أو من المستتر فى ركعا سجدا أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ ﴿سيماهم﴾ أى سمتهم وقرىء سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هى السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره ﴿فى وجوههم﴾ أى فى جباههم وقوله تعالى ﴿من أثر السجود﴾ حال من المستكن فى الجار أى من التأثير الذى يؤثره كثرة السجود وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله عليه الصلاة والسلام لا تعلبوا صوركم أى لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلى بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما يقال لهما ذوا الثفنات لما أحدثت كثرة سجودهما فى مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير قال قائلهم

ديار على والحسين وجعفر ... وحمزة والسجاد ذى الثفنات

وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه الصلاة والسلام من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرىء من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه و بعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿مثلهم﴾ أى وصفهم العجيب الشأن الجارى فى الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى ﴿فى التوراة﴾ حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى ﴿ومثلهم فى الانجيل﴾ عطف على مثلهم الاول كأنه قيل ذلك مثلهم فى التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته و زيادة تقريرها وقوله تعالى ﴿كزرع أخرج شطأه﴾ الخ تمثيل مستأنف أى هم كزرع أخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على أنه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم فى الانجيل على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم فى التوراة وقرىء شطأه بفتحات وقرىء شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا ﴿فآزره﴾ فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الايزار وهى الاعانة وقرىء فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد أى شد أزره وقوله تعالى ﴿فاستغلظ﴾ فصار غليظا بعدما كان دقيقا ﴿فاستوى على سوقه﴾ فاستقام على قصبه جمع ساق وقرىء سؤقه بالهمزة ﴿يعجب الزراع﴾ بقوته و كثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه عليه الصلاة والسلام قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وقوله تعالى ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لما بعده من قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ فان الكفار اذا

سمعوا بما أعد للمؤمنين فى الآخرة مع ما لهم فى الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشد غيظ ومنهم للبيان . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سـورة الحجرات

(مدنية و آيها ثمانى عشرة آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يأيها الذين آمنوا﴾ تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما فى حيزه أمر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته و وصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بأنه داع الى المحافظة عليه و وازع عن الاخلال به ﴿لا تقدموا﴾ أى لا تفعلوا التقديم على أن ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بأمر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطى و يمنع أى يفعل الاعطاء والمنع أو لا تقدموا أمرا من الامور على أن حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول أوفى بحق المقام لافادته النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهانى وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة و يعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التاءين من تتقدموا وقرىء لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى ﴿بين يدى الله و رسوله﴾ مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لدى النبى صلى الله عليه وسلم فى تأمير الاقرع بن حابس أو القعقاع ابن معبد ﴿واتقوا الله﴾ فى كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال التى من جملتها ما نحن فيه ﴿ان الله سميع﴾ لاقوالكم ﴿عليم﴾ بأفعالكم فمن حقه أن يتقى و يراقب ﴿يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى﴾ شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبى عليه الصلاة والسلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة فى الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه أى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته وقرىء لا ترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ اذا كلمتموه ﴿كجهر بعضكم لبعض﴾ أى جهرا كائنا كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعهدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله والله لا أكلمك الا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كأخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون و يأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ اما علة للنهى أى لا تجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما فى قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أو للنهى أى لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط فكأنه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل

مايتوهم أن يؤدى اليه مما يجرى بينهم فى أثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا أن رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشىء ولا مايقع منهما فى حرب أو مجادلة معاند أو ارهاب عدو أو نحو ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس رضى الله عنه أنه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه الصلاة والسلام فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يارسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وأما مايروى عن الحسن من أنها نزلت فى بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام فقد قيل محمله أن نهيهم مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص ﴿وأنتم لاتشعرون﴾ حال من فاعل تحبط أى والحال أنكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى ﴿ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ الخ ترغيب فى الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به أى يخفضونها مراعاة للادب أو خشية من مخالفة النهى ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره ﴿الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ أى جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف أو للفعل باعتبار الأصل أو ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى فانها لاتظهر الا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا أذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضى الله عنه أذهب عنها الشهوات ﴿لهم﴾ فى الآخرة ﴿مغفرة﴾ عظيمة لذنوبهم ﴿وأجر عظيم﴾ لايقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة أو استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ﴿ان الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ أى من خارجها من خلفها أو قدامها ومن ابتدائية دالة على أن المناداة نشأت من جهة الوراء وأن المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرىء الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات أمهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه الصلاة والسلام من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التى كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه الصلاة والسلام وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصن الفزارى والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يامحمد اخرج الينا وانما أسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لانه وجد فيما بينهم ﴿أكثرهم لايعقلون﴾ اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الأدب ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم﴾ أى ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان أن وان دلت بما فى حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغنى قيامك وبلغنى أنك قائم وحتى تفيد أن الصبر ينبغى أن يكون مغيا بخروجه عليه الصلاة والسلام فانها مختصة بما هو غاية للشىء فى نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولاتقول حتى نصفها أو ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بأنه لو خرج لالاجلهم ينبغى أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه اليهم ﴿لكان﴾ أى الصبر المذكور ﴿خيرا لهم﴾ من الاستعجال لما فيه

من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذروى أنهم وفدوا شافعين فى أسارى بنى العنبر فأطلق النصف وفادى النصف ﴿والله غفور رحيم﴾ بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا وأصلحوا ﴿يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ أى فتعرفوا وتفحصوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة أخا عثمان رضى الله عنه لأمه مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفى ترتيب الأمر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل فى بعض المواد وقرىء فتثبتوا أى توقفوا الى أن يتبين لكم الحال ﴿أن تصيبوا﴾ حذار أن تصيبوا ﴿قوما بجهالة﴾ ملتبسين بجهالة حالهم ﴿فتصبحوا﴾ بعد ظهور براءتهم عما أسند اليهم ﴿على ما فعلتم﴾ فى حقهم ﴿نادمين﴾ مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع فان تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ أن بما فى حيزها ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى ﴿لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم﴾ فانه حال من أحد الضميرين فى فيكم والمعنى أن فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة الخ وهى أنكم تريدون أن يتبع عليه الصلاة والسلام رأيكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهد والهلاك وفيه ايذان بأن بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق تصديقا لقول الوليد وأنه عليه الصلاة والسلام لم يطع رأيهم وأما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على أن امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الأمور اذ فيه اختلال أمر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤسا لامن اطاعته فى بعض مايرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلامعرة وقيل انها للدلالة على أن امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم فى ذلك فان المضارع المنفى قد يدل على استمرار النفى بحسب المقام كما فى نظائر قوله تعالى ولاهم يحزنون والتحقيق أن الاستمرار الذى تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى مايتعلق بالفعل من الأمور الزمانية المتجددة وذلك بأن يعتبر الاستمرار فى نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق مايتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار وأخرى بالنسبة الى مايتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أولا ثم اعتبر استمراره فيتعين أن يكون ذلك بحسب الزمان فان أريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التى يفصح عنها قوله تعالى فى كثير من الأمر فالحق هو الأول ضرورة أن مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة فى أمر ما من تلك الأمور الكثيرة أصلا أو بعدم وقوعها فى كلها مع وقوعها فى بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار بأحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الأمر فى وقت من الأوقات وقع العنت قطعا وان أريد به استمرار الطاعة الواقعة فى الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثانى فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة الواقعة فى تلك الأمور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بأن وقعت تلك الطاعة فى وقت من الأوقات وقع العنت حتما واعلم أن الأحق بالاختيار والأولى بالاعتبار هو الوجه الأول لانه أوفق بالقياس المقتضى لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للأول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على أن اعتبار الاستمرار واردا على النفى على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس أو لم يكن فيه مزيد مزية

كما فى مثل قوله تعالى و لاهم يحزنون حيث حمل على استمرار نفى الحزن عنهم اذ ليس فى نفى استمرار الحزن مزيد فائدة وأما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لايخفى وقوله تعالى ﴿ولكن الله حبب اليكم الايمان﴾ الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن أوصاف الأولين واحمادا لافعالهم أى ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم ﴿وزينه فى قلوبكم﴾ حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيتم بما يليق به من الأقوال والأفعال ﴿وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لاخير فيه من آثارها وأحكامها ولما كان فى التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الأولين كأنه قيل لم يكن ماصدر عنكم فى حق بنى المصطلق من خلل فى عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والأول هو الأظهر لقوله تعالى ﴿أولئك هم الراشدون﴾ أى السالكون الى الطريق السوى الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذى فى قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴿فضلا من الله ونعمة﴾ أى وانعاما تعليل لحبب أو كره ومابينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر أى جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا ﴿والله عليم﴾ مبالغ فى العلم فيعلم أحوال المؤمنين ومابينهم من التفاضل ﴿حكيم﴾ يفعل كل مايفعل بموجب الحكمة ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ أى تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى ﴿فأصلحوا بينهما﴾ بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى ﴿فان بغت﴾ أى تعدت ﴿احداهما على الأخرى﴾ ولم تتأثر بالنصيحة ﴿فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء﴾ أى ترجع ﴿الى أمر الله﴾ الى حكمه أو الى ماأمر به ﴿فان فاءت﴾ اليه وأقلعت عن القتال حذارا من قتالكم ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بفصل مابينهما على حكم الله تعالى و لاتكتفوا بمجرد متاركتهما عسى يكون بينهما قتال فى وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد أكد ذلك حيث قيل ﴿وأقسطوا﴾ أى واعدلوا فى كل ماتأتون وماتذرون ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ فيجازيهم أحسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على أن الباغى لايخرج بالبغى عن الايمان وأنه اذا أمسك عن الحرب ترك لانه فىء الى أمر الله تعالى وأنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة ﴿انما المؤمنون اخوة﴾ استئناف مقرر لما قبله من الأمر بالاصلاح أى انهم منتسبون الى أصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الأبدية والفاء فى قوله تعالى ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ للايذان بأن الأخوة الدينية موجبة للاصلاح و وضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة فى تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج وقرىء بين اخوتكم واخوانكم ﴿واتقوا الله﴾ فى كل ماتأتون وماتذرون من الامور التى من جملتها ماأمرتم به من الاصلاح ﴿لعلكم ترحمون﴾ راجين أن ترحموا على تقواكم ﴿يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم﴾ أى منكم ﴿من قوم﴾ آخرين أيضا منكم وقوله تعالى ﴿عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ تعليل للنهى أو لموجبه أى عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لأنهم القوام على النساء وهو فى الاصل اما جمع قائم كصوم و زور فى جمع صائم و زائر أو مصدر نعت به فشاع فى الجمع وأما تعميمه للفريقين فى مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب أو لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية فى المجامع والتنكير اما للتعميم أو للقصد الى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجرى بين بعض و بعض ﴿ولانساء﴾ أى و لاتسخر نساء من المؤمنات ﴿من نساء﴾ منهن ﴿عسى أن يكن﴾ أى المسخور منهن ﴿خيرا

منهن﴾ أى من الساخرات فان مناط الخيرية فى الفريقين ليس مايظهر للناس من الصور والأشكال و لا الاوضاع والاطوار التى عليها يدور أمر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة فى القلوب فلايجترىء أحد على استحقار أحد فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرىء عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هى ذات الخبر كما فى قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الأول فهى التى لاخبر لها ﴿و لاتلمزوا أنفسكم﴾ أى و لايعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو لاتفعلوا ماتلمزون به فان من فعل مايستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرىء بضم الميم ﴿و لاتنابزوا بالالقاب﴾ أى و لايدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص به عرفا ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الايمان﴾ أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان أو اشتهارهم به فان الاسم هنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روى أن الآية نزلت فى صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يايهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام هلاقلت ان أبى هرون وعمى موسى و زوجى محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه و بين الايمان قبيح ﴿ومن لم يتب﴾ عمانهى عنه ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب ﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ أى كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أى قبيل فان من الظن مايجب اتباعه كالظن فيما لاقاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه مايحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه مايباح كالظن فى الامور المعاشية ﴿ان بعض الظن اثم﴾ تعليل للامر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيق والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كانه يثم الأعمال أى يكسرها ﴿و لاتجسسوا﴾ أى و لاتبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلمس بمعنى التطلب لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وقرىء بالحاء من الحس الذى هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم و فى الحديث لاتتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ﴿و لايغتب بعضكم بعضا﴾ أى لايذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريرى واسناد الفعل الى أحد ايذانا بأن أحدا من الاحدين لايفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول أخا للآكل وميتا واخراج تماثلها مخرج أمرين غنى عن الاخبار به وقرىء ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء فى قوله تعالى ﴿فكرهتموه﴾ لترتيب مابعدها على ماقبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه وقرىء كرهتموه أى جبلتم على كراهته ﴿واتقوا الله﴾ بترك ماأمرتم باجتنابه والندم على ماصدر عنكم من قبل ﴿ان الله تواب رحيم﴾ مبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب و لايخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة رضى الله عنهم بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما و كان

أسامة على طعامه عليه الصلاة والسلام فقال ماعندى شئ فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سليمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه الصلاة والسلام انكما قد اغتبتما فنزلت ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز أن يكون تأكيدا للنهى السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل ﴾ الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجميع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب ﴿ لتعارفوا ﴾ ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزى أحد الى غير آبائه لا لتتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب وقرئ لتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ تعليل للنهى عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقى كأنه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بأن المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلا فعليه بالتقوى قال عليه الصلاة والسلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه الصلاة والسلام يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله تعالى وفاجر شقى هين على الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى ﴿ ان الله عليم ﴾ بكم وبأعمالكم ﴿ خبير ﴾ ببواطن أحوالكم ﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾ نزلت فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدب فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه الصلاة والسلام مافعلوا ﴿ قل ﴾ ردا لهم ﴿ لم تؤمنوا ﴾ اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم على ماذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ﴾ فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ماعليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز من النهى عن التلفظ بالايمان وللتفادى عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ﴿ ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ﴾ حال من ضمير قولوا أى ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لألسنتكم وما فى لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ﴿ وان تطيعوا الله ورسوله ﴾ بالاخلاص وترك النفاق ﴿ لا يلتكم من أعمالكم ﴾ لا ينقصكم ﴿ شيئاً ﴾ من أجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يألتكم من الالت وهى لغة غطفان أو شيئا من النقص ﴿ ان الله غفور ﴾ لما فرط من المطيعين ﴿ رحيم ﴾ بالتفضل عليهم ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى أن فيهم مايوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بأن اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس فى حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهى كما فى قوله تعالى ثم استقاموا ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ﴾ فى طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة ﴿ هم الصادقون ﴾ أى الذين صدقوا فى دعوى الايمان لا غيرهم روى أنه لما نزلت الآية جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى

﴿ قل أتعلمون الله بدينكم ﴾ أى أتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم ﴿ والله يعلم مافى السموات ومافى الارض ﴾ حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ تذييل مقرر لما قبله أى مبالغ فى العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ما أخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ﴾ أى يعدون اسلامهم منة عليك وهى النعمة التى لا يطلب موليها ثوابا ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن ﴿ قل لا تمنوا على اسلامكم ﴾ أى لا تعدوا اسلامكم منة على أو لا تمنوا على باسلامكم فنصب بنزع الخافض ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ﴾ على مازعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ماقبله أى فلله المنة عليكم وفى سياق النظم الكريم من اللطف مالا يخفى فانهم لما سموا ماصدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسمى اسلاما قيل يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ﴿ ان الله يعلم غيب السموات والارض ﴾ أى ماغاب فيهما ﴿ والله بصير بما تعملون ﴾ فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه مافى ضمائركم وقرئ بالياء . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق

(مكية وهى خمس وأربعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ أى ذى المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو لأن من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل فى مطلع سورة ص وقوله تعالى ﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ أى لأن جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك أو من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد فى صدر سورة الاعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما أوفق شئ لقضية العقول وأقربه الى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم أضرب عنه وقيل بل عجبوا أى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن أنه لا مجد له ولكن لجهلهم ﴿ فقال الكافرون هذا شئ عجيب ﴾ تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه الصلاة والسلام منذرا بالقرآن واضمارهم أولا للاشعار بتعينهم بما أسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على أن هذا اشارة الى مبهم يفسره مابعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ماهو أشق منه فى قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الأول وأعرق فى كونه كفرا ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا ﴾ تقرير للتعجب وتأكيد للانكار والعامل فى اذا مضمر غنى عن البيان لغاية شهرته مع دلالة مابعده عليه أى أحين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به

مع كمال التباين بيننا و بين الحياة حينئذ وقرىء اذا متنا على لفظ الخبر أو على حذف أداة الانكار ﴿ذلك﴾ اشارة الى محل النزاع ﴿رجع بعيد﴾ أى عن الاوهام أو العادة أو الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذى هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ماينبىء عنـه المنذر من البعث ﴿قد علمنا ماتنقص الارض منهم﴾ رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ماتنقص الارض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم أحياء كما كانوا عن النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الاعجب الذنب وقيل ماتنقص الارض منهم مايموت فيدفن فى الارض منهم ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها أو محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شىء أو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده ﴿بل كذبوا بالحق﴾ اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ماهو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة ﴿لما جاءهم﴾ من غير تأمل وتفكر وقرىء لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أى وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن أو الاخبار بالبعث ﴿فهم فى أمر مريج﴾ أى مضطرب لاقرار له من مرج الخاتم فى أصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن ﴿أفلم ينظروا﴾ أى أغفلوا أو أعموا فلم ينظروا ﴿الى السماء فوقهم﴾ بحيث يشاهدونها كل وقت ﴿كيف بنيناها﴾ أى رفعناها بغير عمد ﴿وزيناها﴾ بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع ﴿ومالها من فروج﴾ من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل ﴿والارض مددناها﴾ أى بسطناها ﴿وألقينا فيها رواسى﴾ جبالا ثوابت من رسا الشىء اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بأن القاءها بارساء الارض بها ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج﴾ من كل صنف ﴿بهيج﴾ حسن ﴿تبصرة وذكرى﴾ علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير أو لفعل مقدر بطريق الاستئناف أى فعلنا مافعلنا تبصيرا وتذكيرا ﴿لكل عبد منيب﴾ أى راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنائعه وقوله تعالى ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا﴾ أى كثير المنافع شروع فى بيان كيفية انبات ماذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على أنبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على مابعده ﴿فأنبتنا به﴾ أى بذلك الماء ﴿جنات﴾ كثيرة أى أشجارا ذوات ثمار ﴿وحب الحصيد﴾ أى حب الزرع الذى شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات ﴿والنخل﴾ عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع مافيه من مراعاة الفواصل ﴿باسقات﴾ أى طوالا أو حواملا من أبسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل وقرىء باصقات لاجل القاف ﴿لها طلع نضيد﴾ أى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف أو من ضميرها فى باسقات على التداخل أو الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى ﴿رزقا للعباد﴾ أى لنرزقهم علة لقوله تعالى فأنبتنا و فى تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الأول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى أنبتنا لأن الانبات رزق ﴿وأحيينا به﴾ أى بذلك الماء ﴿بلدة ميتا﴾ أرضا جدبة لانماء فيها أصلا بأن جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان ﴿كذلك الخروج﴾ جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة

الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها أى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لاشىء مخالف لها و فى التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى أفهام الناس وقوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ الخ استئناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها ﴿وأصحاب الرس﴾ قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل وقيل كما مر فى سورة الفرقان على التفصيل ﴿وثمود وعاد وفرعون﴾ أى هو وقومه ليلائم ماقبله وما بعده ﴿واخوان لوط﴾ قيل كانوا من أصهاره عليه الصلاة والسلام ﴿وأصحاب الأيكة﴾ هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير أهل مدين ﴿وقوم تبع﴾ سبق شرح حالهم فى سورة الدخان ﴿كل كذب الرسل﴾ أى فيما أرسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى أجمعوا عليه قاطبة أى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والاقرار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع ﴿فحق وعيد﴾ أى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم ﴿أفعيينا بالخلق الاول﴾ استئناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت أحوال المنكرين له من الامم المهلكة والعى بالأمر العجز عنه يقال عى بالأمر وعيى به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبىء عنه العى من القصد والمباشرة كأنه قيل أقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة ﴿بل هم فى لبس من خلق جديد﴾ عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته ﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ أى ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا أو للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ﴿ونحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾ أى أعلم بحاله ممن كان أقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لأنه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لأن الروح ترده ﴿اذ يتلقى المتلقيان﴾ منصوب بما فى أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه الى مالا شىء أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى و يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بأنه تعالى غنى عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما لأعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل أحواله خبرا من زيادة لطف له فى الكف عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحى من الله و لا منهما وقد جوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب على معنى أنا أقرب اليه مطلعون على أعماله لأن حفظتنا وكتبتنا موكلون به ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الأول لدلالة الثانى عليه كما

فى قول من قال   رمانى بأمر كنت منه ووالدى   بريئا ومن أجل الطوى رمانى

وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما فى قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ﴿ما يلفظ من قول﴾ ما يرمى به
من فيه من خير أو شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول ﴿الا لديه رقيب﴾ ملك يرقب قوله ويكتبه فان كان خيرا
فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غنى عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على
ماصدر عنه لما أن كلامنهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿عتيد﴾ أى
معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم يتنبه له توهم أن معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر
لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل انما يكتبان
ما فيه أجر أو وزر وهو الأظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات
على يساره وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ بعد ماذكر
استبعادهم للبعث والجزاء وأزيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع
ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والأهوال وقد عبر عن وقوع كل منها
بصيغة الماضى ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اماللتعدية كما فى قولك جاء
الرسول بالخبر والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذى نطقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الأمر
وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لا بد أن يكون لامحالة من الموت أو الجزاء فان الانسان
خلق له واما للملابسة كالتى فى قوله تعالى تنبت بالدهن أى ملتبسة بالحق أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغاية الجميلة
وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى أنها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وأنها لشدتها توجب زهوق
الروح أو تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت
﴿ذلك﴾ أى الموت ﴿ما كنت منه تحيد﴾ أى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد
من أفراده طبعا ﴿ونفخ فى الصور﴾ هى النفخة الثانية ﴿ذلك﴾ أى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف
﴿يوم الوعيد﴾ أى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا أى يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وقيل
ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه
يوم الوعد أيضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة ﴿وجاءت كل نفس﴾ من النفوس البرة والفاجرة
﴿معها سائق وشهيد﴾ وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا أى معها ملكان أحدهما
يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل
السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله ومحل معها
النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس أو الجر على أنه وصف لنفس
أو الرفع على أنه وصف لكل وقوله تعالى ﴿لقد كنت فى غفلة من هذا﴾ محكى باضمار قول هو اما صفة أخرى لنفس
أو حال أخرى منها أو استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت فى غفلة الخ
وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء
على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما فى قول جبلة بن حريث

يانفس انك باللذات مسرور   فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير

﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ الغطاء الحجاب المغطى لأمور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها
وقصر النظر عليها ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف فى المواضع الثلاثة
﴿وقال قرينه﴾ أى الشيطان المقيض له مشيرا اليه ﴿هذا مالدى عتيد﴾ أى هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم
قد هيأته لها باغوائى واضلالى وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى مامعه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيأ
للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهى بدل منها أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف
﴿ألقيا فى جهنم كل كفار﴾ خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد على تنزيل
تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر   وان تدعانى أحم عرضا ممنعا

أو على أن الألف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة ﴿عنيد﴾
معاند للحق ﴿مناع للخير﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى
الوليد بن المغيرة لما منع بنى أخيه منه ﴿معتد﴾ ظالم متخط للحق ﴿مريب﴾ شاك فى الله وفى دينه ﴿الذى
جعل مع الله إلها آخر﴾ مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره ﴿فألقياه فى العذاب الشديد﴾ أو بدل من كل كفار
وقوله تعالى فألقياه تكرير للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه ﴿قال قرينه﴾ أى الشيطان المقيض له وانما
استؤنف استئناف الجمل الواقعة فى حكاية المقاولة لما أنه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ﴿ربنا ما أطغيته﴾ فانه
منبئ عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كأنه قال هو أطغانى فأجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة
الأولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على أن الجمع بين مفهوميهما فى الحصول أعنى مجئ كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ﴿ولكن كان﴾ هو بالذات ﴿فى ضلال بعيد﴾ من الحق فأعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير
قسر والجاء كما فى قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ﴿قال﴾ استئناف مبنى
على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال ﴿لا تختصموا لدى﴾ أى فى موقف الحساب
والجزاء اذ لا فائدة فى ذلك ﴿وقد قدمت اليكم بالوعيد﴾ على الطغيان فى دار الكسب فى كتبى وعلى ألسنة رسلى
فلا تطمعوا فى الخلاص عنه بما أنتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهى على معنى لا تختصموا
وقد صح عندكم أنى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه
معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز
أن يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ﴿مايبدل القول لدى﴾ الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من
المفعول أو الفاعل أى وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا أن
أبدل وعيدى والعفو عن بعض المذنبين لأسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله
تعالى ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلى وتبيين أن عدم تبديل القول وتحقيق موجب
الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما أشير
اليه آنفا أى وما أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر
من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره

عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ماذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها مبالغة كما لا كيفا ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل أمرها والمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلىء أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو أنها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرىء يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمجيد أو مفعول كالمبيع و يوم امامنصوب باذكر أو أنذر أوظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف أو لمقدر مؤخر أى يكون من الاحوال والأهوال مايقصر عنه المقال ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ شروع فى بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ أى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف و يقفون على مافيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى ﴿غير بعيد﴾ تأكيد للازلاف أى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أى شيأ غير بعيد و يجوز أن يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث أو لتأويل الجنة بالبستان ﴿هذا ماتوعدون﴾ اشارة الى الجنة والتذكير لما أن المشار اليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من أحكام اللفظ العربى كما مر فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله و رسوله و يجوز أن يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر أزلفت وقرىء يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين أومن الجنة والعامل أزلفت أى مقولا لهم أو مقولا فى حقها هذاماتوعدون ﴿لكل أواب﴾ أى رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار ﴿حفيظ﴾ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها و يستغفر منها وقيل هو الحافظ لأوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه ﴿من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾ بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أواب ولا يجوز أن يكون فى حكمه لأن من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذى أومبتدأ خبره ﴿ادخلوها﴾ بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى أومفعوله أوصفة لمصدره أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهوغائب عنه أوهو غائب عن الاعين لا يراه أحد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته أو بأن علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وأنهم عاملون بموجب قوله تعالى نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم و وصف القلب بالانابة لما أن العبرة برجوعه الى الله تعالى ﴿بسلام﴾ متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أى ملتبسين بسلامة من العذاب و زوال النعم أو بسلام من جهة الله تعالى وملائكته ﴿ذلك﴾ اشارة الى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ماذكر من الامور ﴿يوم الخلود﴾ اذ لا انتهاء له أبدا ﴿لهم مايشاءون﴾ من فنون المطالب كائنا ما كان ﴿فيها﴾ متعلق بيشاءون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول أو من عائده المحذوف من صلته ﴿ولدينا مزيد﴾ هو مالا يخطر ببالهم و لا يندرج تحت مشيئتهم من معالى الكرامات التى لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر وقيل ان السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ أى قبل قومك ﴿من قرن هم أشد منهم بطشا﴾ أى قوة كعاد وأضرابها ﴿فنقبوا فى البلاد﴾ أى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا



فى أقطارها أوجالوا فى أكناف الارض كل مجال حذار الموت وأصل التنقيب والنقب التنقير عن الأمر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب قيل هى عاطفة فى المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرىء بالتخفيف ﴿هل من محيص﴾ أى هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا أى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من محيص أوعلى اجراء التنقيب لمافيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول أوهو كلام مستأنف وارد لنفى أن يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لأهل مكة أى ساروا فى مسايرهم وأسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم و يعضده القراءة على صيغة الأمر وقرىء فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أى أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أوأخفاف ابلهم ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر فى السورة ﴿لذكرى﴾ لتذكرة وعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ أى قلب سليم يدرك به كنه مايشاهده من الامور و يتفكر فيها كما ينبغى فان من كان له ذلك يعلم أن مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير ﴿أو ألقى السمع﴾ أى الى مايتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الأمر فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى ﴿وهو شهيد﴾ أى حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عماذكر من الصفات للايذان بأن من عرى قلبه عنها كمن لاقلب له أصلا ﴿ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما﴾ من أصناف المخلوقات ﴿فى ستة أيام ومامسنا﴾ بذلك مع كونه مما لا يفى به القوى والقدر ﴿من لغوب﴾ من اعياء ما و لا تعب فى الجملة وهذا رد على جهلة اليهود فى زعمهم أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴿فاصبر على مايقولون﴾ أى ما يقوله المشركون فى شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلافتور قادر على بعثهم والانتقام منهم أومايقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أى نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى أخباره التى من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما أنعم به عليك من اصابة الحق وغيرها ﴿قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ﴿ومن الليل فسبحه﴾ وسبحه بعض الليل ﴿وأدبار السجود﴾ وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرىء بالكسر من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر و بما قبل الغروب الظهر والعصر و بما من الليل العشاءان والتهجد ومايصلى بأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات ﴿واستمع﴾ أى لما يوحى اليك من أحوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به ﴿يوم ينادى المنادى﴾ أى اسرافيل أوجبريل عليهما السلام فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر ﴿من مكان قريب﴾ بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة مثل كن فى البدء ﴿يوم يسمعون الصيحة﴾ بدل من يوم ينادى الخ وهى النفخة الثانية ﴿بالحق﴾ متعلق بالصيحة والعامل فى الظرف مايدل عليه قوله تعالى ﴿ذلك يوم الخروج﴾ أى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور ﴿انا نحن نحيي ونميت﴾ فى الدنيا من غير أن يشاركنا فى ذلك أحد ﴿والينا المصير﴾ للجزاء فى الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا ﴿يوم تشقق الارض عنهم﴾ بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرىء بتشديد الشين وتشقق على البناء

للمفعول من التفعيل وتنشق ﴿سراعا﴾ مسرعين ﴿ذلك حشر﴾ بعث وجمع وسوق ﴿علينا يسير﴾ أى هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بمتسلط تقسرهم على الايمان أو تفعل بهم ماتريد وانما أنت مذكر ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وأما من عداهم فنحن نفعل بهم ماتوجبه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من ألوان العقاب وفنون العذاب . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات

(مكية وآيها ستون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والذاريات ذروا﴾ أى الرياح التى تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء فى الذال ﴿فالحاملات وقرا﴾ أى السحب الحاملة للمطر أو الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر ﴿فالجاريات يسرا﴾ أى السفن الجارية فى البحر أو الرياح الجارية فى مهابها أو السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح أو الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف أى جريا ذا يسر ﴿فالمقسمات أمرا﴾ أى الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والأرزاق وغيرها أو السحب التى يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد وقد جوز أن يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الأمطار بتصريف السحاب فى الاقطار فان حملت الأمور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار مابينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والا فهى لترتيب ماصدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تعقد سحابا فتجرى به باسطة له الى ماأمرت به فتقسم المطر وقوله تعالى ﴿ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع﴾ جواب للقسم وفى تخصيص الأمور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة أو مصدرية ، ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله ﴿والسماء ذات الحبك﴾ قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هى المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبى والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب أو المعقولة التى يسلكها النظار أو النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وهى اما جمع حباك أو حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل ﴿انكم لفى قول مختلف﴾ أى متخالف متناقض وهو قولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام تارة شاعر وأخرى ساحر وأخرى مجنون وفى شأن القرآن الكريم تارة شعر وأخرى سحر وأخرى أساطير وفى هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به مانقل عن الضحاك من أن قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة فى هذا القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ أى يصرف عن القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام من صرف اذ لا صرف أفظع منه وأشد وقيل يصرف عنه من صرف فى علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك

من افك عن ذلك القول وقرئ من أفك أى من أفك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان ﴿قتل الخراصون﴾ دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون مالا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أى قتل الله ﴿الذين هم فى غمرة﴾ من الجهل والضلال ﴿ساهون﴾ غافلون عما أمروا به ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ أى متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ جواب للسؤال أى يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز أن يكون يوم خبرا لمبتدا محذوف أى هو يوم هم الخ والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده أنه قرئ بالرفع ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ أى مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى ﴿هذا الذى كنتم به تستعجلون﴾ جملة من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر أى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذى صفته ﴿ان المتقين فى جنات وعيون﴾ لايبلغ كنهها ولا يقادر قدرها ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ أى قابلين لما أعطاهم راضين به على معنى أن كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول ﴿انهم كانوا قبل ذلك﴾ فى الدنيا ﴿محسنين﴾ أى لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغى فلذلك نالوا مانالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما أشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى ﴿كانوا قليلا من الليل مايهجعون﴾ أى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل على أن قليلا ظرف أو كانوا يهجعون هجوعا قليلا على أنه صفة للمصدر وما مزيدة فى الوجهين ويجوز أن تكون مصدرية أو موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية أى كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو مايهجعون فيه وفيه مبالغات فى تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت الراحة والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى أنهم لايهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما أن ما النافية لايعمل مابعدها فيما قبلها ﴿وبالاسحار هم يستغفرون﴾ أى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الاسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بأنهم الاحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه ﴿وفى أموالهم حق﴾ أى نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس ﴿للسائل والمحروم﴾ للمستجدى والمتعفف الذى يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة ﴿وفى الارض آيات للموقنين﴾ أى دلائل واضحة على شؤنه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين فى أقطارها والسالكين فى مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وأنها تلقح بألوان النبات وأنواع الاشجار وأصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم فى صحتهم واعتلالهم ﴿وفى أنفسكم﴾ أى وفى أنفسكم آيات اذ ليس فى العالم شئ الا وفى الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة ﴿أفلا تبصرون﴾ أى ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة ﴿وفى السماء رزقكم﴾ أى اسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات ﴿وماتوعدون﴾ من الثواب لان الجنة فى السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿فورب السماء والارض انه لحق﴾ على أن الضمير لما وأما على الاول فاماله واما لما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه

مستعار لاسم الاشارة ﴿مثل ماأنكم تنطقون﴾ أى كما أنه لاشك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى أن لاتشكوا فى حقيته ونصبه على الحالية من المستكن فى لحق أوعلى أنه وصف لمصدر محذوف أى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شىء وأن بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع ﴿هل أتاك حديث ضيف ابراهيم﴾ تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحى والضيف فى الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم عليه السلام أو لانهم كانوا فى حسبانه كذلك ﴿المكرمين﴾ أى المكرمين عند الله تعالى أوعند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته ﴿اذ دخلوا عليه﴾ ظرف للحديث أو لما فى الضيف من معنى الفعل أو المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم ﴿فقالوا سلاما﴾ أى نسلم عليك سلاما ﴿قال﴾ أى ابراهيم ﴿سلام﴾ أى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه الصلاة والسلام أحسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرىء سلم وقرىء منصوبا والمعنى واحد ﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم عليه الصلاة والسلام للسلام الذى هو علم للاسلام أو لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس أو لان أوضاعهم وأشكالهم خلاف ماعليه الناس ولعله عليه الصلاة والسلام انما قاله فى نفسه من غير أن يشعرهم بذلك لا أنه خاطبهم به جهرا أو سألهم أن يعرفوه أنفسهم كما قيل والا لكشفوا أحوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لمقدمات الضيافة ﴿فراغ الى أهله﴾ أى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من أدب المضيف أن يبادره بالقرى ويبادر به حذارا من أن يكفه ويعذره أو يصير منتظرا والفاء فى قوله تعالى ﴿فجاء بعجل سمين﴾ فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجىء بالطعام كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فذبح عجلا فحنذه فجاء به ﴿فقربه اليهم﴾ بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد ﴿قال ألا تأكلون﴾ انكارا لعدم تعرضهم للاكل ﴿فأوجس منهم﴾ أضمر فى نفسه ﴿خيفة﴾ لتوهم أنهم جاءوا للشر وقيل وقع فى قلبه أنهم ملائكة جاءوا للعذاب ﴿قالوا لاتخف﴾ قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم ﴿وبشروه﴾ وفى سورة الصافات وبشرناه أى بواسطتهم ﴿بغلام﴾ هو اسحق عليه السلام ﴿عليم﴾ عنه بلوغه واستوائه ﴿فأقبلت امرأته﴾ سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم ﴿فى صرة﴾ فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية أو المفعولية ان جعل أقبلت بمعنى أخذت كما يقال أقبل يشتمنى ﴿فصكت وجهها﴾ أى لطمته من الحياء لما أنها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعله المتعجب ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ أى أنا عجوز عاقر فكيف ألد ﴿قالوا كذلك﴾ مثل ذلك القول الكريم ﴿قال ربك﴾ وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا أنا نقوله من تلقاء أنفسنا ﴿انه هو الحكيم العليم﴾ فيكون قوله حقا وفعله متقنا لامحالة . روى أن جبريل عليه السلام قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام أيضا حسبما شرح فى سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفى سورة هود ﴿قال﴾ أى ابراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا الامر ﴿فما خطبكم﴾ أى شأنكم الخطير الذى لأجله أرسلتم سوى البشارة ﴿أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ يعنون قوم لوط ﴿لنرسل عليهم﴾ أى بعد ماقلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل فى سائر السور الكريمة ﴿حجارة من طين﴾

أى طين متحجر هو السجيل ﴿مسومة﴾ مرسلة من أسمت الماشية أى أرسلتها أومعلمة من السومة وهى العلامة وقدمر تفصيله فى سورة هود ﴿عند ربك للمسرفين﴾ المجاوزين الحد فى الفجور وقوله تعالى ﴿فأخرجنا﴾ الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ماجرى بين الملائكة وبين ابراهيم عليه السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى مواضع أخر كأنه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك الخ ﴿من كان فيها﴾ أى فى قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها ﴿من المؤمنين﴾ ممن آمن بلوط ﴿فما وجدنا فيها غير بيت﴾ أى غير أهل بيت ﴿من المسلمين﴾ قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر ﴿وتركنا فيها﴾ أى فى القرية ﴿آية﴾ أى علامة دالة على ماأصابهم من العذاب قيل هى تلك الاحجار أوصخر منضود فيها أوماء منتن ﴿للذين يخافون العذاب الاليم﴾ أى من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لايعتدون بها ولايعدونها آية ﴿وفى موسى﴾ عطف على قوله تعالى وفى الارض أوعلى قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا ﴿اذ أرسلناه﴾ قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف أى كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا ﴿الى فرعون بسلطان مبين﴾ هو ماظهر على يديه من المعجزات الباهرة ﴿فتولى بركنه﴾ أى فأعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشىء وقرىء بركنه بضم الكاف ﴿وقال ساحر﴾ أى هو ساحر ﴿أو مجنون﴾ كأنه نسب ماظهر على يديه عليه الصلاة والسلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد فى أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم﴾ وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه مالا يخفى ﴿وهو مليم﴾ أى آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير فى فأخذناه ﴿وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ وصفت بالعقم لانها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن خيرا مامن انشاء مطر أو القاح شجر وهى النكباء أو الدبور أو الجنوب ﴿ماتذر من شىء أتت عليه﴾ أى جرت عليه ﴿الا جعلته كالرميم﴾ هو كل مارم وبلى وتفتت من عظم أونبات أو غير ذلك ﴿وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ وهو قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ أى فاستكبروا عن الامتثال به ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم الصيحة فهلكوا وقرىء الصعقة وهى المرة من الصعق ﴿وهم ينظرون﴾ اليها ويعاينونها ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ كقوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴿وما كانوا منتصرين﴾ بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم ﴿وقوم نوح﴾ أى وأهلكنا قوم نوح فان ماقبله يدل عليه أو واذكر ويجوز أن يكون معطوفا على محل فى عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فأخذناه ﴿من قبل﴾ أى من قبل هؤلاء المهلكين ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصى ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ أى بقوة ﴿وانا لموسعون﴾ لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق أو لموسعون السماء أو مابينها وبين الارض أو الرزق ﴿والارض فرشناها﴾ مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها ﴿فنعم الماهدون﴾ أى نحن ﴿ومن كل شىء﴾ أى من الاجناس ﴿خلقنا زوجين﴾ أى نوعين ذكرا وأنثى وقيل متقابلين السماء والارض

والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك ﴿لعلكم تذكرون﴾ أى فعلنا ذلك كله كى تتذكروا فتعرفوا أنه خالق الكل و رازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ﴿ففروا الى الله﴾ مقدر لقول خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الأمر على ماحكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار اليها كأنه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذى هذه شؤنه بالايمان والطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله الخ وقوله تعالى ﴿انى لكم منه نذير مبين﴾ تعليل للامر بالفرار اليه تعالى أو لوجوب الامتثال به فان كونه عليه الصلاة والسلام منذرا منه تعالى موجب عليه عليه الصلاة والسلام أن يأمرهم بالفرار اليه وعليهم أن يمتثلوا به أى انى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى أو مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفى أمره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بأنه عليه الصلاة والسلام ينذرهم من جهته تعالى لامن تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ﴿ولا تجعلوا مع الله الها آخر﴾ نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى ﴿انى لكم منه﴾ أى من الجعل المنهى عنه ﴿نذير مبين﴾ فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الافرار يقال فر منه أى هرب وأفره غيره كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقادا أو قولا الها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه ﴿كذلك﴾ أى الامر مثل ماذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أو مجنونا وقوله تعالى ﴿ما أتى الذين من قبلهم﴾ الخ تفسير له أى ماأتاهم ﴿من رسول﴾ من رسل الله ﴿الا قالوا﴾ فى حقه ﴿ساحر أو مجنون﴾ ولا سبيل الى انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل مابعد ما النافية فيما قبلها ﴿أتواصوا به﴾ انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لاتكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلا عن التفوه بها أى أأوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى ﴿بل هم قوم طاغون﴾ اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه أمرا أقبح من التواصى وأشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم ﴿فتول عنهم﴾ فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاباء ﴿فما أنت بملوم﴾ على التولى بعد مابذلت المجهود وجاوزت فى الابلاغ كل حد معهود ﴿وذكر﴾ أى افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر ﴿فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾ أى الذين قدر الله تعالى ايمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه الصلاة والسلام الى تذكيرهم و يوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الانس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداد وأكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ماهى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ماهو غرض له فان استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لانزاع فيه قطعا كيف لا وهى رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذى لايليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير منفى من أفعاله تعالى

بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفى فى تحقق معنى التعليل على مايقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادى وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لايمنع كونها غاية كما فى قوله تعالى كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تعالى وماأمروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما أن المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس أشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وماخلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوى معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا مايحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة أرزاقهم أى ماأريد أن أصرفهم فى تحصيل رزقى ولا رزقهم بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى ﴿ان الله هو الرزاق﴾ الذى يرزق كل مايفتقر الى الرزق وفيه تلويح بأنه غنى عنه وقرىء انى أنا الرزاق ﴿ذو القوة المتين﴾ بالرفع على أنه نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر لمضمر وقرىء بالجر على أنه وصف للقوة على تأويل الاقتدار أو الأيد ﴿فان للذين ظلموا﴾ أى ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم أهل مكة ﴿ذنوبا﴾ أى نصيبا وافرا من العذاب ﴿مثل ذنوب أصحابهم﴾ مثل أنصباء نظرائهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء ﴿فلا يستعجلون﴾ أى لايطلبوا منى أن أعجل فى المجىء به يقال استعجله أى حثه على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿فويل للذين كفروا﴾ وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذابا عظيما كما أن الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك ومن فى قوله تعالى ﴿من يومهم الذى يوعدون﴾ للتعليل أى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب بما فى صدر السورة الكريمة الآتية والأول هو الأوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوى. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

سورة الطور

(مكية وآيها تسع أو ثمان وأربعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والطور﴾ الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ﴿وكتاب مسطور﴾ مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور أو ما يكتب فى اللوح أو ما يكتبه الحفظة ﴿فى رق منشور﴾ الرق الجلد

الذى يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم أو للاشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه
الناس ﴿والبيت المعمور﴾ أى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه
كثرة غاشيته من الملائكة ﴿والسقف المرفوع﴾ أى السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور ﴿والبحر المسجور﴾
أى المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى أن الله تعالى يجعل
البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم ﴿ان عذاب ربك لواقع﴾ أى لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ﴿ماله
من دافع﴾ اما خبر ثان لان أو صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد
وتخصيص هذه الأمور بالاقسام بها لما أنها أمور عظام تنبىء عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على
احاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى ﴿يوم
تمور السماء مورا﴾ ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبىء عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد فى المجىء
والذهاب وقيل هو تحرك فى تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحا وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف أجزاؤها
﴿وتسير الجبال سيرا﴾ أى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما
وخروجهما عن الحدود المعهودة أى مورا عجيبا وسيرا بديعا لايدرك كنههما ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ أى اذا
وقع ذلك أو اذا كان الأمر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم ﴿الذين هم فى خوض﴾ أى اندفاع عجيب فى الاباطيل
والاكاذيب ﴿يلعبون﴾ يلهون ﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا﴾ أى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بأن تغل
أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعوا الى النار وقرىء يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى
مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى ﴿هذه النار التى كنتم بها تكذبون﴾ أى
يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحى الناطق بها وقوله تعالى ﴿أفسحر هذا﴾ توبيخ وتقريع لهم حيث
كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا أيضا سحر وتقديم الخبر لأنه محط الانكار
ومدار التوبيخ ﴿أم أنتم لاتبصرون﴾ أى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر أو أم سدت أبصاركم
كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴿اصلوها فاصبروا
أو لاتصبروا﴾ أى ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ماشئتم من الصبر وعدمه ﴿سواء عليكم﴾ أى الأمران فى عدم
النفع لابدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان
واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع ﴿ان المتقين فى جنات ونعيم﴾ أى فى أية جنات وأى نعيم على أن
التنوين للتفخيم أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع ﴿فاكهين﴾ ناعمين متلذذين ﴿بما آتاهم ربهم﴾
وقرىء فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر أو خبر آخر ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عطف على
آتاهم على أن ما مصدرية أو على خبر ان أو حال باضمار قد اما من المستكن فى الخبر أو فى الحال واما من فاعل آتى أو من مفعوله أو
منهما واظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل ﴿كلوا واشربوا﴾ أى يقال لهم كلوا واشربوا
أكلا وشربا ﴿هنيئا﴾ أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لاتنغيص فيه ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسببه أو بمقابلته وقيل الباء
زائدة وما فاعل هنيئا أى هنأ كم ما كنتم تعملون أى جزاؤه ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ مصطفة ﴿وزوجناهم بحور
عين﴾ وقرىء بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل المشهور وقرىء بعين عين والباء مع أن التزويج مما
يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق أو للسببية اذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن فان الزوجية

لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى ﴿والذين آمنوا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل
الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم فى الايمان وهو مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله تعالى ﴿واتبعتهم
ذريتهم﴾ عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى ﴿بايمان﴾ متعلق بالاتباع أى اتبعتهم ذريتهم بايمان فى
الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل أصالة لا الحاقا وقرىء
ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرىء وأتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقرىء
اتبعتهم ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ أى فى الدرجة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى
درجته وان كانوا دونه لتقربهم عينه ثم تلا هذه الآية ﴿وما ألتناهم﴾ وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق ﴿من عملهم﴾
من ثواب عملهم ﴿من شىء﴾ بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى
منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرىء ألتناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والأول كضرب يضرب ولتناهم من لات
يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور
والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وأخرى بمؤانسة الاخوان
المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده أى بسبب ايمان عظيم رفيع
المحل وهو ايمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لايستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل
نعيمهم أو بسبب ايمان دانى المنزلة وهو ايمان الذرية كأنه قيل بشىء من الايمان لايؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم
﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ قيل هو فعيل بمعنى مفعول والمعنى كل امرىء مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح
فان عمله فكه والا أهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرىء بما كسب راهن أى دائم ثابت وهذا أنسب بالمقام فان
الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شىء فالجملة تعليل لما قبلها
﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتا فوقتا مايشتهون من فنون النعماء
وألوان الآلاء ﴿يتنازعون فيها﴾ أى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبىء عنه التعبير عن ذلك
بالتنازع ﴿كأسا﴾ أى خمرا تسمية لها باسم محلها ﴿لالغو فيها﴾ أى فى شربها حيث لايتكلمون فى أثناء الشرب
بلغو الحديث وسقط الكلام ﴿ولا تأثيم﴾ ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف
كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم وأحاسن الكلام ويفعلون مايفعله الكرام وقرىء لالغو فيها
ولاتأثيم بالفتح ﴿ويطوف عليهم﴾ أى بالكاس ﴿غلمان لهم﴾ أى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين
سبقوهم ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم أو مخزون لانه لايخزن الا الثمين الغالى القيمة
قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على
الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى
الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أى يسأل كل بعض منهم
بعضا آخر عن أحواله وأعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤلا لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا ﴿قالوا﴾
أى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة ﴿انا كنا قبل﴾ أى فى الدنيا ﴿فى أهلنا مشفقين﴾ أرقاء القلوب
خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة ﴿فمن الله علينا﴾ بالرحمة أو التوفيق للحق ﴿ووقانا
عذاب السموم﴾ عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرىء ووقانا بالتشديد ﴿انا كنا من قبل ندعوه﴾

أى نعبده أو نسأله الوقاية ﴿ انه هو البر ﴾ المحسن ﴿ الرحيم ﴾ الكثير الرحمة الذى اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لانه ﴿ فذكر ﴾ فاثبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولاتكترث بما يقولون مما لاخير فيه من الاباطيل ﴿ فما أنت بنعمة ربك ﴾ بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل ﴿ بكاهن ولا مجنون ﴾ كما يقولون قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ وهو مايقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع أى بل أيقولون نتنظر به نوائب الدهر ﴿ قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم ﴿ أم تأمرهم أحلامهم ﴾ أى عقولهم ﴿ بهذا ﴾ أى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء فى واحد وأمر الاحلام بذلك مجاز عن أدائها اليه ﴿ أم هم قوم طاغون ﴾ مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لايحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون مايقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ﴿ أم يقولون تقوله ﴾ أى اختلقه من تلقاء نفسه ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التى لايخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم ﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾ مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ﴿ ان كانوا صادقين ﴾ فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام فى البشرية والعربية مع مابهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام ولا ريب فى أن القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك ﴿ أم خلقوا من غير شئ ﴾ أى أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل لاشئ من عبادة وجزاء ﴿ أم هم الخالقون ﴾ لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ﴿ أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ﴾ أى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما أعرضوا عن عبادته ﴿ أم عندهم خزائن ربك ﴾ أى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عمن شاؤا أو أعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ﴿ أم هم المسيطرون ﴾ أى الغالبون على الامور يدبرونها كيفما شاؤا حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ﴿ أم لهم سلم ﴾ منصوب الى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها أطماعهم الفارغة ﴿ فليأت مستمعهم بسلطان مبين ﴾ بحجة واضحة تصدق استماعه ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بأن من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد مافى أم المنقطعة من الانكار والتوبيخ ﴿ أم تسألهم أجرا ﴾ رجوع الى خطابه عليه الصلاة والسلام واعراض عنهم أى بل أتسألهم أجرا على تبليغ الرسالة ﴿ فهم ﴾ لذلك ﴿ من مغرم ﴾ من التزام غرامة فادحة ﴿ مثقلون ﴾ محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ أى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب ﴿ فهم يكتبون ﴾ مافيه حتى يتكلموا فى ذلك بنفى أو اثبات ﴿ أم يريدون كيدا ﴾ هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة ﴿ فالذين كفروا ﴾ هم

المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أوليا ﴿ هم المكيدون ﴾ أى هم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته ﴿ أم لهم اله غير الله ﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ أى عن اشراكهم أو عن شركة مايشركونه ﴿ وان يروا كسفا ﴾ قطعة ﴿ من السماء ساقطا ﴾ لتعذيبهم ﴿ يقولوا ﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿ سحاب مركوم ﴾ أى هم فى الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب ﴿ فذرهم حتى يلاقوا ﴾ وقرئ حتى يلقوا ﴿ يومهم الذى فيه يصعقون ﴾ على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولأن قوله تعالى ﴿ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ﴾ أى شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعا فى الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه فى أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الأولى فليست مما يجرى فى مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما تأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم ﴿ وان للذين ظلموا ﴾ أى لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل أى وان لهؤلاء الظلمة ﴿ عذابا آخر ﴾ ﴿ دون ذلك ﴾ دون مالاقوه من القتل أى قبله وهو القحط الذى أصابهم سبع سنين أو وراءه كما فى قوله تريك القذى من دونها وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أن الأمر كما ذكر وفيه اشارة الى أن فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا أو لا يعلمون شيئا أصلا ﴿ واصبر لحكم ربك ﴾ بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم ﴿ فانك بأعيننا ﴾ أى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ ﴿ وسبح ﴾ أى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا ﴿ بحمد ربك ﴾ على نعمائه الفائتة للحصر ﴿ حين تقوم ﴾ من أى مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ افراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل ﴿ وادبار النجوم ﴾ أى وقت ادبارها من آخر الليل أى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وقرئ أدبار النجوم بالفتح أى فى أعقابها اذا غربت أو خفيت ٭ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والطور كان حقا على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته

سورة والنجم

(مكية وآيها احدى أو اثنتان وستون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والنجم اذا هوى ﴾ المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال

هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل
فى اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما فى قولك آتيك اذا احمر البسر وفى الاقسام
بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه
أما على الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة
الى سواء السبيل ﴿ما ضل صاحبكم﴾ أى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة ﴿وما غوى﴾ أى
وما اعتقد باطلا قط أى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شىء أصلا وأما على
الثالث فلأنه تنويه بشأن القرآن كما أشير اليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه
عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذى هو علم فى الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل
عنها محمد عليه الصلاة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان
بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه الصلاة والسلام مما نفى عنه بالكلية وباتصافه عليه
الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شئونه العظيمة
مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الأخير ظاهر وأما على الأولين فلأن النجم لا يهتدى به
السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه
أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو
اللائق بشأن التنزيل الجليل وأما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة أو على انقضاض النجم الذى يرجم به أو حمل النجم
على النبات وحمل هويه على سقوطه على الأرض أو على ظهوره منها فمما لا يناسب المقام ﴿وما ينطق عن الهوى﴾
أى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلا فان المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق
عنه كما مر مرارا ﴿ان هو﴾ أى ما الذى ينطق به من القرآن ﴿الا وحى﴾ من الله تعالى وقوله تعالى ﴿يوحى﴾
صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى ﴿علمه شديد القوى﴾ أى ملك شديد قواه وهو
جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود
الذى هو تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه
على الأنبياء وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف ﴿ذو مرة﴾ أى حصافة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه ﴿فاستوى﴾
عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما أوحى بيان لكيفية التعليم أى فاستقام على صورته التى خلقه الله
تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى
صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الأرض
من المغرب وملأ الأفق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين فضمه الى
نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه أحد من الأنبياء فى صورته غير النبى عليه الصلاة والسلام فانه رآه
فيها مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الأمر وقوله تعالى ﴿وهو بالأفق
الأعلى﴾ أى أفق الشمس حال من فاعل استوى ﴿ثم دنا﴾ أى أراد الدنو من النبى عليهما الصلاة والسلام
﴿فتدلى﴾ أى استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به فدنا من النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وأدلى
دلوه والدوالى الثمر المعلق ﴿فكان﴾ أى مقدار امتداد ما بينهما ﴿قاب قوسين﴾ أى مقدارهما فان القاب والقيب

والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما فى قولك هو منى معقد الازار ﴿أو أدنى﴾ أى
على تقديركم كما فى قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحى اليه بنفى البعد الملبس
﴿فأوحى﴾ أى جبريل عليه السلام ﴿الى عبده﴾ عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى
ما ترك على ظهرها ﴿ما أوحى﴾ أى من الأمور العظيمة التى لا تفى بها العبارة أو فأوحى الله تعالى حينئذ بواسطة
جبريل ما أوحى قيل أوحى اليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ﴿ما كذب الفؤاد﴾
أى فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ما رأى﴾ أى ما رآه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام أى ما قال فؤاده
لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرىء ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه
جبريل بصورته ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ أى أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة وأبعد ما ذكر من أحواله
المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى
ما عند صاحبه وقرىء أفتمرونه أى أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال
غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه من مراه حقه اذا جحده ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ أى وبالله لقد رأى
جبريل فى صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل
فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبها على المصدر ﴿عند سدرة المنتهى﴾ هى شجرة
نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الأنهار التى ذكرها
الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى
الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهى اليها أرواح الشهداء وقيل
ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشىء الى مكانه كقولك أشجار
البستان أو اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى علوم الخلائق أو اضافة الملك الى
المالك على حذف الجار والمجرور أى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى ﴿عندها جنة
المأوى﴾ أى الجنة التى يأوى اليها المتقون أو أرواح الشهداء والجملة حالية وقيل الاحسن أن يكون الحال هو الظرف
وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى ﴿اذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة
المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى أو بمعنى الاتيان يقال
فلان يغشانى كل حين أى يأتينى والأول هو الاليق بالمقام وفى ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول
للتشويق اليه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفى به البيان كيفا ولا كما وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة وللايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها
الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها
سبحات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصبها ما أصابه من
الدك وقيل يغشاها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبى صلى الله عليه
وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة
والسلام يغشاها رفرف من طير خضر ﴿ما زاغ البصر﴾ أى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه ﴿وما طغى﴾
وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الأمور العجيبة المذهلة مالا يحصى بل أثبته اثباتا صحيحا متيقنا أو ما عدل عن رؤية

العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وماجاوزها ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ أى والله لقد رأى الآيات التى هى كبراها وعظاها حين عرج به الى السماء فأرى من عجائب الملك والملكوت مالا يحيط به نطاق العبارة ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أى شيأ عظيما من آيات ربه وأن تكون من مزيدة ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ هى أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على أنه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الأعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لأن دماء النسائك تمنى عندها أى تراق وقرئ ومناءة وهى مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والأخرى صفة ذم لها وهى المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ماذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا أفرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ماذكر من شئون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ماسمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره فى الملا الاعلى وماتحت الثرى ومابينهما رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقمائتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ماتقدم من عظمته وقيل أخبرونى عن آلهتكم هل لها شىء من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة فى الآى السابقة وقيل المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التى تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم أنها تشفع لكم فى الآخرة وقيل أفرأيتم الى هذه الأصنام ان عبدتموها لاتنفعكم وان تركتموها لاتضركم والأول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ شهادة بينة فانه توبيخ مبنى على التوبيخ الأول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لأنفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الأول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثانى عليه وظاهر أن ليس فى شىء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ماقيل من أن هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الأول لما أن الأصل أخبرونى أن اللات والعزى ومناة ألكم الذكر وله هن أى تلك الأصنام فوضع موضعها الأنثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع مافيه من التمحلات التى ينبغى تنزيه ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه ﴿تلك﴾ اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية ﴿اذا قسمة ضيزى﴾ أى جائرة حيث جعلتم له تعالى ماتستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وقرئ ضئزى بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على أنه مصدر نعت به وقرئ ضيزى اما على أنه مصدر وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكرى وعطشى ﴿ان هى﴾ الضمير للاصنام أى ما الأصنام باعتبار الألوهية التى يدعونها ﴿الا أسماء﴾ محضة ليس تحتها مما تنبئ هى عنه من معنى الألوهية شىء ما أصلا وقوله تعالى ﴿سميتموها﴾ صفة لأسماء وضميرها

لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وان قيست الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير ههنا المعنى الأول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الأصنام التى يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما فى قوله تعالى ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها الآية لا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هى للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الأصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين وأنت خبير بأنه لو سلم دلالة الأسماء المذكورة على ثبوت تلك المعانى الخاصة للاصنام فليس فى سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هى فى سلب الألوهية عنها كما هو زعمهم المشهور فى حق جميع الأصنام على وجه برهانى فان انتفاء الموصوف يقتضى انتفاء الوصف بطريق الأولوية أى ماهى الا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ بمقتضى أهوائكم الباطلة ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ برهان تتعلقون به ﴿ان يتبعون﴾ التفات الى الغيبة للايذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم أى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها ﴿الا الظن﴾ الا توهم أن ماهم عليه حق توهما باطلا ﴿وما تهوى الأنفس﴾ أى تشتهيه أنفسهم الامارة بالسوء ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ قيل هى حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأيا ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من أى شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب أقبح ﴿أم للانسان ما تمنى﴾ أم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان أن ماهم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى أنفسهم الى بيان أن ذلك مما لا يجدى نفعا أصلا والهمزة للانكار والنفى أى ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الأمور التى من جملتها أطماعهم الفارغة فى شفاعة الآلهة ونظائرها التى لاتكاد تدخل تحت الوجود ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ تعليل لانتفاء أن يكون للانسان مايتمناه حتما فان اختصاص أمور الآخرة والأولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء أن يكون له أمر من الأمور وقوله تعالى ﴿وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئاً﴾ اقناط لهم عما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم من شفاعة الأصنام بطريق الأولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى أى وكثير من الملائكة لاتغنى شفاعتهم عند الله تعالى شيأ من الاغناء فى وقت من الأوقات ﴿الا من بعد أن يأذن الله﴾ لهم فى الشفاعة ﴿لمن يشاء﴾ أن يشفعوا له ﴿ويرضى﴾ ويراه أهلا للشفاعة من أهل التوحيد والايمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بألف منزل فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الأصنام ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصى ﴿ليسمون الملائكة﴾ المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق أى يسمون كل واحد منهم ﴿تسمية الأنثى﴾ فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالأنثى وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بأنها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الآخرة بحيث لايجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى ﴿ومالهم به من علم﴾ حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال أنه لاعلم لهم بما يقولون أصلا وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية ﴿ان يتبعون﴾ فى ذلك ﴿الا الظن﴾ الفاسد ﴿وان الظن﴾ أى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار ﴿لا يغنى من الحق شيئاً﴾ من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشىء لايدرك الا بالعلم والظن لااعتداد به فى شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به فى العمليات وما يؤدى اليها ﴿فأعرض عمن تولى

عن ذكرنا﴾ أى عنهم و وضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما فى حيز صلته من الأوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها أى فأعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينى وهو القرآن المنطوى على علوم الأولين والآخرين المذكر لأمور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغى فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة ومافيها من الأمور المرغوب فيها والمرهوب عنها ﴿ولم يرد الا الحيوة الدنيا﴾ راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من أعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت هى منتهى همته وقصارى سعيه لاتزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل ﴿ذلك﴾ أى ماأداهم الى ماهم فيه من التولى و قصر الارادة على الحياة الدنيا ﴿مبلغهم من العلم﴾ لايكادون يجاوزونه الى غيره حتى تجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ماقبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى ﴿ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ تعليل للأمر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو أعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع الى الهدى أصلا و بمن اهتدى من من شأنه الاهتداء فى الجملة أى هو المبالغ فى العلم بمن لايرعوى عن الضلال أبدا أو بمن يقبل الاهتداء فى الجملة لاغيره فلاتتعب نفسك فى دعوتهم فانهم من القبيل الأول و فى تعليل الأمر باعراضه عليه السلام عن الاعتناء بأمرهم باقتصار العلم بأحوال الفريقين عليه تعالى رمز الى أنه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد و وعد ضمنا كما سيأتى صريحا ﴿و لله مافى السموات ومافى الارض﴾ أى خلقا وملكا لالغيره أصلا لااستقلالا و لااشتراكا وقوله تعالى ﴿ليجزى﴾ الخ متعلق بما دل عليه أعلم الخ ومابينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى و يحفظهما ليجزى ﴿الذين أساءوا بما عملوا﴾ أى بعقاب ماعملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله أو بسبب ماعملوا ﴿ويجزى الذين أحسنوا﴾ أى اهتدوا ﴿بالحسنى﴾ أى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة أو بسبب أعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى و لله مافى السموات ومافى الارض كأنه قيل خلق مافيهما ليجزى الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على أن اللام للعاقبة أى هو أعلم بمن ضل ليؤول أمره الى أن يجزيه الله تعالى بعمله و بمن اهتدى ليؤول أمره الى أن يجزيه بالحسنى وفيه من البعد مالايخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره أو بيان أو نعت أو منصوب على المدح وكبائر الاثم مايكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب عليه الوعيد بخصوصه وقرىء كبير الاثم على ارادة الجنس أو الشرك ﴿والفواحش﴾ وما فحش من الكبائر خصوصا ﴿الا اللمم﴾ أى الا ماقل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هى النظرة والغمزة والقبلة وقيل هى الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا و لاعذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ﴿ان ربك واسع المغفرة﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين مايشاء من الذنوب صغيرها و كبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين و وعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى و لايتوهم وجوب العقاب عليه تعالى ﴿هو أعلم بكم﴾ أى بأحوالكم يعلمها ﴿اذ أنشأكم﴾ فى ضمن انشاء أبيكم آدم عليه السلام ﴿من الارض﴾ انشاء اجماليا حسبما مر تقريره مرارا ﴿واذ أنتم أجنة﴾ أى و وقت كونكم أجنة ﴿فى بطون

أمهاتكم﴾ على أطوار مختلفة مترتبة لايخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة الواسعة لاصابكم و باله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء فى قوله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ لترتيب النهى عن تزكية النفس على ماسبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أى اذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصى بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ المعاصى جميعا وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ماعمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى و بتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ﴿أفرأيت الذى تولى﴾ أى عن اتباع الحق والثبات عليه ﴿وأعطى قليلا﴾ أى شيئا قليلا أو اعطاء قليلا ﴿وأكدى﴾ أى قطع العطاء من قولهم أكدى الحافر اذا بلغ الكدية أى الصلابة كالصخرة فلايمكنه أن يحفر قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب ان أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط و بخل بالباقى وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى لما أنه كان يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقيل فى أبى جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الأخلاق وذلك قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ الخ أى أعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة ﴿أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى﴾ أى وفر وأتم ماابتلى به من الكلمات أو أمر به أو بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله مالم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى أنه أتاه جبريل عليه السلام حين يلقى فى النار فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى أنه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والانوى الصوم وتقديم موسى لما أن صحفه التى هى التوراة أشهر عندهم وأكثر ﴿أن لاتزر وازرة وزر أخرى﴾ أى أنه لاتحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن هى المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل مما فى صحف موسى أو الرفع على أنها خبر مبتدا محذوف كأنه قيل مافى صحفهما فقيل هو أن لاتزر الخ والمعنى أنه لايؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثانى عن عقابه و لايقدح فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك وزر الاضلال الذى هو وزره وقوله تعالى ﴿وأن ليس للانسان الا ماسعى﴾ بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه وأما شفاعة الأنبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لايكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع أنها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذى هو الايمان والصلاح ولم يكن لشىء منها نفع مابدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وأن مخففة كأختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفته وميزانه من أريته الشىء ﴿ثم يجزاه﴾ أى يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى

﴿الجزاء الأوفى﴾ أو يبدل هو عنه كما فى قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴿وأن الى ربك المنتهى﴾ أى انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ أى هو خلق قوتى الضحك والبكاء ﴿وأنه هو أمات وأحيى﴾ لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى﴾ تدفق فى الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر ﴿وأن عليه النشأة الاخرى﴾ أى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهى أيضا مصدر نشأه ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾ وأعطى القنية وهى ما يتأثل من الأموال وأفردها بالذكر لأنها أشرف الأموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ أى رب معبودهم وهى العبور وهى أشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له عليه الصلاة والسلام به لمخالفته اياهم فى دينهم ﴿وأنه أهلك عادا الاولى﴾ هى قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لأنهم أولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عاد الاولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعادلولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة أولى ونقل حركتها الى لام التعريف ﴿وثمود﴾ عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين ﴿فما أبقى﴾ أى أحدا من الفريقين ﴿وقوم نوح﴾ عطف عليه أيضا ﴿من قبل﴾ أى من قبل اهلاك عاد وثمود ﴿انهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة ﴿والمؤتفكة﴾ هى قرى قوم لوط ائتفكت بأهلها اى انقلبت بهم ﴿أهوى﴾ أى أسقطها الى الارض بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء ﴿فغشاها ما غشى﴾ من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه ﴿فبأى آلاء ربك تتمارى﴾ تتشكك والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك أو لكل أحد واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها المعنى الاول فقط كما فى يتداعونهم أى يدعونهم وقد تجرد عنهم أيضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان المراء متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور المعدودة آلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر أو الى الرسول عليه الصلاة والسلام والنذير بمعنى المنذر وأياما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أى هذا القرآن الذى تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين وفى تعقيبه بقوله تعالى ﴿أزفت الآزفة﴾ اشعار بأن تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة أى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ أى ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها أو ليس لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها من غير الله تعالى كشف على أن كاشفة مصدر كالعافية ﴿أفمن هذا الحديث﴾ أى القرآن ﴿تعجبون﴾ انكارا ﴿وتضحكون﴾ استهزاء

مع كونه أبعد شئ من ذلك ﴿ولا تبكون﴾ حزنا على ما فرطتم فى شأنه وخوفا من أن يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة ﴿وأنتم سامدون﴾ أى لاهون أو مستكبرون من سمد البعير اذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما فى قول من قال

رمى الحدثان نسوة آل سعد ... بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفى والانكار وارد على نفى البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الأول قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والأول أوفى بحق المقام فتدبر والفاء فى قوله تعالى ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ لترتيب الأمر أو موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع أى واذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذى أنزله واعبدوه . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة شرفها الله تعالى

سورة القمر

(مكية وآيها خمس وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتى القمر وعن عثمان ابن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى ﴿وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ فانه ناطق بأنه قد وقع وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقرئ وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد أو الاستحكام أى وان يروا آية من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتى به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أو قوى مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم فى العناد والمكابرة ويؤيده ما سيأتى لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة ﴿وكذبوا﴾ أى بالنبى صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ التى زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقوله تعالى ﴿وكل أمر مستقر﴾ استئناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أى وكل أمر من الأمور مستقر أى منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبى صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه الصلاة والسلام مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرئ بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان

استقرار و بالكسر والجر على أنه صفة أمر و كل عطف على الساعة أى اقتربت الساعة و كل أمر مستقر ﴿ولقد جاءهم﴾ أى فى القرآن وقوله تعالى ﴿من الانباء﴾ أى أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده أى و بالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ﴿مافيه مزدجر﴾ أى ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن فى تجريدية والمعنى أنه فى نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرىء مزجر بقلبها زاء وادغامها ﴿حكمة بالغة﴾ غايتها لاخلل فيها وهى بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرىء بالنصب حالا منها فانها موصولة أو موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها ﴿فما تغنى النذر﴾ نفى للاغناء أو انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجىء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجىء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثانى منصوبة أى فأى اغناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الانذار ﴿فتول عنهم﴾ لعلمك بأن الانذار لايؤثر فيهم البتة ﴿يوم يدع الداع﴾ منصوب بيخرجون أو باذكر والداعى اسرافيل عليه السلام ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر فى قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا ﴿الى شىء نكر﴾ أى منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرىء نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر ﴿خشعا أبصارهم﴾ حال من فاعل ﴿يخرجون﴾ والتقديم لأن العامل متصرف أى يخرجون ﴿من الاجداث﴾ أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرىء خاشعا والافراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيقى التأنيث وقرىء خاشعة على الأصل وقرىء خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ فى الكثرة والتموج والتفرق فى الاقطار ﴿مهطعين الى الداع﴾ مسرعين مادى أعناقهم اليه أو ناظرين اليه ﴿يقول الكافرون﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون ﴿هذا يوم عسر﴾ أى صعب شديد وفى اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا فى تلك المرتبة من الشدة ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ شروع فى تعداد بعض ماذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقرير لفحوى قوله تعالى فما تغنى النذر أى فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى ﴿فكذبوا عبدنا﴾ تفسير لذلك التكذيب المبهم كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لأنه من جملتهم وفى ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه ﴿وقالوا مجنون﴾ أى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون ﴿وازدجر﴾ عطف على قالوا أى و زجر عن التبليغ بأنواع الأذية وقيل هو من جملة ما قالوه أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته ﴿فدعا ربه أنى﴾ أى بأنى وقرىء بالكسر على ارادة القول ﴿مغلوب﴾ أى من جهة قومى مالى قدرة على الانتقام منهم ﴿فانتصر﴾ أى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتى فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه و يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ منصب وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها وقرىء ففتحنا بالتشديد لكثرة الأبواب ﴿وفجرنا الأرض عيونا﴾ أى جعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله وفجرنا عيون الأرض فغير قضاء لحق المقام ﴿فالتقى الماء﴾ أى ماء السماء وماء الأرض والافراد لتحقيق أن التقاء

الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرىء الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا ﴿على أمر قد قدر﴾ أى كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ﴿وحملناه﴾ أى نوحا عليه السلام ﴿على ذات ألواح﴾ أى أخشاب عريضة ﴿ودسر﴾ ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهى صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدى مؤداها ﴿تجرى بأعيننا﴾ بمرأى منا أى محفوظة بحفظنا ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ أى فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لأنه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله تعالى على أمته ورحمة وأى نعمة وأى رحمة وقد جوز أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره فى الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرىء لمن كفر أى للكافرين ﴿ولقد تركناها﴾ أى السفينة أو الفعلة ﴿آية﴾ يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الأمة ﴿فهل من مدكر﴾ أى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرىء مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ استفهام تعظيم وتعجيب أى كانا على كيفية هائلة لايحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ﴿ولقد يسرنا القرآن﴾ الخ جملة قسمية وردت فى أواخر القصص الأربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر وتنبيها على أن كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية فى الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار أى و بالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد ﴿للذكر﴾ أى للتذكر والاتعاظ ﴿فهل من مدكر﴾ انكار ونفى للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام ﴿كذبت عاد﴾ أى هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى مايلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله ومابعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابى وانذارى لهم وقوله تعالى ﴿انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ استئناف ببيان ما أجمل أولا أى أرسلنا عليهم ريحا باردة أو شديدة الصوت ﴿فى يوم نحس﴾ شؤم ﴿مستمر﴾ أى شؤمه أو مستمر عليهم الى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر ﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم روى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ أى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بأعجاز النخل وهى أصولها بلافروع لأن الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى أجسادا وجثثا بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما أن تأنيثها فى قوله تعالى أعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وماقيل من أن الأول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة يرده ترتيب الثانى على العذاب الدنيوى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ الكلام فيه كالذى مر فيما سبق ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أى الانذارات والمواعظ التى سمعوها من صالح أو بالرسل عليهم السلام فان تكذيب أحدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على أصول الشرائع ﴿فقالوا أبشرا منا﴾ أى كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره مابعده ﴿واحدا﴾ أى منفردا لاتبع له أو واحدا من آحادهم لا من أشرافهم

وهو صفة أخرى لبشرا وتاخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرىء أبشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى ﴿نتبعه﴾ خبره والأول أوجه للاستفهام ﴿انا اذاً﴾ أى على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن أمة جمة ﴿لفى ضلال﴾ عن الصواب ﴿وسعر﴾ أى جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر أى نيران جمع سعير فعكسوا عليه عليه السلام لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول ﴿أألقى الذكر﴾ أى الكتاب والوحى ﴿عليه من بيننا﴾ وفينا من هو أحق منه بذلك ﴿بل هو كذاب أشر﴾ أى ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى ﴿سيعلمون غدا من الكذاب الأشر﴾ حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب أى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذى حمله أشره وبطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرىء ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ما أجابهم به صالح وقرىء الاشر كقولهم حذر فى حذر وقرىء الأشر أى الابلغ فى الشرارة وهو أصل مرفوض كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى ﴿انا مرسلو الناقة﴾ الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادى الموعود حتما أى مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا ﴿فتنة لهم﴾ أى امتحانا ﴿فارتقبهم﴾ أى فانتظرهم وتبصر مايصنعون ﴿واصطبر﴾ على أذيتهم ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء ﴿كل شرب محتضر﴾ يحضره صاحبه فى نوبته ﴿فنادوا صاحبهم﴾ هو قدار بن سالف أحيمر ثمود ﴿فتعاطى فعقر﴾ فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشىء بتكلف ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد ﴿انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ هى صيحة جبريل عليه السلام ﴿فكانوا﴾ أى فصاروا ﴿كهشيم المحتظر﴾ أى كالشجر اليابس الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرىء بفتح الظاء أى كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا﴾ أى ريحا تحصبهم أى ترميهم بالحصباء ﴿الا آل لوط نجيناهم بسحر﴾ فى سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الأخير منه أى ملتبسين بسحر ﴿نعمة من عندنا﴾ أى انعاما منا وهو علة لنجينا ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الجزاء العجيب ﴿نجزى من شكر﴾ نعمتنا بالايمان والطاعة ﴿ولقد أنذرهم﴾ لوط عليه السلام ﴿بطشتنا﴾ أى أخذتنا الشديدة بالعذاب ﴿فتماروا﴾ فكذبوا ﴿بالنذر﴾ متشاكين ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ قصدوا الفجور بهم ﴿فطمسنا أعينهم﴾ فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روى أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام ﴿فذوقوا عذابى ونذر﴾ أى فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما أنذروه من العذاب ﴿ولقد صبحهم بكرة﴾ وقرىء بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار مخصوص ﴿عذاب مستقر﴾ لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفى وصفه بالاستقرار ايماء الى أن ماقبله من عذاب الطمس ينتهى اليه ﴿فذوقوا عذابى ونذر﴾ حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ مر مافيه من الكلام ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ صدرت قصتهم بالتوكيد القسمى لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم مافيها من الآيات وكثرتها وهول مالاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم

بان نفسه أولى بذلك أى وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجىء النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهى الآيات التسع ﴿فأخذناهم أخذ عزيز﴾ لا يغالب ﴿مقتدر﴾ لا يعجزه شىء ﴿أكفاركم﴾ يامعشر العرب ﴿خير﴾ قوة وشدة وعدة وعدة أو مكانة ﴿من أولئكم﴾ الكفار المعدودين والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا وأسوأ حالا وقوله تعالى ﴿أم لكم براءة فى الزبر﴾ اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر أى بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصى وغوائلهما فى الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه وقوله تعالى ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أى بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن أولو حزم ورأى أمرنا مجتمع لا نرام ولا نضام أو منتصر من الاعداء لا نغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى ﴿سيهزم الجمع﴾ رد وابطال لذلك والسين للتأكيد أى يهزم جمعهم البتة ﴿ويولون الدبر﴾ أى الادبار وقد قرىء كذلك والتوحيد لارادة الجنس أو ارادة أن كل واحد منهم يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرىء سيهزم الجمع أى الله عز وعلا ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد أصل عذابهم وهذا من طلائعه ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ أى فى أقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذى لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة فى موقع اضمارها لتربية تهويلها ﴿ان المجرمين﴾ من الأولين والآخرين ﴿فى ضلال وسعر﴾ أى فى هلاك ونيران مسعرة وقيل فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة وقوله تعالى ﴿يوم يسحبون﴾ الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى فى ضلال أى كائنون فى ضلال وسعر يوم يجرون ﴿فى النار على وجوههم﴾ واما بقول مقدر بعده أى يوم يسحبون يقال لهم ﴿ذوقوا مس سقر﴾ أى قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الأول حال من ضمير يسحبون ﴿انا كل شىء﴾ من الأشياء ﴿خلقناه بقدر﴾ أى ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التى عليها يدور أمر التكوين أو مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شىء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خبره ﴿وما أمرنا الا واحدة﴾ أى كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن أو الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة ﴿كلمح بالبصر﴾ فى اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أى أشباهكم فى الكفر من الامم وقيل أتباعكم ﴿فهل من مدكر﴾ يتعظ بذلك ﴿وكل شىء فعلوه﴾ من الكفر والمعاصى مكتوب على التفصيل ﴿فى الزبر﴾ أى فى ديوان الحفظة ﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال ﴿مستطر﴾ مسطور فى اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعى بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين مالهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ﴿ان المتقين﴾ أى من الكفر والمعاصى ﴿فى جنات﴾ عظيمة الشأن ﴿ونهر﴾ أى أنهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرىء نهر جمع نهر كاسد وأسد ﴿فى مقعد صدق﴾ فى مكان مرضى وقرىء فى مقاعد صدق ﴿عند مليك مقتدر﴾

أى مقربين عند مليك لايقادر قدر ملكه وسلطانه فلاشئ الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما أعظم شانه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله تعالى يوم القيامة و وجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن

(مكية أومدنية أومتبعضة و آيها ست وسبعون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

لما عدد فى السورة السابقة مانزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل و بين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد فى هذه السورة الكريمة ماأفاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وأنكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدئ بتعليم القرآن فقيل ﴿الرحمن علم القرآن﴾ لأنه أعظم النعم شانا وأرفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية مامن مرصد يرنو اليه أحداق الامم الا وهو منشؤه ومناطه و لامقصد يمتد اليه أعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على أصالته وجلالة قدره ثم قيل ﴿خلق الانسان علمه البيان﴾ تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ماهو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما فى الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضا اذهو الذى يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث أخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أى يجريان بحساب مقدر فى بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب ﴿والنجم﴾ أى النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض و لاساق له ﴿والشجر﴾ أى الذى له ساق ﴿يسجدان﴾ أى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجدين من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظى تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوى اذلا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى و لاالى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها و بين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله عز وجل ﴿والسماء رفعها﴾ أى خلقها مرفوعة محلا و رتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه ومتنزل أوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه مالايخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿ووضع الميزان﴾ أى شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق ما استحقه و وفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين ابن الفضل كما فى قوله تعالى وأنزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو مايعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وماتعبدهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم ﴿أن لاتطغوا فى الميزان﴾ أى لئلا تطغوا فيه على أن أن ناصبة و لانافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى و وضع الميزان أو أى لاتطغوا على أنها

مفسرة لما فى الشرع من معنى القول و لا ناهية أى لا تعتدوا و لا تتجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ﴿ولاتخسروا الميزان﴾ أى لاتنقصوه أمر أولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء و زيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولاتخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره و بفتح السين أيضا على أن الاصل ولاتخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل ﴿والارض وضعها﴾ أى خفضها مدحوة على الماء ﴿للانام﴾ أى الخلق قيل المراد به كل ذى روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى ﴿فيها فاكهة﴾ الخ استئناف مسوق لتقرير ماأفاده الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به ﴿والنخل ذات الاكمام﴾ هى أوعية الثمر جمع كم أو كل ما يكم أى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه ﴿والحب﴾ هو مايتغذى به كالحنطة والشعير ﴿ذو العصف﴾ هو ورق الزرع وقيل التبن ﴿والريحان﴾ قيل هو الرزق أريد به اللب أى فيها مايتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل ومايتغذى به وهو الحب الذى له عصف هو علف الأنعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان أى خلق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف أو فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف أو للفرق بينه و بين الروحان وهو ما له روح قاله القرطبى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى أيها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على مافصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة فى نفسه كتعليم القرآن ومايستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة فى نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا أو اشتراكا صريحا أو دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به تعالى فى العبادة من دواعى اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لامحالة أى فاذا كان الامر كما فصل فبأى فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق ﴿خلق الانسان من صلصال كالفخار﴾ تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتى كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافى بين الآية الناطقة بأحدها و بين مانطق بأحد الآخرين ﴿وخلق الجان﴾ أى الجن أو أبا الجن ﴿من مارج﴾ من لهب صاف ﴿من نار﴾ بيان لمارج فانه فى الأصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما أفاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم ﴿رب المشرقين و رب المغربين﴾ بالرفع على خبرية مبتدا محذوف أى الذى فعل ماذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب مابينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على أنه بدل من ربكما ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما فى ذلك من فوائد لاتحصى من اعتدال الهواء واختلاف

الفصول وحدوث مايناسب كل فصل فى وقته الى غير ذلك ﴿مرج البحرين﴾ أى أرسلهما من مرجت الدابة اذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿يلتقيان﴾ أى يتجاوران و يتماس سطوحهما لافصل بينهما فى مرأى العين وقيل أرسل بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان ينشعبان منه ﴿بينهما برزخ﴾ أى حاجز من قدرة الله عز وجل أو من الأرض ﴿لايبغيان﴾ أى لايبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية أو لايتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وليس منهما شئ يقبل التكذيب ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الأحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره وقنسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع أنهما انما يخرجان من الملح على ماقالوا لما قيل انهما لايخرجان الا من ملتقى الملح والعذب أو لانهما لما التقيا وصارا كالشئ الواحد ساغ أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع أنهما لايخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الأظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان و بنون العظمة ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار﴾ أى السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء و بحذف الياء كقول من قال

لها ثنايا أربع حسان ... وأربع فكلها ثمان

﴿المنشآت﴾ المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرئ بكسر الشين أى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن ﴿فى البحر كالأعلام﴾ كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها و كيفية تركيبها واجرائها فى البحر بأسباب لايقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه ﴿كل من عليها﴾ أى على الارض من الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين ﴿فان﴾ هالك لامحالة ﴿و يبقى وجه ربك﴾ أى ذاته عز وجل ﴿ذو الجلال والاكرام﴾ أى ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذى عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلى و يقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذى الجلال والاكرام على أنه صفة ربك وأياما كان ففى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق و بقائه تعالى ايذان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء ﴿يسأله من فى السموات والارض﴾ قاطبة مايحتاجون اليه فى ذواتهم و وجوداتهم حدوثا و بقاء وسائر أحوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال أو بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود ومايتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لوانقطع مابينهم و بين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلا فهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر فى تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام ﴿كل يوم﴾ أى كل وقت من الأوقات ﴿هو فى شأن﴾ من الشؤن التى من جملتها اعطاء ماسألوا فانه تعالى لايزال ينشئ أشخاصا و يفنى آخرين و يأتى بأحوال و يذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة و فى الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لايقضى يوم السبت شيئا ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه ﴿سنفرغ لكم﴾ أى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤن الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فلايبقى حينئذ الاشأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك أى سأتجرد للايقاع بك من كل مايشغلنى عنه والمراد التوفر

على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم أى سنقصد اليكم ﴿أيها الثقلان﴾ هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض أو لرزانة آرائهما أو لانهما مثقلان بالتكليف ﴿فبأى آلاء ربكما﴾ التى من جملتها التنبيه على ماسيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب ﴿تكذبان﴾ بأقوالكما وأعمالكما ﴿يامعشر الجن والانس﴾ هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان أن قدرتهم لاتفى بما كلفوه ﴿ان استطعتم﴾ ان قدرتم على ﴿أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض﴾ أى أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن أقطار سمواتى وأرضى ﴿فانفذوا﴾ منها وخلصوا أنفسكم من عقابى ﴿لاتنفذون﴾ لاتقدرون على النفوذ ﴿الا بسلطان﴾ أى بقوة وقهر وأنتم من ذلك بمعزل بعيد روى أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة أحاطت به ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة ﴿يرسل عليكما شواظ﴾ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الأحمر وقيل اللهب الأخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين ﴿من نار﴾ متعلق بيرسل أو بمضمر هو صفة لشواظ أى كائن من نار والتنوين للتفخيم ﴿ونحاس﴾ أى دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ نحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس أى نقتل بالعذاب ﴿فلا تنتصران﴾ أى لا تمتنعان ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ فان بيان عاقبة ماهم عليه من الكفر والمعاصى لطف وأى لطف ونعمة وأى نعمة ﴿فاذا انشقت السماء﴾ أى انصدعت يوم القيامة ﴿فكانت وردة﴾ كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على أن كان تامة أى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال

ولئن بقيت لأرحلن بغزوة ... تحوى الغنائم أو يموت كريم

﴿كالدهان﴾ خبر ثان لكانت أو نعت لوردة أو حال من اسم كانت أى كدهن الزيت وهو اما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الأديم الأحمر وجواب اذا محذوف أى يكون من الأحوال والأهوال مالايحيط به دائرة المقال ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع عظم شأنها ﴿فيومئذ﴾ أى يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر ﴿لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان﴾ لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك أول ما يخرجون من القبور و يحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما أن المراد فرد من الانس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه وأما ماقيل مما أنعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه و زرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن ﴿فيؤخذ بالنواصى والأقدام﴾ الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالأخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه وأخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى أخذ الله بيدك أى يجمع بين نواصيهم وأقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة تأخذ بالأقدام ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون﴾

على ارادة القول أى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على أن الجملة اما استئناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية الأخذ بالنواصى والأقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ أو حال من أصحاب النواصى والأقدام لأن الألف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض ﴿يطوفون بينها﴾ أى بين النار يحرقون بها ﴿وبين حميم آن﴾ ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد أشير الى سر كون بيان أمثال هذه الأمور من قبيل الآلاء مرارا ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ شروع فى تعداد الآلاء الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم أن ما عدد فيما بين هذه الآية و بين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما أن أنفسها آلاء جليلة واصلة اليهم فى الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم فى الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعى فى تحصيل مايؤدى الى نيلها من الايمان والطاعة وأن ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو فى شأن من النعم الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدى الى استدامتها وأما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم و بين هذه الآية من الأحوال الهائلة التى ستقع فى الآخرة فليست هى من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدى الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى كما أشير اليه فى تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحواله من قام عليه اذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل أو هو مقحم للتعظيم ﴿جنتان﴾ جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين فالمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصى أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿ذواتا أفنان﴾ صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن أى ذواتا أنواع من الأشجار والثمار أو جمع فنن أى ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التى تورق وتثمر وتمد الظل ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وليس فيها شئ يقبل التكذيب ﴿فيهما عينان تجريان﴾ صفة أخرى لجنتان أى فى كل واحدة منهما عين تجرى كيف يشاء صاحبها فى الأعالى والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ أى صنفان معروف وغريب أو رطب و يابس صفة أخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿متكئين﴾ حال من الخائفين لأن من خاف فى معنى الجمع أو نصب على المدح ﴿على فرش بطائنها من استبرق﴾ من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور ﴿وجنى الجنتين دان﴾ أى ما يجتنى من أشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿فيهن﴾ أى فى الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين

أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الأماكن والقصور وقيل فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش ﴿قاصرات الطرف﴾ نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم ﴿لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان﴾ أى لم يمس الانسيات أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لأن اضافتها لفظية أو حال منها لتخصصها بالاضافة ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ اما صفة لقاصرات الطرف أو حال منها كالتى قبلها أى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة والمرجان أى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر أنصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿هل جزاء الاحسان الا الاحسان﴾ استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله أى ما جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿ومن دونهما جنتان﴾ مبتدأ وخبر أى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿مدهامتان﴾ صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ أى خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان﴾ أى فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله من حلف لايأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿فيهن خيرات﴾ صفة أخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جميع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لأن خيرا الذى بمعنى أخير لايجمع وقد قرئ على الأصل ﴿حسان﴾ أى حسان الخلق والخلق ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿حور﴾ بدل من خيرات ﴿مقصورات فى الخيام﴾ قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة أى مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان﴾ كالذى مر فى نظيره من جميع الوجوه ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين﴾ نصب على الاختصاص ﴿على رفرف خضر﴾ الرفرف اما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ماتدلى من الاسرة من أعالى الثياب وقيل هو ضرب من البسط أو البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف و يقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف و رفرف السحاب هيدبه ﴿وعبقرى حسان﴾ العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما فى رفرف على أحد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر فى اسم البلد ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿تبارك اسم ربك﴾ تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر فى السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الانام أى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ماصدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضته الآلاء المفصلة

وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التى من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ﴿ذى الجلال والاكرام﴾ وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على أنه نعت للاسم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

سورة الواقعة

(مكية وهى سبع وتسعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا وقعت الواقعة﴾ أى اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال مالا يفى به المقال وقيل بالنفى المفهوم من قوله تعالى ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب فى نفيها كما تكذب اليوم واللام كهى فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وهذه الجملة على الوجه الأول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعافية أى ليس لاجل وقعتها و فى حقها كذب أصلا بل كل ما ورد فى شأنها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى ﴿خافضة رافعة﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هى خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى ﴿اذا رجت الارض رجا﴾ أى زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع و يرتفع ما هو منخفض أو بدل من اذا وقعت ﴿وبست الجبال بسا﴾ أى فتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته أو سيقت وسيرت من أما كنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت و بست أى ارتجت وذهبت ﴿فكانت﴾ أى فصارت بسبب ذلك ﴿هباء﴾ غبارا ﴿منبثا﴾ منتشرا ﴿وكنتم﴾ اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا أو للحاضرة فقط ﴿أزواجا﴾ أى أصنافا ﴿ثلاثة﴾ فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود أو فى الذكر فهو زوج وقوله تعالى ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فأصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الأول والأصل ما هم أى أى شئ هم فى حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل فى التفخيم وكذا الكلام فى قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين فى الفخامة والفظاعة كانه قيل فأصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة فى نهاية سوء الحال وتكلموا فى الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب

المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعاتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى ﴿والسابقون السابقون﴾ هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الاقسام وأقدمهم فى الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون فى الخيرات وأياما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبى النجم

أنا أبو النجم وشعرى شعرى

وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته أو السابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى ﴿أولئك﴾ اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل ﴿المقربون﴾ أى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا أظهر ما ذكر فى اعراب هذه الجمل وأشهره والذى تقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان أنفس الاقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامى أحوالهما فى الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بأن لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما رآه سيبويه فى أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان أن أمرا بديعا أصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال فى ما أصحاب المشأمة وأما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن أحواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار فى مقام الاضمار للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الأول وما بعده خبر له أو للثانى والجملة خبر للاول وقوله تعالى ﴿فى جنات النعيم﴾ متعلق بالمقربون أو بمضمر هو حال من ضميره أى كائنين فى جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه أن الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ فى جنة النعيم وقوله تعالى ﴿ثلة من الأولين﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هم أمة جمة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام ﴿وقليل من الآخرين﴾ أى من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام ان أمتى يكثرون سائر الامم فان أكثرية سابقى الامم السالفة من سابقى هذه الامة لا تمنع أكثرية تابعى هؤلاء من تابعى أولئك ولا يرده قوله تعالى فى أصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين فى أنفسهما لا تنافى أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتى أن الثلتين من هذه الامة وقد روى مرفوعا أن الاولين والآخرين ههنا أيضا متقدمو هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر ﴿على سرر

موضونة﴾ حال أخرى من المقربين أو من ضميرهم فى الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو النسج ﴿متكئين عليها متقابلين﴾ حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر أى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من أقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب ﴿يطوف عليهم﴾ حال أخرى أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة ﴿ولدان مخلدون﴾ أى مبقون أبدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة ﴿بأكواب﴾ بآنية لا عرى لها ولا خراطيم ﴿وأباريق﴾ أى آنية ذات عرى وخراطيم ﴿وكأس من معين﴾ أى خمر جارية من العيون قيل انما أفرد الكأس لانها لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة ﴿لا يصدعون عنها﴾ أى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون أى لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون أى لا يفرق بعضهم بعضا ﴿ولا ينزفون﴾ أى لا يسكرون من أنزف الشارب اذا نفد عقله أو شرابه ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ أى يختارونه ويأخذون خيره وأفضله ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ أى يتمنون وقرئ ولحوم طير ﴿وحور عين﴾ بالرفع عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أو ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور أو على أكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب أى ويؤتون حورا ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ صفة لحور أو حال ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم أو مصدر مؤكد أى يجزون جزاء ﴿لا يسمعون فيها لغوا﴾ أى باطلا ﴿ولا تأثيما﴾ أى ولا نسبة الى الاثم أى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ﴿الا قيلا﴾ أى قولا ﴿سلاما سلاما﴾ بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما أو صفته أو مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الآخر بدءا أو ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى ﴿وأصحاب اليمين﴾ شروع فى تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شئونهم الفاضلة اثر تفصيل شئون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿ما أصحاب اليمين﴾ جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها محلها اما الرفع على أنها خبر للمبتدا أو معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى ﴿فى سدر مخضود﴾ وهو على الاول خبر ثان للمبتدا أو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف لبيان ما أبهم فى قوله تعالى ما أصحاب اليمين من علو الشأن أى هم فى سدر غير ذى شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه أى قطع وقيل مخضود أى مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب ﴿وطلح منضود﴾ قد نضد حمله من أسفله الى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل أو نحولها قال آى القرآن لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه ﴿وظل ممدود﴾ ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ﴿وماء مسكوب﴾ يسكب لهم أينما شاؤا وكيفما أرادوا بلا تعب أو مصبوب سائل يجرى على الارض فى غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لأهل البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين ﴿وفاكهة

كثيرة﴾ بحسب الانواع والاجناس ﴿لا مقطوعة﴾ فى وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ﴿ولا ممنوعة﴾ عن متناوليها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى وحور عين ﴿وفرش مرفوعة﴾ أى رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة أو مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى ﴿انا أنشأناهن انشاء﴾ وعلى التفسير الاول أضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا أو أبدعناهن من غير ولاد ابداء أو اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وذلك قوله تعالى ﴿فجعلناهن أبكارا﴾ وقوله تعالى ﴿عربا﴾ جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء ﴿أترابا﴾ مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام فى قوله تعالى ﴿لأصحاب اليمين﴾ متعلقة بأنشأنا أو جعلنا أو بأترابا كقولك هذا ترب لهذا أى مساو له فى السن وقيل بمحذوف هو صفة لأبكارا أى كائنات لأصحاب اليمين أو خبر مبتدا محذوف أى هن لأصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ وهو بعيد بل هو خبر مبتدا محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة من الاولين وأمة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن أبى العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين أى من سابقى هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من أمتى ﴿وأصحاب الشمال﴾ شروع فى تفصيل أحوالهم التى أشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام فى قوله تعالى ﴿ما أصحاب الشمال﴾ عين ما فصل فى نظيره وكذا فى قوله تعالى ﴿فى سموم وحميم﴾ والسموم حر نار ينفذ فى المسام والحميم الماء المتناهى فى الحرارة ﴿وظل من يحموم﴾ من دخان أسود بهيم ﴿لا بارد﴾ كسائر الظلال ﴿ولا كريم﴾ فيه خير ما فى الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذى عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أى لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى ﴿انهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب أى انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ أى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب ﴿وكانوا يقولون﴾ لغاية عتوهم وعنادهم ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما﴾ أى كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ﴿أئنا لمبعوثون﴾ لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله أفلا تعقلون على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه

من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال مالامزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تعالى ﴿أو آباؤنا الاولون﴾ لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك الفصل بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين أبعد من الوقوع وقرىء أو آباؤنا ﴿قل﴾ ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ﴿ان الأولين والآخرين﴾ من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم وفى تقديم الأولين مبالغة فى الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم أشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى ﴿لمجموعون﴾ بعد البعث وقرىء لمجمعون ﴿الى ميقات يوم معلوم﴾ الى ماوقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ﴿ثم انكم أيها الضالون﴾ عطف على ان الأولين داخل تحت القول وثم للتراخى زمانا أو رتبة ﴿المكذبون﴾ أى بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم ﴿لآكلون﴾ بعد البعث والجمع ودخول جهنم ﴿من شجر من زقوم﴾ من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر أى كائن من زقوم ﴿فمالئون منها البطون﴾ أى بطونكم من شدة الجوع ﴿فشاربون عليه﴾ عقيب ذلك بلا ريث ﴿من الحميم﴾ أى الماء الحار فى الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرىء من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أى لايكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولاتروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لايتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم مايضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش مايضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرىء شرب الهيم بالفتح وهو أيضا مصدر وقرىء بالكسر على أنه اسم المشروب ﴿هذا﴾ الذى ذكر من أنواع العذاب ﴿نزلهم يوم الدين﴾ أى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو مايعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد مااستقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم بهم مالايخفى وقرىء نزلهم بسكون الزاى تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ماقبلها أى فهلا تصدقون بالخلق فان مالايحققه العمل ولايساعده بل ينبىء عن خلافه ليس من التصديق فى شىء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والأول هو الوجه كما ستحيط به خبرا ﴿أفرأيتم ماتمنون﴾ أى تقذفون فى الارحام من النطف وقرىء بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها ﴿أأنتم تخلقونه﴾ أى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ﴿أم نحن الخالقون﴾ له من غير دخل شىء فيه وأم قيل منقطعة لأن مابعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجىء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لابطريق الخبرية أصالة ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ أى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرىء قدرنا مخففا ﴿ومانحن بمسبوقين﴾ أى انا قادرون ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ لايغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتى مكانكم أشباهكم من الخلق ﴿وننشئكم فيما لاتعلمون﴾ من الخلق والاطوار ولاتعهدون بمثلها قال الحسن رحمه الله أى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى ومايسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن نبدل الخ اما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى

بمعنى اللام ومابينهما اعتراض ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم عليه السلام من التراب ﴿فلولا تذكرون﴾ فهلا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتما فانه أقل صنعا لحصول المواد وتخصص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرىء فلولا تذكرون من الثلاثى وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور ﴿أفرأيتم ماتحرثون﴾ أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه ﴿أأنتم تزرعونه﴾ تنبتونه وتردونه نباتا يرف ﴿أم نحن الزارعون﴾ أى المنبتون لا أنتم والكلام فى أم كما مر آنفا ﴿لو نشاء لجعلناه حطاما﴾ هشيما متكسرا متفتتا بعد ماأنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله ﴿فظلتم﴾ بسبب ذلك ﴿تفكهون﴾ تعجبون من سوء حاله اثر ماشاهدتموه على أحسن مايكون من الحال أوتندمون على ماتعبتم فيه وأنفقتم عليه أوعلى مااقترفتم لأجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرىء تفكنون أى تتندمون وقرىء فظلتم بالكسر وفظللتم على الأصل ﴿انا لمغرمون﴾ أى لملزمون غرامة ماأنفقنا أومهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرىء أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو فى حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون أى قائلين أوتقولون انا لمغرمون ﴿بل نحن محرومون﴾ حرمنا رزقنا أو محارفون محدودون لاحظ لنا ولابخت لامجدودون ﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون﴾ عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه أعذب ﴿أم نحن المنزلون﴾ له بقدرتنا ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ ملحا زعاقا لايمكن شربه وحذف اللام هنا مع اثباتها فى الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع أوالفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى ﴿فلولا تشكرون﴾ تحضيض على شكر الكل ﴿أفرأيتم النار التى تورون﴾ أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾ التى منها الزناد وهى المرخ والعفار ﴿أم نحن المنشئون﴾ لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبىء عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لاتخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما أن التعبير عن نفخ الروح بالانشاء فى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ استئناف مبين لمنافعها أى جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ماأوعدوا به من نار جهنم أوتذكرة وأنموذجا من نار جهنم لما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة فى أمر البعث فانه ليس بأبدع من اخراج النار من الشىء الرطب ﴿ومتاعا﴾ ومنفعة ﴿للمقوين﴾ للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج اليها فان المقيمين أوالنازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار مايهمهم ويسد خللهم فيما لايؤكل الابالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الاهم هو النفع الاخروى والفاء فى قوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لترتيب مابعدها على ماعدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها أو تعجبا من أمرهم فى غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أوشكرا على تلك النعم السابقة أى فأحدث التسبيح

بذكر اسمه تعالى أو بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكر له والعظيم صفة للاسم أو الرب ﴿فلا أقسم﴾ أى فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه وأما ماقيل من أن المعنى فلا أقسم اذ الامر أوضح من أن يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به ﴿بمواقع النجوم﴾ أى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فان له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته مالا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقوله تعالى ﴿وانه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى ﴿انه لقرآن كريم﴾ أى كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك أريد به نفى علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أى لعظمتموه أو لعملتم بموجبه ﴿فى كتاب مكنون﴾ أى مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح ﴿لا يمسه الا المطهرون﴾ اما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الاوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفيا بمعنى النهى أى لا ينبغى أن يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أى لا ينبغى له أن يظلمه أو يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرىء المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرىء تنزيلا ﴿أفبهذا الحديث﴾ الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم ﴿أنتم مدهنون﴾ أى متهاونون به كمن يدهن فى الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به ﴿وتجعلون رزقكم﴾ أى شكر رزقكم ﴿أنكم تكذبون﴾ أى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرىء وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه الى الأنواء والاول هو الأوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل ﴿فلولا اذا بلغت الحلقوم﴾ الخ تبكيت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية أى فهلا اذا بلغت النفس أى الروح وقيل نفس أحدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج ﴿وأنتم حينئذ﴾ أيها الحاضرون حول صاحبها ﴿تنظرون﴾ الى ماهو فيه من الغمرات ﴿ونحن أقرب اليه﴾ علما وقدرة وتصرفا ﴿منكم﴾ حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع أدنى شىء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت ﴿ولكن لا تبصرون﴾ لا تدركون ذلك لجهلكم بشئوننا وقوله تعالى ﴿فلولا ان كنتم غير مدينين﴾ أى غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعى عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ﴿ترجعونها﴾ أى النفس الى مقرها هو العامل فى اذا والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهى

مع مافى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبىء عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى ﴿فأما ان كان من المقربين﴾ الخ شروع فى بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة أى فأما ان كان الذى بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم ﴿فروح﴾ أى فله استراحة وقرىء فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لأنها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة ﴿وريحان﴾ ورزق ﴿وجنة نعيم﴾ أى ذات تنعم ﴿وأما ان كان من أصحاب اليمين﴾ عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبىء عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين وقوله تعالى ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشاء سلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف ﴿وأما ان كان من المكذبين الضالين﴾ وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب ﴿فنزل﴾ أى فله نزل كائن ﴿من حميم﴾ يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل ﴿وتصلية جحيم﴾ أى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها ﴿ان هذا﴾ أى الذى ذكر فى السورة الكريمة ﴿لهو حق اليقين﴾ أى حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لترتيب التسبيح أو الأمر به على ماقبلها فان حقية مافصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

سـورة الحديد

(مكية وقيل مدنية وآيها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله مافى السموات والأرض﴾ التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح فى الأرض والماء اذا ذهب وأبعد فيهما وحيث أسند ههنا الى غير العقلاء أيضا فان مافى السموات والأرض يعم جميع مافيهما سواء كان مستقرا فيهما أو جزءا منهما كما مر فى آية الكرسى أريد به معنى عام مجازى شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من أفراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شىء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له أو للتعليل أى فعل التسبيح لأجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه فى بعض الفواتح ماضيا وفى البعض مضارعا للايذان بتحققه فى جميع الأوقات وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسبيح الاختيارى أن يسبحه تعالى فى جميع أوقاته كما عليه الملأ الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴿وهو العزيز﴾ القادر الغالب الذى لا يمانعه ولا ينازعه شىء ﴿الحكيم﴾ الذى لا يفعل الا ماتقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى ﴿له ملك

السموات والأرض﴾ أى التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه ومالا نعلمه وقوله تعالى ﴿يحيي ويميت﴾ استئناف مبين لبعض أحكام الملك والتصرف وجعله حالا من ضميره له ليس كما ينبغى ﴿وهو على كل شئ﴾ من الاشياء التى من جملتها ماذكر من الاحياء والاماتة ﴿قدير﴾ مبالغ فى القدرة ﴿هو الأول﴾ السابق على سائر الموجودات لما أنه مبدئها ومبدعها ﴿والآخر﴾ الباقى بعد فنائها حقيقة أو نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية ﴿والظاهر﴾ وجوداً لكثرة دلائله الواضحة ﴿والباطن﴾ حقيقة فلا تحوم حوله العقول والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الأوقات والظهور والخفاء ﴿وهو بكل شئ عليم﴾ لايعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفى ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ بيان لبعض أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا ﴿يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها﴾ مر بيانه فى سورة سبأ ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وقوله تعالى ﴿والله بما تعملون بصير﴾ عبارة عن احاطته بأعمالهم فتأخيره عن الخلق لما أن المراد بما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لماقيل من أنه دليل عليه وقوله تعالى ﴿له ملك السموات والأرض﴾ تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ أى اليه وحده لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا ترجع جميع الأمور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ مر تفسيره مرارا وقوله تعالى ﴿وهو عليم﴾ أى مبالغ فى العلم ﴿بذات الصدور﴾ أى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته بأعمالهم التى يظهرونها ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ أى جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم أنها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ماعينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق أو جعلكم خلفاء ممن قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا﴾ حسبما أمروا به ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿أجر كبير﴾ وفيه من المبالغات مالايخفى حيث جعل الجملة اسمية وأعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل ﴿وما لكم لاتؤمنون بالله﴾ استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما أمروا به بانكار أن يكون لهم فى ذلك عذر ما فى الجملة على أن لاتؤمنون حال من الضمير فى لكم والعامل مافيه من معنى الاستقرار أى أى شئ حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما فى أتضرب أباك وأخرى لانكار الوقوع كما فى أأضرب أبى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفى قوله تعالى مالكم لاترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب أيضا كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة أمر مفروض حتما قد أنكر ونفى سببه فانتفى نفسه أيضا وقوله تعالى ﴿والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾ حال من ضمير لاتؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق مايوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم

مايوجبه أى وأى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾ حال من مفعول يدعوكم أى وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد أخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ لموجب ما فان هذا موجب لاموجب وراءه ﴿هو الذى ينزل على عبده﴾ حسبما يعن لكم من المصالح ﴿آيات بينات﴾ واضحات ﴿ليخرجكم﴾ أى الله تعالى أو العبد بها ﴿من الظلمات الى النور﴾ من ظلمات الكفر الى نور الايمان ﴿وان الله بكم لرؤف رحيم﴾ حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى ﴿وما لكم أن لاتنفقوا فى سبيل الله﴾ توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار أن يكون لهم فى ذلك أيضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور أنه الذى بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ أى وأى شئ لكم فى أن لاتنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ماهو له فى الحقيقة وانما أنتم خلفاؤه فى صرفه الى ماعينه من المصارف وقوله تعالى ﴿ولله ميراث السموات والارض﴾ حال من فاعل لاتنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق مايوجب الانفاق أشد فى القبح وأدخل فى الانكار فان بيان بقاء جميع مافى السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى من أصحابها أحد أقوى فى ايجاب الانفاق عليهم من بيان أنها لله تعالى فى الحقيقة وهم خلفاؤه فى التصرف فيها كأنه قيل وما لكم فى ترك انفاقها فى سبيل الله والحال أنه لايبقى لكم منها شئ بل يبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى ﴿لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم فى الانفاق بعد بيان أن لهم أجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحرى الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بأنه من أهم مواد الانفاق مع كونه فى نفسه من أفضل العبادات وأنه لايخلو من الانفاق أصلا وقسيم من أنفق محذوف لظهوره ودلالة مابعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة ﴿أولئك﴾ اشارة الى من أنفق والجمع بالنظر الى معنى من كما أن افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء أى أولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين ﴿أعظم درجة﴾ وأرفع منزلة ﴿من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ لأنهم انما فعلوا مافعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا مافعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال ﴿وكلا﴾ أى وكل واحد من الفريقين ﴿وعد الله الحسنى﴾ أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الأولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله تعالى ﴿والله بما تعملون خبير﴾ بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أول من آمن وأول من أنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك وقوله تعالى ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾ ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق فى سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين أى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله تعالى رجاء أن يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات ﴿فيضاعفه له﴾ بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل أيقرض الله أحد فيضاعفه له أى فيعطيه أجره أضعافا ﴿وله أجر كريم﴾ أى وذلك الاجر المضموم

اليه الاضعاف كريم فى نفسه حقيق بأن يتنافس فيـه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف أضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض أو حملا على تقدير مبتدأ أى فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو لقوله تعالى فيضاعفه أو منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعـالى ﴿يسعى نورهم﴾ حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى ﴿بين أيديهم و بأيمـانهم﴾ وقيل هو هداهم و بأيمـانهم كتبهم أى يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم وفى أيمـانهم كتب أعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجـل القائم وأدناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفئ تارة و يلمع أخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة ﴿بشراكم اليوم جنات﴾ مقدر بقول هو حال أو استئناف أى يقال لهم بشراكم أى ماتبشرون به جنات أو بشراكم دخول جنات ﴿تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك﴾ أى ماذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذى لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ بدل من يوم ترى ﴿للذين آمنوا انظرونا﴾ أى انتظرونا يقولون ذلك لمـا أن المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينـا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين أيديهم وقرئ أنظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم ﴿نقتبس من نوركم﴾ أى نستضئ منه وأصله اتخاذ القبس ﴿قيل﴾ طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة ﴿ارجعوا وراءكم﴾ أى الى الموقف ﴿فالتمسـوا نورا﴾ فانه من ثم يقتبس أو الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمـان والاعمال الصالحة أو ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسـوا نورا آخر وقد علموا أن لا نور وراءهم وانمـا قالوه تخييبا لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم ﴿فضرب بينهم﴾ بين الفريقين ﴿بسور﴾ أى حائط والباء زائدة ﴿له باب باطنه﴾ أى باطن السور أو الباب وهو الجانب الذى يلى الجنة ﴿فيه الرحمة وظاهره﴾ وهو الطرف الذى يلى النار ﴿من قبله﴾ من جهته ﴿العذاب﴾ وقرئ فضرب على البناء للفاعل ﴿ينادونهم﴾ استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم ﴿ألم نكن﴾ فى الدنيا ﴿معكم﴾ يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر ﴿قالوا بلى﴾ كنتم معنا بحسب الظاهر ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ محنتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿وتربصتم﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وارتبتم﴾ فى أمر الدين ﴿وغرتكم الأمانى﴾ الفارغة التى من جملتها الطمع فى انتكاس أمر الاسلام ﴿حتى جاء أمر الله﴾ أى الموت ﴿وغركم بالله﴾ الكريم ﴿الغرور﴾ أى غركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ﴿ولا من الذين كفروا﴾ أى ظاهرا و باطنا ﴿مأواكم النار﴾ لا تبرحونها أبدا ﴿هى مولاكم﴾ أى أولى بكم وحقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم أى مكان لقول القائل انه لكريم أو مكانكم عن قريب من الولى وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع أو متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتهـا ﴿وبئس المصير﴾ أى النار ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ استئناف ناع عليهم تثاقلهم فى أمور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لمـا ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروى أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلمـا هاجروا أصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليـه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا و بين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الله استبطأ قلوب

المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن أى ألم يجئ وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به و يسـارعوا الى طاعته بالامتثال بأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من أنى الامر اذا جاء اناه أى وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى وقرئ ألمـا يأن وفيه دلالة على أن المنفى متوقع ﴿وما نزل من الحق﴾ أى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به أيضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى انمـا المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمـانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لأوامره ونواهيه والعكوف على العمل بمـا فيه من الاحكام التى من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق فى سبيـل الله تعـالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وأنزل ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبـل﴾ عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهى عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بنى اسرائيـل كان الحق يحول بينهم و بين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم ﴿فطال عليهم الأمد﴾ أى الاجـل وقرئ الامد بتشديد الدال أى الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيهم من الكتابين ﴿فقست قلوبهم﴾ فهى كالحجارة أو أشـد قسـوة ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أى خارجون عن حدود دينهم رافضون لمـا فى كتابهم بالكلية ﴿اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها﴾ تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ التى من جملتها هذه الآيات ﴿لعلكم تعقلون﴾ كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ﴿ان المصدقين والمصدقات﴾ أى المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق أى الذين صدقوا الله ورسوله ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنـا﴾ قيل هو عطف على ما فى المصدقين من معنى الفعل فانه فى حكم الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءتين وعقب بأن فيه فصلا بين أجزاء الصلة بأجنبى وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيـل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا وأخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على أن مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لمـا روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يامعشر النساء تصدقن فانى أريتكن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصـدق من الطيب عن طيبة النفس وخـلوص النية على المستحق للصدقة ﴿يضاعف لهم﴾ على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما فى حيز الصلة على حذف مضاف أى ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل أى يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ﴿ولهم أجر كريم﴾ مر ما فيه من الكلام ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ كافة وقد مر بيان كيفية الايمـان بهم فى خاتمة سورة البقرة ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصول الذى هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى ﴿هم﴾ مبتدأ ثالث خبره ﴿الصديقون والشهداء﴾ وهو مع خبره خبر للثانى وهو مع خبره خبر للاول أو هم ضمير الفصل وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول أى أولئك ﴿عند ربهم﴾ بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله تعالى أو هم المبالغون فى الصدق

حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى و رسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان أوعلى الامم يوم القيامة وقوله تعالى ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ بيان لثمرات ماوصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على أنه خبر ثان للموصول أوالخبر هو الجار ومابعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الأول على الوجه الأول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء أى لهم مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة و بلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ماللفريق الأول من الاجر والنور و بين تمام ماللفريقين الاخيرين بل بين تمام ماللاول من الأصل والأضعاف و بين ماللاخيرين من الأصل بدون الأضعاف وأما على الوجه الثانى فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم أجرهم الخ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك﴾ الموصوفون بتلك الصفة القبيحة ﴿أصحاب الجحيم﴾ بحيث لايفارقونها أبدا ﴿اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو و زينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد﴾ بعد مابين حال الفريقين فى الآخرة شرح حال الحياة الدنيا التى اطمأن بها الفريق الثانى وأشير الى أنها من محقرات الامور التى لايركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل ﴿كمثل غيث أعجب الكفار﴾ أى الحراث ﴿نباته﴾ أى النبات الحاصل به ﴿ثم يهيج﴾ أى يجف بعد خضرته ونضارته ﴿فتراه مصفرا﴾ بعد مارأيته ناضرا مونقا وقرىء مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بأن اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ﴿ثم يكون حطاما﴾ هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير فى لعب لأنه فى معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف أى مثل الحياة الدنيا كمثل الخ و بعد مابين حقارة أمر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها أشير الى فخامة شأن الآخرة وعظم مافيها من اللذات والآلام ترغيبا فى تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الأليم وقدم ذكر العذاب فقيل ﴿وفى الآخرة عذاب شديد﴾ لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا ﴿ومغفرة﴾ عظيمة ﴿من الله و رضوان﴾ عظيم لا يقادر قدره ﴿وما الحيوة الدنيا الامتاع الغرور﴾ أى لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان ألهتك عن طلب الآخرة فأما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة ﴿سابقوا﴾ أى سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم فى المضمار ﴿الى مغفرة﴾ عظيمة كائنة ﴿من ربكم﴾ أى الى موجباتها من الأعمال الصالحة ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والارض﴾ أى كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية ﴿أعدت للذين آمنوا بالله و رسله﴾ فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الايمان وحده كاف فى استحقاقها ﴿ذلك﴾ الذى وعد من المغفرة والجنة ﴿فضل الله﴾ عطاؤه ﴿يؤتيه﴾ تفضلا واحسانا ﴿من يشاء﴾ ايتاءه اياه من غير ايجاب ﴿والله ذوالفضل العظيم﴾ و لذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لاغاية وراءه ﴿ما أصاب من مصيبة فى الارض﴾ كجدب وعاهة فى الزروع والثمار ﴿ولا فى أنفسكم﴾ كمرض وآفة ﴿الا فى كتاب﴾ أى الا مكتوبة مثبتة فى علم الله تعالى أو فى اللوح ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أى نخلق الانفس أوالمصائب أوالارض ﴿ان ذلك﴾ أى اثباتها فى كتاب ﴿على الله يسير﴾ لاستغنائه فيه عن العدة والمدة ﴿لكيلا تأسوا﴾ أى أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا ﴿على مافاتكم﴾ من نعم الدنيا ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أى أعطاكم الله تعالى منها فان من علم أن الكل مقدر يفوت ماقدر فواته و يأتى ماقدر

اتيانه لامحالة لايعظم جزعه على مافات ولافرحه بما هو آت وقرىء بما أتاكم من الاتيان وفى القراءة الاولى اشعار بأن فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها فلابد لهما من سبب يوجدهما ويبقيها وقرىء بما أوتيتم والمراد به نفى الأسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لامحالة وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح المذكور ايذان بأنه أقبح من الأسى ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا و يأمر غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ﴿ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد﴾ فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشىء من نعمه وفيه تهديد واشعار بأن الأمر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرىء فان الله الغنى ﴿لقد أرسلنا رسلنا﴾ أى الملائكة الى الأنبياء أو الأنبياء الى الأمم وهو الأظهر ﴿بالبينات﴾ أى الحجج والمعجزات ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ أى جنس الكتاب الشامل للكل ﴿والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ أى بالعدل روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل أريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان ﴿وأنزلنا الحديد﴾ قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام وذلك أن أوامره تعالى وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى ﴿فيه بأس شديد﴾ لأن آلات الحروب انما تتخذ منه ﴿ومنافع للناس﴾ اذ ما من صنعة الا والحديد أومايعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى ﴿وليعلم الله من ينصره و رسله﴾ عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره و رسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الأسلحة فى مجاهدة أعدائه أو متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أى وليعلم الله من ينصره و رسله أنزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى ﴿بالغيب﴾ حال من فاعل ينصر أو مفعوله أى غائبا عنهم أو غائبين عنه وقوله تعالى ﴿ان الله قوى عزيز﴾ اعتراض تذييلى جىء به تحقيقا للحق وتنبيها على أن تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته فى اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به و يصلوا بامتثال الأمر فيه الى الثواب والا فهو غنى بقدرته وعزته عنهم فى كل مايريده ﴿ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم﴾ نوع تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالأمر أى و بالله لقد أرسلناهما ﴿وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب﴾ بأن استنبأناهم وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم ﴿فمنهم﴾ أى من الذرية أو من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين ﴿مهتد﴾ الى الحق ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ أى ثم أرسلنا بعدهم رسلنا ﴿وقفينا بعيسى ابن مريم﴾ أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية ﴿وآتيناه الانجيل﴾ وقرىء بفتح الهمزة فانه أعجمى لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب ﴿وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة﴾ وقرىء رآفة على فعالة ﴿ورحمة﴾ أى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه فى شأن أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام رحماء بينهم ﴿ورهبانية﴾ منصوب

اما بفعل مضمر يفسره الظاهر أى وابتدعوا رهبانية ﴿ابتدعوها﴾ واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة و رحمة و رهبانية مبتدعة من عندهم أى وفقناهم للتراحم بينهم و لابتداع الرهبانية واستحداثها وهى المبالغة فى العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ بضم الراء كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب و ركبان وسبب ابتداعهم اياها أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا أن يفتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلال الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله تعالى ﴿ما كتبناها عليهم﴾ جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفى على الوجه الأول متوجه الى أصل الفعل وقوله تعالى ﴿الا ابتغاء رضوان الله﴾ استثناء منقطع أى ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثانى متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من أعم العلل أى ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشىء من الأشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله و يستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها و يراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم﴾ ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا بمجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وأنى لها استتباع الأجر ﴿أجرهم﴾ أى ما يخص بهم من الأجر ﴿و كثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم و كفرهم به مما لا يساعده المقام ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أى بالرسل المتقدمة ﴿اتقوا الله﴾ فيما نهاكم عنه ﴿وآمنوا برسوله﴾ أى بمحمد عليه الصلاة والسلام و فى اطلاقه ايذان بأنه علم فرد فى الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره ﴿يؤتكم كفلين﴾ نصيبين ﴿من رحمته﴾ لايمانكم بالرسول و بمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن لا على معنى أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقة قبل النسخ ﴿ويجعل لكم نورا تمشون به﴾ يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم ﴿و يغفر لكم﴾ ما أسلفتم من الكفر والمعاصى ﴿والله غفور رحيم﴾ أى مبالغ فى المغفرة والرحمة وقوله تعالى ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا و كذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أى ليعلموا و لا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولأن يعلم بادغام النون فى الياء وأن فى قوله تعالى ﴿أن لا يقدرون على شىء من فضل الله﴾ مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة فى حيز النصب على أنها مفعول يعلم أى ليعلموا أنه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله وقوله تعالى ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ عطف على أن لا يقدرون وقوله تعالى ﴿يؤتيه من يشاء﴾ خبر ثان لأن وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز أن يكون الأمر بالتقوى والايمان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم فى الايمانين لا تفرقون بين أحد من رسله و روى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على سائر

المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة و بكسر اللام مع سكون الياء وقرئ أن لا يقدروا هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنون به على شىء من فضل الله الذى هو عبارة عما أوتوه من سعادة الدارين على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وأن الفضل بيد الله الخ عطفا على أن لا يعلم . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله و رسله

سـورة المجادلة

(مدنية وقيل العشر الأول مكى والباقى مدنى وآيها ثنتان وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قد سمع الله﴾ باظهار الدال وقرئ بادغامها فى السين ﴿قول التى تجادلك فى زوجها﴾ أى تراجعك الكلام فى شأنه وفيما صدر عنه فى حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك أى تسائلك ﴿وتشتكى الى الله﴾ عطف على تجادلك أى تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله أى تجادلك وهى متضرعة اليه تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ماقال فقال لها ما أظنك الا قد حرمت على فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يارسول الله ماذكر طلاقا فقال حرمت عليه و فى رواية ما أراك الا قد حرمت عليه فى المراركلها فقالت أشكو الى الله فاقتى و وجدى وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت و فى كلمة قد اشعار بأن الرسول عليه الصلاة والسلام والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة و يفرج عنها كربها كما يلوح به ماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عند استفتائها ماعندى فى أمرك شىء وأنها كانت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى أشكو اليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ أى يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده و فى نظمها فى سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها فى المسئلة ومبالغتها فى التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه الصلاة والسلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحى وعلمه تعالى بحالهما من دواعى الاجابة وقيل هى حال وهو بعيد وقوله عز وجل ﴿ان الله سميع بصير﴾ تعليل لما قبله بطريق التحقيق أى مبالغ فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما و يرى ما يقارنه من الهيئات التى من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل فى الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم﴾ شروع فى بيان شأن الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى مشتق من الظهر وقدمر تفصيله فى الاحزاب وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم و فى منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر و يتظاهرون و يظهرون وقوله تعالى ﴿ماهن أمهاتهم﴾ خبر

للوصول أى مانساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ أمهاتهم بالرفع على لغة تميم و بامهاتهم ﴿ان أمهاتهم﴾
أى ماهن ﴿الا اللائى ولدنهم﴾ فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبى عليه
الصلاة والسلام فدخلن بذلك فى حكم الامهات وأما الزوجات فأبعد شئ من الامومة ﴿وانهم ليقولون﴾ بقولهم ذلك
﴿منكرا من القول﴾ على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه أمر محقق بل كونه منكرا أى عند الشرع
وعند العقل والطبع أيضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما ﴿وزورا﴾ أى محرفا عن الحق
﴿وان الله لعفو غفور﴾ أى مبالغ فى العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق أو بالمتاب عنه وقوله تعالى
﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمرا منكرا بطريق التشريع
الكلى المنتظم لحكم الحادثة انتظاما أوليا أى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أى الى ماقالوا بالتدارك
والتلافى لا بالتقرير والتكرير كما فى قوله تعالى أن تعودوا لمثله أبدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما فى قوله تعالى هدانا لهذا
وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها وقوله تعالى وأوحى الى نوح ﴿فتحرير رقبة﴾
أى فتداركه أو فعليه أو فالواجب اعتاق رقبة أى رقبة كانت وعند الشافعى رحمه الله تعالى يشترط الايمان والفاء للسببية
ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ماقالوا عبارة عما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار
تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر فى قوله تعالى ونرثه مايقول أى المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون
العود للاستمتاع فتحرير رقبة ﴿من قبل أن يتماسا﴾ أى من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر
جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شئ من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر و لا يعود حتى يكفر وان
أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى ﴿ذلكم﴾ اشارة الى الحكم المذكور وهو
مبتدأ خبره ﴿توعظون به﴾ أى تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطى الجنايات والمراد
بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو علم فى استتباع
الثواب العظيم بل هو ردعكم و زجركم عن مباشرة مايوجبه ﴿والله بما تعملون﴾ من الاعمال التى من جملتها التكفير
وما يوجبه من جناية الظهار ﴿خبير﴾ أى عالم بظواهرها و بواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ماشرع لكم
ولا تخلوا بشئ منها ﴿فمن لم يجد﴾ أى الرقبة ﴿فصيام شهرين﴾ أى فعليه صيام شهرين ﴿متتابعين من قبل أن
يتماسا﴾ ليلا أو نهارا عمدا أو خطأ ﴿فمن لم يستطع﴾ أى الصيام لسبب من الاسباب ﴿فاطعام ستين مسكينا﴾
لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره و يجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس فى خلال الاطعام
﴿ذلك﴾ اشارة الى مامر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما
الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلل بما بعده أى ذلك واقع أو فعلنا ذلك ﴿لتؤمنوا بالله و رسوله﴾ وتعملوا
بشرائعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه فى جاهليتكم ﴿وتلك﴾ اشارة الى الاحكام المذكورة ومافيه من معنى
البعد لتعظيمها كما مر غير مرة ﴿حدود الله﴾ التى لا يجوز تعديها ﴿وللكافرين﴾ أى الذين لا يعملون بها ﴿عذاب
أليم﴾ عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ﴿ان الذين يحادون الله و رسوله﴾
أى يعادونهما و يشاقونهما فان كلا من المتعاديين كما أنه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون
فى حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة فى أثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع مالا غاية
وراءه ﴿كبتوا﴾ أى أخزوا وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل أهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ماوقع يوم الخندق

قال ما معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى أتى أمر الله وقيل أصل الكبت الكب ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾
من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ حال من واو كبتوا أى كبتوا
لمحادتهم والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله و رسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل
على صدق الرسول وصحة ماجاء به ﴿وللكافرين﴾ أى بتلك الآيات أو بكل مايجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات
دخولا أوليا ﴿عذاب مهين﴾ يذهب بعزهم و كبرهم ﴿يوم يبعثهم الله﴾ منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار
أو بمهين أو باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له ﴿جميعا﴾ أى كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين
فى حالة واحدة ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من القبائح ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها فى تلك النشأة بما يليق بها من
الصور الهائلة على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى ﴿أحصاه الله﴾ استئناف
وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة أو عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهى أعراض
متقضية متلاشية فقيل أحصاه الله عددا لم يفته منه شئ فقوله تعالى ﴿ونسوه﴾ حينئذ حال من مفعول أحصى باضمار
قد أو بدونه على الخلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقيل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ماعاينوه من
العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير ﴿والله على كل شئ شهيد﴾
لا يغيب عنه أمر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلى مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يعلم مافى السموات
وما فى الارض﴾ استشهاد على شمول شهادته تعالى كما فى قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه و فى قوله تعالى ألم تر
أنهم فى كل واد يهيمون أى ألم تعلم علما يقينيا متاخما للمشاهدة بأنه تعالى يعلم مافيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار
فيهما أو بالجزئية منهما وقوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين
لكيفيته و يكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وان كان غير حقيقى أى مايقع من تناجى ثلاثة نفر
أى من مسارتهم على أن نجوى مضافة الى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها اما بتقدير مضاف أى من أهل نجوى ثلاثة أو بجعلهم
نجوى فى أنفسهم مبالغة ﴿الا هو﴾ أى الله عز وجل ﴿رابعهم﴾ أى جاعلهم أربعة من حيث انه تعالى يشاركهم فى
الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال ﴿ولا خمسة﴾ ولا نجوى خمسة ﴿الا هو سادسهم﴾ وتخصيص
العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين واما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين
وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ﴿ولا أدنى من ذلك﴾ أى مما ذكر كالواحد والاثنين ﴿ولا أكثر﴾ كالستة وما
فوقها ﴿الا هو معهم﴾ يعلم ما يجرى بينهم وقرئ ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن
جعل لا لنفى الجنس ﴿أينما كانوا﴾ من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى
حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا و بعدا ﴿ثم ينبئهم﴾ وقرئ ينبئهم بالتخفيف ﴿بما عملوا يوم القيامة﴾
تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ﴿ان الله بكل شئ عليم﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء ﴿ألم
تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه﴾ نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم و يتغامزون
بأعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام
والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى
﴿ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول﴾ عطف عليه داخل فى حكمه أى بما هو اثم فى نفسه وعدوان
للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام وذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين

المتوجهين اليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرىء و ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول ﴿ واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ﴾ فيقولون السام عليك أو انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ﴿ و يقولون فى أنفسهم ﴾ أى فيما بينهم ﴿ لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ أى هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا ﴿ حسبهم جهنم ﴾ عذابا ﴿ يصلونها ﴾ يدخلونها ﴿ فبئس المصير ﴾ أى جهنم ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم ﴾ فى أنديتكم وفى خلواتكم ﴿ فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ كما يفعله المنافقون وقرىء فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التاءين ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى ﴾ أى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ واتقوا الله الذى اليه تحشرون ﴾ وحده لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وتذرون ﴿ انما النجوى ﴾ المعهودة التى هى التناجى بالاثم والعدوان ﴿ من الشيطان ﴾ لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ﴿ ليحزن الذين آمنوا ﴾ خبر آخر أى انما هى ليحزن المؤمنين بتوهمهم أنها فى نكبة أصابتهم ﴿ وليس بضارهم ﴾ أى الشيطان أو التناجى بضار المؤمنين ﴿ شيئاً ﴾ من الاشياء أو شيئا من الضرر ﴿ الا باذن الله ﴾ أى بمشيئته ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضره ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا ﴾ أى توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عنى أى تنح وقرىء تفاسحوا وقوله تعالى ﴿ فى المجالس ﴾ متعلق بقيل وقرىء فى المجلس على أن المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يتضامون تنافسا فى القرب منه عليه الصلاة والسلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتى الصف و يقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرىء فى المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا أى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه ﴿ فافسحوا يفسح الله لكم ﴾ أى فى كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها ﴿ واذا قيل انشزوا ﴾ أى انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو غيرهما من أعمال الخير ﴿ فانشزوا ﴾ فانهضوا ولا تتثبطوا و لا تفرطوا وقرىء بكسر الشين ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾ بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف الجنان فى الآخرة ﴿ والذين أوتوا العلم ﴾ منهم خصوصا ﴿ درجات ﴾ عالية بما جمعوا من أثرى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العارى عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرىء يعملون بالياء التحتانية ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول ﴾ فى بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه الصلاة والسلام ﴿ فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ﴾ أى فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه الصلاة والسلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى أنه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ﴿ ذلك ﴾ أى التصدق ﴿ خير لكم وأطهر ﴾ أى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى ﴿ فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ﴾ منبىء عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بلا تصدق ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ﴾ أى أخفتم الفقر من تقديم

الصدقات أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر و جمع صدقات لجمع المخاطبين ﴿ فاذ لم تفعلوا ﴾ ما أمرتم به وشق عليكم ذلك ﴿ وتاب الله عليكم ﴾ بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه اشعار بأن اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضى وقيل بمعنى اذا كما فى قوله تعالى اذ الاغلال فى أعناقهم وقيل بمعنى ان ﴿ فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ أى فاذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ﴾ فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع فى ذلك من التفريط ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ ظاهرا وباطنا ﴿ ألم تر ﴾ تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء و يناصحونهم و ينقلون اليهم أسرار المؤمنين أى ألم تنظر ﴿ الى الذين تولوا ﴾ أى والوا ﴿ قوما غضب الله عليهم ﴾ وهم اليهود كما أنبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ﴿ ماهم منكم ولا منهم ﴾ لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة أو حال من فاعل تولوا ﴿ و يحلفون على الكذب ﴾ أى يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى ﴿ وهم يعلمون ﴾ حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم أنه كذب فى غاية القبح وفيه دلالة على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار و ينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت ﴿ أعد الله لهم ﴾ بسبب ذلك ﴿ عذابا شديدا ﴾ نوعا من العذاب متفاقما ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به وأصروا عليه ﴿ اتخذوا أيمانهم ﴾ الفاجرة التى يحلفون بها عند الحاجة وقرىء بكسر الهمزة أى ايمانهم الذى أظهروه لاهل الاسلام ﴿ جنة ﴾ وقاية وسترة دون دمائهم وأموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما أظهروه بالفعل وأما على القراءة الاولى فهو عبارة عن اعدادهم لأيمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها و يتخلصوا من المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يعرب عنه الفاء فى قوله تعالى ﴿ فصدوا ﴾ أى الناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ فى خلال أمنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول فى الاسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم ﴿ فلهم عذاب مهين ﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة ﴿ لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله ﴾ أى من عذابه تعالى ﴿ شيئا ﴾ من الاغناء روى أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة ﴿ أصحاب النار ﴾ أى ملازموها ومقارنوها ﴿ هم فيها خالدون ﴾ لا يخرجون منها أبدا ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا ﴾ قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين ﴿ فيحلفون له ﴾ أى لله تعالى يومئذ على أنهم مسلمون ﴿ كما يحلفون لكم ﴾ فى الدنيا ﴿ و يحسبون ﴾ فى الآخرة ﴿ أنهم ﴾ بتلك الايمان الفاجرة ﴿ على شىء ﴾ من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم و يستجرون بها فوائد دنيوية ﴿ ألا انهم هم الكاذبون ﴾ البالغون فى الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين ﴿ استحوذ عليهم الشيطان ﴾ أى استولى عليهم من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الأصل كاستصوب واستنوق

أى مالكهم ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان أى جنوده وأتباعه ﴿ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ أى الموصوفون بالخسران الذى لاغاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم وفى تصدير الجملة بحر فى التنبيه والتحقيق واظهار المضافين معا فى موقع الاضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد مالايخفى ﴿ان الذين يحادون الله ورسوله﴾ استئناف مسوق لتعليل ماقبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم ﴿أولئك﴾ بما فعلوا من التولى والموادة ﴿فى الاذلين﴾ أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الأولين والآخرين لان ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك ﴿كتب الله﴾ استئناف وارد لتعليل كونهم فى الأذلين أى قضى وأثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب به فقيل ﴿لأغلبن أنا ورسلى﴾ أى بالحجة والسيف ومايجرى مجراه أو بأحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلى بفتح الياء ﴿ان الله قوى﴾ على نصر أنبيائه ﴿عزيز﴾ لايغلب عليه فى مراده ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى ﴿يوادون من حاد الله ورسوله﴾ مفعوله الثانى أو الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة أخرى له أى قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى أنه لاينبغى أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل أحد ﴿ولو كانوا﴾ أى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما قبله باعتبار لفظها ﴿آباءهم﴾ آباء الموادين ﴿أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم﴾ فان قضية الايمان بالله تعالى أن يهجر الجميع بالمرة والكلام فى لوقد مر على التفصيل مرارا ﴿أولئك﴾ اشارة الى الذين لايوادونهم وان كانوا أقرب الناس اليهم وأمس رحما ومافيه من معنى البعد لرفعة درجتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره ﴿كتب فى قلوبهم الايمان﴾ أى أثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا ولاشئ من أعمال الجوارح يثبت فيه ﴿وأيدهم﴾ أى قواهم ﴿بروح منه﴾ أى من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ﴿ويدخلهم﴾ الخ بيان لآثار رحمته الأخروية اثر بيان ألطافه الدنيوية أى ويدخلهم فى الآخرة ﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ أبد الآبدين وقوله تعالى ﴿رضى الله عنهم﴾ استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ﴿ورضوا عنه﴾ بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى ﴿أولئك حزب الله﴾ تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى ﴿ألا ان حزب الله هم المفلحون﴾ بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين والكلام فى تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر فى مثلها . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر

(مدنية وآيها أربع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم﴾ مر مافيه من الكلام فى صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرائيل انتظاراً لبعثة النبى عليه الصلاة والسلام وعاهدهم أن لايكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه الصلاة والسلام يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لاترد له راية فلما كان يوم أحد ماكان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه الصلاة والسلام فأمر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه الصلاة والسلام عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه اليهم لاتخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لانخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبى عليه الصلاة والسلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ماشاءوا من متاعهم فجلوا الى الشأم الى أريحا وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله مافى السموات الى قوله والله على كل شئ قدير وقوله تعالى ﴿هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم﴾ بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعله مستعاراً لاسم الاشارة كما فى قوله تعالى قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به أى بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج

كأنه فى الجلد توليع البهق

كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذى أخرج الخ ففيه اشعار بأن فى الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى ﴿لأول الحشر﴾ أى فى أول حشرهم الى الشأم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب الى الشام أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام ﴿ماظننتم﴾ أيها المسلمون ﴿أن يخرجوا﴾ من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أى ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لايبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم ويجوز أن يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية ﴿فأتاهم الله﴾ أى أمر الله تعالى وقدره المقدور لهم ﴿من حيث لم يحتسبوا﴾ ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فانه مما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة وقيل الضمير فى أتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين أى فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم أى فآتاهم الله العذاب أو النصر ﴿وقذف فى قلوبهم الرعب﴾ أى أثبت فيها الخوف الذى يرعبها أى يملؤها ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم﴾ ليسدوا بما نقضوا

منها من الخشب والحجارة أفواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل ﴿وأيدى المؤمنين﴾ حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم اياه وأمروهم به قيل الجملة حال أو تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل أو ترك الشئ خرابا والتخريب النقض والهدم ﴿فاعتبروا ياأولى الأبصار﴾ فاتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على وجه لايكاد يهتدى اليه الأفكار واتقوا مباشرة ماأداهم اليه من الكفر والمعاصى أو انتقلوا من حال الفريقين الى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل فى موقعه ﴿ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾ أى الخروج عن أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع ﴿لعذبهم فى الدنيا﴾ بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ﴿ولهم فى الآخرة عذاب النار﴾ استئناف غير متعلق بجواب لو لا جئ به لبيان أنهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ﴿ذلك﴾ أى ما حاق بهم وما سيحيق ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿شاقوا الله و رسوله﴾ وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم من القبائح ﴿ومن يشاق الله﴾ وقرئ يشاقق الله كما فى الأنفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه الصلاة والسلام وليوافق قوله تعالى ﴿فان الله شديد العقاب﴾ وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه أى شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهانى كأنه قيل ذلك الذى حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى و رسوله و كل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عقاب شديد ﴿ما قطعتم من لينة﴾ أى أى شئ قطعتم من نخلة وهى فعلة من اللون و ياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهى النخلة الكريمة ﴿أو تركتموها﴾ الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴿قائمة على أصولها﴾ كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشئ ما وقرئ على أصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم أو على أنه جمع كرهن وقرئ قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما ﴿فباذن الله﴾ فذاك أى قطعها وتركها بأمر الله تعالى ﴿وليخزى الفاسقين﴾ أى وليذل اليهود و يغيظهم اذن فى قطعها وتركها لأنهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون فى أموالهم كيف أحبوا و يتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا و يتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الألوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هى الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ شروع فى بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أى ما أعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بأنه كان حقيقا بأن يكون له عليه الصلاة والسلام وانما وقع فى أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ماخلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين ﴿منهم﴾ أى من بنى النضير ﴿فما أوجفتم عليه﴾ أى فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير ﴿من خيل ولا ركاب﴾ هى ما يركب من الابل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لاغير وأما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا و لا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة و لا لقيتم مشقة شديدة و لا قتالا شديدا وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى عليه الصلاة

والسلام فافتتحها صلحا من غير أن يجرى بينهم مسايفة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ أى سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبى عليه الصلاة والسلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم فى أموالهم ﴿والله على كل شئ قدير﴾ فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ بيان لمصارف الفئ بعد بيان افاءته عليه عليه الصلاة والسلام من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير و وضع أهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم أيضا ﴿فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ اختلف فى قسمة الفئ فقيل يسدس لظاهر الآية و يصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لأن ذكر الله للتعظيم و يصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك و يصرف الأخماس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور ﴿كيلا يكون﴾ أى الفئ الذى حقه أن يكون للفقراء يعيشون به ﴿دولة﴾ بضم الدال وقرئ بفتحها وهى مايدول للانسان أى يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم و بالضم من الملك بكسرها أو بالضم فى المال و بالفتح فى النصرة أى كيلا يكون جدا ﴿بين الأغنياء منكم﴾ يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة و يقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم مايتداول كالغرفة اسم مايغترف فالمعنى كيلا يكون الفئ شيئا يتداوله الأغنياء بينهم و يتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على أن كان تامة أى كيلا يقع دولة على ما فصل من المعانى ﴿وما آتاكم الرسول﴾ أى ما أعطاكموه من الفئ أو من الأمر ﴿فخذوه﴾ فانه حقكم أو فتمسكوا به فانه واجب عليكم ﴿وما نهاكم عنه﴾ عن أخذه أو عن تعاطيه ﴿فانتهوا﴾ عنه ﴿واتقوا الله﴾ فى مخالفته عليه الصلاة والسلام ﴿ان الله شديد العقاب﴾ فيعاقب من يخالف أمره ونهيه ﴿للفقراء المهاجرين﴾ بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسمى فقيرا ومن أعطى أغنياء ذوى القربى خص الابدال بما بعده وأما تخصيص اعتبار الفقر بفئ بنى النضير فتعسف ظاهر ﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ حيث اضطرهم كفار مكة وأحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها ﴿يبتغون فضلا من الله و رضوانا﴾ أى طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة وصفوا أولا بما يدل على استحقاقهم للفئ من الاخراج من الديار والأموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ عطف على يبتغون فهى حال مقدرة أى ناوين لنصرة الله تعالى و رسوله أو مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة وأى نصرة ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة ﴿هم الصادقون﴾ الراسخون فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا ﴿والذين تبوأوا الدار والايمان﴾ كلام مستأنف مسوق لمدح الأنصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين و رضاهم باختصاص الفئ بهم أحسن رضا وأكمله ومعنى تبوئهم الدار أنهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى

تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان لحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الأول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه ﴿من قبلهم﴾ أى من قبل هجرة المهاجرين على المعانى الأول ومن قبل تبوؤ المهاجرين على الاخيرين ويجوز أن يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعانى الأول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره وأحكامه ولا ريب فى تقدم الأنصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك ﴿يحبون من هاجر اليهم﴾ خبر للموصول أى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ﴿ولا يجدون فى صدورهم﴾ أى فى نفوسهم ﴿حاجة﴾ أى شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك أى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ ﴿مما أوتوا﴾ أى مما أوتى المهاجرون من الفىء وغيره ﴿ويؤثرون﴾ أى يقدمون المهاجرين ﴿على أنفسهم﴾ فى كل شىء من أسباب المعاش حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ أى حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهى فرجه والجملة فى حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبى عليه الصلاة والسلام قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك ابن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح فى أن قوله تعالى والذين تبوؤا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء أو المهاجرين نعم يجوز عطفه على أولئك فان ذلك انما يستدعى شركة الأنصار للمهاجرين فى الصدق دون الفىء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم أو حالا من ضمير تبوؤا ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ الشح بالضم والكسر وقد قرىء به أيضا اللؤم واضافته الى النفس لأنه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل أى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق ﴿فأولئك﴾ اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما أوليا ﴿هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الأنصار والثناء عليهم وقرىء يوق بالتشديد ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ هم الذين هاجروا بعد ماقوى الاسلام أو التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وأياما كان فالموصول مبتدأ خبره ﴿يقولون﴾ الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الدين والسبق بالايمان كما أن ماعطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الأنصار أى يدعون لهم ﴿ربنا اغفر لنا ولاخواننا﴾ أى فى الدين الذى هو أعز وأشرف عندهم من النسب ﴿الذين سبقونا بالايمان﴾ وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ﴿ولا تجعل فى قلوبنا غلا﴾ وقرىء غمرا وهما الحقد ﴿للذين آمنوا﴾ على الاطلاق ﴿ربنا انك رؤف رحيم﴾ أى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا ﴿ألم تر الى الذين نافقوا﴾ حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى ﴿يقولون﴾ الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار صورته واللام فى قوله تعالى ﴿لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ للتبليغ والمراد بأخوتهم اما توافقهم فى الكفر

أو صداقتهم وموالاتهم واللام فى قوله تعالى ﴿لئن أخرجتم﴾ أى من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى ﴿لنخرجن معكم﴾ جواب القسم أى والله لئن أخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن فى صحبتكم أينما ذهبتم ﴿ولا نطيع فيكم﴾ أى فى شأنكم ﴿أحدا﴾ يمنعنا من الخروج معكم ﴿أبدا﴾ وان طال الزمان وقيل لا نطيع فى قتالكم أو خذلانكم وليس بذاك لأن تقدير القتال مترقب بعد ولأن وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى ﴿وان قوتلتم لننصرنكم﴾ أى لنعاونكم على عدوكم على أن دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة أنها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب فى أن ما يفعله عليه الصلاة والسلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم وأما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز أن يدعوا أن خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة فى الدين ﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾ فى مواعيدهم المؤكدة بالأيمان الفاجرة وقوله تعالى ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم﴾ الخ تكذيب لهم فى كل واحد من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال ﴿ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ وكان الأمر كذلك فان ابن أبى وأصحابه أرسلوا الى بنى النضير ذلك سرا ثم أخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ﴿ولئن نصروهم﴾ على الفرض والتقدير ﴿ليولن الادبار﴾ فرارا ﴿ثم لا ينصرون﴾ أى المنافقون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين ﴿لأنتم أشد رهبة﴾ أى أشد مرهوبية على أنها مصدر من المبنى للمفعول ﴿فى صدورهم من الله﴾ أى رهبتهم منكم فى السر أشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ﴿ذلك﴾ أى ماذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿قوم لا يفقهون﴾ أى شيئاً حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته ﴿لا يقاتلونكم﴾ أى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم ﴿جميعا﴾ أى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن ﴿الا فى قرى محصنة﴾ بالدروب والخنادق ﴿أو من وراء جدر﴾ دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرىء جدر بالتخفيف وقرىء جدار وبامالة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ استئناف سيق لبيان أن ماذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى أنفسهم فان بأسهم بالنسبة الى أقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى فى قلوبهم من الرعب ﴿تحسبهم جميعا﴾ مجتمعين متفقين ﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة لا ألفة بينها ﴿ذلك بأنهم﴾ أى ماذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم ﴿قوم لا يعقلون﴾ أى لا يعقلون شيئاً حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وأما ماقيل من أن المعنى لا يعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم أى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل أهل بدر أو بنى قينقاع على ماقيل انهم أخرجوا قبل بنى النضير ﴿قريبا﴾ فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ أى سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ﴿ولهم﴾ فى الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ لا يقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك فى الدنيا والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهى ما نطق به قوله تعالى ﴿كمثل الشيطان﴾ فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين أولا وخيبتهم آخرا

وقد أجمل فى النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ماأسند اليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلا من المثلين الى مايماثله كأنه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان ﴿اذقال للانسان اكفر﴾ أى أغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به ﴿فلما كفر قال انى برىء منك﴾ وقرىء أنا برىء منك ان أريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله تعالى ﴿انى أخاف الله رب العالمين﴾ وان أريد به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ انى برىء منكم انى أرى مالا ترون انى أخاف الله الآية ﴿فكان عاقبتهما﴾ بالنصب على أنه خبر كان واسمها ﴿أنهما فى النار﴾ وقرىء بالعكس وقد مر أنه أوضح ﴿خالدين فيها﴾ وقرىء خالدان فيها على أنه خبر أن وفى النار لغو ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ أى الخلود فى النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أى فى كل ماتأتون وما تذرون ﴿ولتنظر نفس ماقدمت لغد﴾ أى أى شىء قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه أو لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لايعرف كنهه لغاية عظمه وأما تنكير نفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك ﴿واتقوا الله﴾ تكرير للتأكيد أو الاول فى أداء الواجبات كما يشعر به مابعده من الامر بالعمل وهذا فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ﴿ان الله خبير بما تعملون﴾ أى من المعاصى ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ أى نسوا حقوقه تعالى وماقدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب أوامره ونواهيه حق رعايتها ﴿فأنساهم﴾ بسبب ذلك ﴿أنفسهم﴾ أى جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الاهوال ماأنساهم أنفسهم ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون فى الفسوق ﴿لايستوى أصحاب النار﴾ الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى النار ﴿وأصحاب الجنة﴾ الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة ولعل تقديم أصحاب النار فى الذكر للايذان من أول الامر بأن القصور الذى ينبىء عنه عدم الاستواء من جهتهم لامن جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والأعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة فى الآية الكريمة على أن المسلم لايقتص بالكافر وأن الكفار لايملكون أموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخروية كما ينبىء عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه ﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ العظيم الشان المنطوى على فنون القوارع ﴿على جبل﴾ من الجبال ﴿لرأيته﴾ مع كونه علما فى القسوة وعدم التأثر مما يصادمه ﴿خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ أى متشققا منها وقرىء مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير مافيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ أريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه ﴿هو الله الذى لااله الا هو﴾ وحده ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى ماغاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها

وما حضر له من الأجرام وأعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية ﴿هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لااله الا هو﴾ كرر لابراز الاعتناء بأمر التوحيد ﴿الملك القدوس﴾ البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرىء بالفتح وهى لغة فيه ﴿السلام﴾ ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة ﴿المؤمن﴾ واهب الأمن وقرىء بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار ﴿المهيمن﴾ الرقيب الحافظ لكل شىء مفيعل من الامن بقلب همزته هاء ﴿العزيز﴾ الغالب ﴿الجبار﴾ الذى جبر خلقه على ماأراد أو جبر أحوالهم أى أصلحها ﴿المتكبر﴾ الذى تكبر عن كل مايوجب حاجة أو نقصانا أو البليغ الكبرياء والعظمة ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التى لايمكن أن يشاركه تعالى فى شىء منها شىء ما أصلا ﴿هو الله الخالق﴾ المقدر للاشياء على مقتضى حكمته ﴿البارىء﴾ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالأشكال المختلفة ﴿المصور﴾ الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ﴿له الاسماء الحسنى﴾ لدلالتها على المعانى الحسنة ﴿يسبح له مافى السموات والارض﴾ ينطق بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزها ظاهرا ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تاخر

سـورة الممتحنة

(مدنية وآيها ثلاث عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء﴾ نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فسل على سيفه فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ماحملك على هذا فقال يارسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت أن آخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابى لن يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره ﴿تلقون اليهم بالمودة﴾ أى توصلون اليهم المودة على أن الباء زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو تلقون اليهم أخبار النبى عليه الصلاة والسلام بسبب المودة التى بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لاتتخذوا أو صفة لأولياء وابراز الضمير فى الصفات الجارية على غير من هى له انما يشترط فى الاسم دون الفعل أو استئناف ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لاتتخذوا وقرىء لما جاءكم أى كفروا لأجل ماجاءكم بمعنى جعل ماهو سبب الايمان سببا للكفر ﴿يخرجون الرسول واياكم﴾ أى من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا أو استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات

من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ﴿ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى﴾ متعلق بلاتتخذوا كأنه قيل لاتتولوا أعدائى ان كنتم أوليائى وقوله تعالى ﴿تسرون اليهم بالمودة﴾ استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ أى تسرون اليهم المودة أوالأخبار بسبب المودة ﴿وأنا أعلم﴾ أى والحال أنى أعلم منكم ﴿بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ ومطلع رسولى على ما تسرون فأى طائل لكم فى الاسرار وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه فى قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿ومن يفعله منكم﴾ أى الاتخاذ ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ فقد أخطأ طريق الحق والصواب ﴿ان يثقفوكم﴾ أى ان يظفروا بكم ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ أى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها ﴿ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ بما يسوؤكم من القتل والأسر والشتم ﴿وودوا لو تكفرون﴾ أى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للايذان بتحقق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضا ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ قراباتكم ﴿ولا أولادكم﴾ الذين توالون المشركين لأجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ﴿يوم القيامة﴾ بجلب نفع أودفع ضر ﴿يفصل بينكم﴾ استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ أى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية فمالكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون. ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾ أى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى ﴿فى ابراهيم والذين معه﴾ أى من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لأسوة أو خبر لكان ولكم للبيان أو حال من المستكن فى حسنة أو صلة لها لا لأسوة عند من لايجوز العمل بعد الوصف ﴿اذ قالوا﴾ ظرف لخبر كان ﴿لقومهم انا برآء منكم﴾ جمع برئ كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ﴿ومما تعبدون من دون الله﴾ من الاصنام ﴿كفرنا بكم﴾ أى بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلانعتد بشأنكم وبآلهتكم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا﴾ أى هذا دأبنا معكم لانتركه ﴿حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة ﴿الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ استثناء من قوله تعالى أسوة حسنة فان استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى أن يؤتسى به أصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه من الأسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلادلالة للاستثناء عليه قطعا هذا وأما تعليل عدم كون استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر مما ينبغى أن يؤتسى به بأنه كان قبل النهى أو لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهى لاستغفاره عليه الصلاة والسلام له وانبائه عن كونه مؤتسى به لولم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما أن مورد النهى هو الاستغفار للكافر بعد تبين أمره وقد عرفت أن استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وأن ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله فى الجملة وتجويز أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام له بعد النهى كما هو المفهوم من ظاهر قوله أو لموعدة وعدها اياه مما لامساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لأبى الآية لانها كانت هى الحاملة له عليه الصلاة والسلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع فى سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربى

لورودها على طريق التوكيد القسمى وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه فى سورة التوبة وقوله تعالى ﴿وما أملك لك من الله من شئ﴾ من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه حال من فاعل لأستغفرن لك أى أستغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار فورد الاستثناء نفس الاستغفار لاقيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ﴿ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير﴾ الخ من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الأسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله تعالى فى جميع أمورهم لاسيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ﴿ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لانطيقه ﴿واغفر لنا﴾ ما فرط منا من الذنوب ﴿ربنا انك أنت العزيز﴾ الغالب الذى لايذل من التجأ اليه ولايخيب رجاء من توكل عليه ﴿الحكيم﴾ الذى لايفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار هذا وأما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وأمرا لهم بأن يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلايساعده النظم الكريم ﴿لقد كان لكم فيهم﴾ أى فى ابراهيم ومن معه ﴿أسوة حسنة﴾ تكرير للمبالغة فى الحث على الائتساء به عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ بدل من لكم فائدته الايذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لايترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد﴾ فانه مما يوعد بأمثاله الكفرة ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ أى من أقاربكم المشركين ﴿مودة﴾ بأن يوافقوكم فى الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد لله فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد أنجز وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافى ما تم ﴿والله قدير﴾ أى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة ﴿والله غفور رحيم﴾ فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ أى لاينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ﴿أن تبروهم﴾ بدل من الموصول ﴿وتقسطوا اليهم﴾ أى تفضوا اليهم بالقسط أى العدل ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ أى العادلين. روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لايقاتلوه ولا يعينوا عليه ﴿انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم﴾ وهم عتاة أهل مكة ﴿وظاهروا على اخراجكم﴾ وهم سائر أهلها ﴿أن تولوهم﴾ بدل اشتمال من الموصول أى انما ينهاكم عن أن تتولوهم ﴿ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ لوضعهم الولاية فى موضع العداوة أوهم الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين ﴿اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ من بين الكفار ﴿فامتحنوهن﴾ فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن فى الايمان. يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتى يمتحنها بالله الذى لااله الا هو ماخرجت من بغض زوج بالله ماخرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت الا حبا لله ورسوله ﴿الله أعلم بايمانهن﴾ لأنه المطلع على ما فى قلوبهن والجملة اعتراض

﴿فان علمتموهن﴾ بعد الامتحان ﴿مؤمنات﴾ علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا والتى من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالأمارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بأنه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به ﴿فلاترجعوهن الى الكفار﴾ أى الى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى ﴿لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم والتكرير امالتأكيد الحرمة أولأن الأول لبيان زوال النكاح الأول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد ﴿وآتوهم ماأنفقوا﴾ أى وأعطوا أزواجهن مثل مادفعوا اليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من جاءنامنكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبى عليه الصلاة والسلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال يامحمد اردد على امرأتى فانك قدشرطت أن ترد علينا من أتاك منا فنزلت لبيان أن الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ماأنفق وتزوجها عمر رضى الله عنه ﴿ولاجناح عليكم أن تنكحوهن﴾ فان اسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار ﴿اذا آتيتموهن أجورهن﴾ شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بأن ماأعطى أزواجهن لايقوم مقام المهر ﴿ولاتمسكوا بعصم الكوافر﴾ جمع عصمة وهى مايعتصم به من عقد وسبب أى لايكن بينكم وبين المشركات عصمة ولاعلقة زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلايعتدن بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى رحمه الله هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرىء ولاتمسكوا بالتشديد ولاتمسكوا بحذف احدى التاءين من تتمسكوا ﴿واسألوا ماأنفقتم﴾ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿وليسألوا ماأنفقوا﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات ﴿ذلكم﴾ الذى ذكر ﴿حكم الله﴾ وقوله تعالى ﴿يحكم بينكم﴾ كلام مستأنف أوحال من حكم الله على حذف الضمير أى يحكمه الله أوجعل الحكم حاكما على المبالغة ﴿والله عليم حكيم﴾ يشرع ماتقتضيه الحكمة البالغة . روى أنه لمانزلت الآية أدى المؤمنون ماأمروا به من مهور المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى ﴿وان فاتكم﴾ أى سبقكم وانفلت منكم ﴿شىء من أزواجكم الى الكفار﴾ أى أحد من أزواجكم وقد قرىء كذلك وايقاع شىء موقعه للتحقير والاشباع فى التعميم أو شىء من مهور أزواجكم ﴿فعاقبتم﴾ أى فجاءت عقبتكم أى نوبتكم من أداء المهر شبه ماحكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ من مهر المهاجرة التى تزوجتموها ولاتؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى هى الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرىء فأعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبى سفيان وفاطمة بنت أمية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت أبى جهل وكلثوم بنت جرول ﴿واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾ فان الايمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى ﴿ياأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ أى مبايعات لك أى قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء ﴿على أن لايشركن بالله شيئاً﴾ أى شيأ من الاشياء أوشيأ من الاشراك ﴿ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن﴾ أريد به وأد البنات وقرىء ولايقتلن بالتشديد ﴿ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى عنه بالبهتان المفترى

بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ﴿ولايعصينك فى معروف﴾ أى فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لايأمر الا به للتنبيه على أنه لايجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن ﴿فبايعهن﴾ أى على ماذكر ومالم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته فى المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بماذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها ﴿واستغفر لهن الله﴾ زيادة على مافى ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه الصلاة والسلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ﴿ان الله غفور رحيم﴾ أى مبالغ فى المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذاوفين بمابايعن عليه واختلف فى كيفية مبايعته عليه الصلاة والسلام لهن يومئذ فروى أنه عليه الصلاة والسلام لمافرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضى الله تعالى عنه أسفل منه فجعل عليه الصلاة والسلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروى أنه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن وروى أنه عليه الصلاة والسلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطرى والأظهر الأشهر ماقالت عائشة رضى الله عنها والله ماأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الابما أمر الله تعالى ومامست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذاأخذ عليهن قدبايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عزوجل ياأيها النبى اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقدبايعتكن ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم﴾ هم عامة الكفرة وقيل اليهود لماروى أنها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لاخلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات ﴿كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ أى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لأنهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الأليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا أحياء والاظهار فى موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

سورة الصف

(مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله مافى السموات ومافى الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ الكلام فيه كالذى مر فى نظيره ﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون﴾ روى أن المسلمين قالوا لوعلمنا أحب الأعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من أن النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا بين الاختلال وروى أنهم قالوا يارسول الله لو نعلم أحب الأعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل أدلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فولوا يوم أحد وفيه التزام أن ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما أخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت وقيل

انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت فى المنتحل وقيل نزلت فى المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم و بايمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما فى عم وفيم ونظائرهما معناها لأى شىء تقولون نفعل مالاتفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعيير والتوبيخ فى الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لاتفعلون ماتقولون لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون ﴾ بيان لغاية قبح مافعلوه وفرط سماجته و كبر من باب نعم و بئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه وأسند الى أن تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على أن قولهم مالايفعلون مقت خالص لاشوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ﴾ بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ماهو ممقوت عنده وهذا صريح فى أن ماقالوه عبارة عن الوعد بالقتال لاعما تقوله المتمدح أو انتحله المنتحل أو ادعاه المنافق وأن مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لاوعدهم كما أشير اليه وقرىء يقاتلون بفتح التاء و يقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى ﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾ حال من المستكن فى الحال الأولى أى مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض و رصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى ﴿ واذ قال موسى لقومه ﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين أى واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم و لاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب أنت و ربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وأصروا على ذلك و آذوه عليه الصلاة والسلام كل الأذية ﴿ ياقوم لم تؤذوننى ﴾ أى بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى ﴿ وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم ﴾ جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفى سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أى والحال أنكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدى من المعجزات القاهرة التى معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكته أنى رسول الله اليكم لأرشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى ﴿ فلما زاغوا ﴾ أى أصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ﴿ أزاغ الله قلوبهم ﴾ أى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى والضلال وقوله تعالى ﴿ والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾ اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته أى لايهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لاهداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون فى حكمه دخولا أوليا وأياما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى مافى قوله تعالى فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلاتأس على القوم الفاسقين هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم و يرتضيه الذوق السليم. وأما ما قيل بصدد بيان أسباب الأذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه الصلاة والسلام بأنواع الأذى من انتقاصه

وعيبه فى نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى ﴿ واذ قال عيسى ابن مريم ﴾ اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها ﴿ يابنى اسرائيل ﴾ ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله ﴿ انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ﴾ فان تصديقه عليه الصلاة والسلام اياها من أقوى الدواعى الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ﴿ ومبشرا برسول يأتى من بعدى ﴾ معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه الصلاة والسلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أى أرسلت اليكم حال كونى مصدقا لما تقدمنى من التوراة ومبشرا بمن يأتى من بعدى من رسول ﴿ اسمه أحمد ﴾ أى محمد صلى الله عليه وسلم يريد أن دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرىء من بعدى بفتح الياء ﴿ فلما جاءهم بالبينات ﴾ أى بالمعجزات الظاهرة ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ مشيرين الى ماجاء به أو اليه عليه الصلاة والسلام وتسميته سحرا للمبالغة و يؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام ﴾ أى أى الناس أشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذى يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر أى هو أظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفى المساوى وقد مر بيانه غير مرة وقرىء يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه ﴿ والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ أى لايرشدهم الى مافيه فلاحهم لعدم توجههم اليه ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله ﴾ أى يريدون أن يطفئوا دينه أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا أبالك أو يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله ﴿ بأفواههم ﴾ بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه ﴿ والله متم نوره ﴾ أى مبلغه الى غايته بنشره فى الآفاق واعلائه وقرىء متم نوره بلا اضافة ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ أى ارغاما لهم والجملة فى حيز الحال على ما بين مرارا ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ﴾ بالقرآن أو المعجزة ﴿ ودين الحق ﴾ والملة الحنيفية ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد أنجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ﴿ ولو كره المشركون ﴾ ذلك وقرىء هو الذى أرسل نبيه ﴿ ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ وقرىء تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل أوماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر فى معنى الأمر جىء به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه و يؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله و رسوله وجاهدوا وقرىء تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى ماذكر من الايمان والجهاد بقسميه ومافيه من معنى البعد لما مر غير مرة ﴿ خير لكم ﴾ على الاطلاق أو من أموالكم وأنفسكم ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أى ان كنتم من أهل العلم فان الجهلة لا يعتد بأفعالهم أو ان كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لأنكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ماتحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل أدلكم بعيد لأن مجرد الدلالة لايوجب المغفرة ﴿ و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات

عدن ذلك﴾ أى ماذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الأوصاف الجليلة ﴿الفوز العظيم﴾ الذى لافوز وراءه ﴿وأخرى﴾ ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة ﴿تحبونها﴾ وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة باضمار يعطكم أو تحبون أو مبتدأ خبره ﴿نصر من الله﴾ وهو على الأول بدل أو بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف ﴿وفتح قريب﴾ أى عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص أو على المصدر أى تنصرون نصرا و يفتح لكم فتحا أو على البدلية من أخرى على تقدير نصبها أى يعطكم نعمة أخرى نصرا وفتحا ﴿و بشر المؤمنين﴾ عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا و بشر أو على تؤمنون فانه فى معنى آمنوا كانه قيل آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون و بشرهم يا أيها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾ وقرئ أنصارا لله بلا اضافة لأن المعنى كونوا بعض أنصار الله وقرئ كونوا أنتم أنصار الله ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله﴾ أى من جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ والاضافة الأولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله أو قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا ﴿فآمنت طائفة من بنى اسرائيل﴾ أى بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم به من نصرة الدين ﴿و كفرت طائفة﴾ أخرى به وقاتلوهم ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم﴾ أى قويناهم بالحجة أو بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ غالبين . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة

(مدنية وآيها احدى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يسبح لله مافى السموات ومافى الأرض﴾ تسبيحا مستمرا ﴿الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ وقد قرئ الصفات الأربع بالرفع على المدح ﴿هو الذى بعث فى الأميين﴾ أى فى العرب لأن أكثرهم لايكتبون ولا يقرءون قيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وهم من أهل الانبار ﴿رسولا منهم﴾ أى كائنا من جملتهم أميا مثلهم ﴿يتلو عليهم آياته﴾ مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ﴿و يزكيهم﴾ صفة أخرى لرسولا معطوفة على يتلو أى يحملهم على مايصيرون به أزكياء من خبائث العقائد والاعمال ﴿و يعلمهم الكتاب والحكمة﴾ صفة أخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بأن كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر فى سورة البقرة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع ﴿وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه

عليه الصلاة والسلام من الغير وان هى المخففة واللام هى الفارقة ﴿وآخرين منهم﴾ عطف على الاميين أو على المنصوب فى يعلمهم أى يعلمهم و يعلم آخرين منهم أى من الاميين وهم الذين جاءوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه الصلاة والسلام وتعليمه يعم الجميع ﴿لما يلحقوا بهم﴾ صفة لآخرين أى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ المبالغ فى العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ﴿ذلك﴾ الذى امتاز به من بين سائر الأفراد ﴿فضل الله﴾ واحسانه ﴿يؤتيه من يشاء﴾ تفضلا وعطية ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ أى علموها وكلفوا العمل بها ﴿ثم لم يحملوها﴾ أى لم يعملوا بما فى تضاعيفها من الآيات التى من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ أى كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها و يحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو فى حكم النكرة كما فى قول من قال ولقد أمر على اللئيم يسبنى ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ أى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم أو بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الخ على أن مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف أو بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على أن الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما فى التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿والله لايهدى القوم الظالمين﴾ الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق أو الظالمين لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾ أى تهودوا ﴿ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس﴾ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه و يدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة و يقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك ﴿فتمنوا الموت﴾ أى فتمنوا من الله أن يميتكم و ينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ﴿ان كنتم صادقين﴾ جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أى ان كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من أيقن بأنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص اليها من هذه الدار التى هى قرارة الاكدار ﴿ولا يتمنونه أبدا﴾ اخبار بما سيكون منهم والباء فى قوله تعالى ﴿بما قدمت أيديهم﴾ متعلقة بما يدل عليه النفى أى يأبون التمنى بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة أفاعيله عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة ﴿والله عليم بالظالمين﴾ أى بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون فى كل ما يأتون وما يذرون من الامور التى من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أى عليم بهم و بما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى أفانين العذاب و بما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿قل ان الموت الذى تفرون منه﴾ فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمنى وقد قال عليه الصلاة والسلام لو تمنوا لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات أى ان الموت الذى تفرون منه ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم ﴿فانه ملاقيكم﴾ البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ﴿ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة﴾ الذى لاتخفى عليه خافية ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ من الكفر والمعاصى بأن يجازيكم بها ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة﴾

أى فعل النداء لها أى أذن لها ﴿من يوم الجمعة﴾ بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى فى كما فى قوله تعالى أرونى ماذا خلقوا من الارض أى فى الأرض وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤى وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود و يوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الاسلام . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة ﴿فاسعوا الى ذكر الله﴾ أى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة ﴿وذروا البيع﴾ واتركوا المعاملة ﴿ذلكم﴾ أى السعى الى ذكر الله وترك البيع ﴿خير لكم﴾ من مباشرته فان نفع الآخرة أجل وأبقى ﴿ان كنتم تعلمون﴾ أى الخير والشر الحقيقيين أو ان كنتم أهل العلم ﴿فاذا قضيت الصلاة﴾ أى أديت وفرغ منها ﴿فانتشروا فى الارض﴾ لاقامة مصالحكم ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أى الربح فالأمر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شىء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز و زيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة ﴿لعلكم تفلحون﴾ كى تفوزوا بخير الدارين ﴿واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها﴾ روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية أن يسبقوا اليه فما بقى معه عليه الصلاة والسلام الا ثمانية وقيل أحد عشر وقيل اثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لأنها المقصودة أو لأن الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف الثانى لدلالة الاول عليه وقرىء اليهما ﴿وتركوك قائما﴾ أى على المنبر ﴿قل ما عند الله﴾ من الثواب ﴿خير من اللهو ومن التجارة﴾ فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم ﴿والله خير الرازقين﴾ فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين

سورة المنافقون

(مدنية وآيها احدى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا جاءك المنافقون﴾ أى حضروا مجلسك ﴿قالوا نشهد انك لرسول الله﴾ مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم و وفور رغبتهم و نشاطهم وقوله تعالى ﴿والله يعلم انك لرسوله﴾ اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه و بين قوله تعالى ﴿والله يشهد ان المنافقين لكاذبون﴾ تحقيقا

وتعيينا لما نيط به التكذيب من أنهم قالوه عن اعتقاد كما أشير اليه واماطة من أول الأمر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم أى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم ﴿جنة﴾ أى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبى أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها و يتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ أى فصدوا من أراد الدخول فى الاسلام بأنه عليه الصلاة والسلام ليس برسول ومن أراد الانفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب فى أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرىء ايمانهم أى ما أظهروه على ألسنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم وأموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد و الاعراض عن سبيله تعالى ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من النفاق والصد وفى ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما تقدم من القول الناعى عليهم أنهم أسوأ الناس أعمالا أو الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب و الاستتار بالايمان الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الشر ﴿بأنهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿آمنوا﴾ أى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل فى الاسلام ﴿ثم كفروا﴾ أى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله أو نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم ﴿فطبع على قلوبهم﴾ حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرىء على البناء للفاعل وقرىء فطبع الله ﴿فهم لا يفقهون﴾ حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيته أصلا ﴿واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه الصلاة والسلام ومن معه يعجبون بهياكلهم و يسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل أحد ممن يصلح للخطاب و يؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ فى حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو كلام مستأنف لا محل له شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم و الخير وقرىء خشب على أنه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها أى فسد شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم وقرىء خشب كمدرة ومدر ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ أى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب فى قلوبهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم و يبيح دماءهم وأموالهم ﴿هم العدو﴾ أى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فان أعدى الاعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم أصلا فان الفاء فى قوله تعالى ﴿فاحذرهم﴾ لترتيب الامر بالحذر على كونهم أعدى الاعداء ﴿قاتلهم الله﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم و يخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى ﴿أنى يؤفكون﴾ تعجيب من حالهم أى كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال ﴿واذا قيل لهم﴾ عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة ﴿تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم﴾ أى عطفوها استكبارا ﴿ورأيتهم يصدون﴾ يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار

﴿وهم مستكبرون﴾ عن ذلك ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم﴾ كما اذا جاءوك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة أم عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل ألفا ﴿أم لم تستغفر لهم﴾ كما اذا أصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار ﴿لن يغفر الله لهم﴾ أبدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر ﴿ان الله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ الكاملين فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق والمراد اما هم بأعيانهم والاظهار فى موقع الاضمار لبيان غلوهم فى الفسق أو الجنس وهم داخلون فى زمرتهم دخولا أوليا وقوله تعالى ﴿هم الذين يقولون﴾ أى للانصار ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿حتى ينفضوا﴾ يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من أنفض القوم اذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى ﴿ولله خزائن السموات والارض﴾ رد وابطال لما زعموا من أن عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله عليه الصلاة والسلام ببيان أن خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشئونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون ﴿يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ روى أن جهجاه بن سعيد أجير عمر رضى الله عنه نازع سنانا الجهنى حليف ابن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن أبى فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ أى ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون. روى أن عبد الله بن أبى لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبى عليه الصلاة والسلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ أى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهى بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أى التلهى بالدنيا من الدين ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ أى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ أى بعض ما أعطيناكم تفضلا من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة ﴿من قبل أن يأتى أحدكم الموت﴾ بأن يشاهد دلائله ويعاين أماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر ﴿فيقول﴾ عند تيقنه بحلوله ﴿رب لولا أخرتنى﴾ أى أمهلتنى ﴿الى أجل قريب﴾ أى أمد قصير ﴿فأصدق﴾ بالنصب على جواب التمنى وقرئ فأتصدق ﴿وأكن من الصالحين﴾ بالجزم عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن وقرئ وأكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ وأكون بالرفع أى وأنا أكون عدة منه بالصلاح ﴿ولن يؤخر الله نفسا﴾ أى ولن يمهلها ﴿اذا جاء أجلها﴾ أى آخر عمرها أو انتهى ان أريد بالاجل الزمان الممتد من أول العمر الى آخره ﴿والله خبير بما تعملون﴾ فمجازلكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو

آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن

(مختلف فيها وآيها ثمانى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض﴾ أى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا ﴿له الملك وله الحمد﴾ لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها وأما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء ﴿هو الذى خلقكم﴾ خلقا بديعا حاويا لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك ﴿فمنكم كافر﴾ أى فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ﴿ومنكم مؤمن﴾ مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الأغلب فيما بينهم والأنسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان ﴿خلق السموات والارض بالحق﴾ بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ حيث برأكم فى أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة ﴿واليه المصير﴾ فى النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا فأحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له ﴿يعلم ما فى السموات والارض﴾ من الأمور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ أى ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم أى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة فى صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء ﴿ألم يأتكم﴾ أيها الكفرة ﴿نبأ الذين كفروا من قبل﴾ كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الامور وأمرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة أى ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم فى الدنيا ﴿ولهم﴾ فى الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ لا يقادر قدره ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وما سيذوقونه فى الآخرة ﴿بأنه﴾ بسبب أن الشأن ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أى بالمعجزات الظاهرة ﴿فقالوا﴾ عطف على كانت ﴿أبشر يهدوننا﴾ أى قال كل قوم من

المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر يهدينا كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه وقد أجمل فى الحكاية فأسند القول الى جميع الاقوام وأريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والأمر فى قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴿فكفروا﴾ أى بالرسل ﴿وتولوا﴾ عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الايمان بهم ﴿واستغنى الله﴾ أى اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك ﴿والله غنى﴾ عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم ﴿حميد﴾ يحمده كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما فى حيزها والمراد بالموصول كفار مكة أى زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبدا ﴿قل﴾ ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه ﴿بلى﴾ أى تبعثون وقوله ﴿وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ أى لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين ﴿وذلك﴾ أى ما ذكر من البعث والجزاء ﴿على الله يسير﴾ لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء فى قوله تعالى ﴿فآمنوا﴾ فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره أى اذا كان الامر كذلك فآمنوا ﴿بالله ورسوله﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿والنور الذى أنزلنا﴾ وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما أن النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بأمر الانزال ﴿والله بما تعملون﴾ من الامتثال بالأمر وعدمه ﴿خبير﴾ فمجاز لكم عليه والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة ﴿يوم يجمعكم﴾ ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم أو مفعول لاذكر وقرىء نجمعكم بنون العظمة ﴿ليوم الجمع﴾ ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون أى لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ﴿ذلك يوم التغابن﴾ أى يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفى الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بأن التغابن فى الحقيقة هو الذى يقع فيه لا ما يقع فى أمور الدنيا ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا﴾ أى عملا صالحا ﴿يكفر﴾ أى الله عز وجل وقرىء بنون العظمة ﴿عنه سيئاته﴾ يوم القيامة ﴿ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾ وقرىء ندخله بالنون ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات ﴿الفوز العظيم﴾ الذى لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطلبات ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ أى النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ﴿ما أصاب من مصيبة﴾ من المصائب الدنيوية ﴿الا باذن الله﴾ أى بتقديره وارادته كأنها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه أى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرىء يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرىء بنصبه على نهج سفه نفسه وقرىء يهدأ قلبه بالهمزة أى يسكن ﴿والله بكل شىء﴾ من الأشياء التى من جملتها القلوب وأحوالها ﴿عليم﴾ فيعلم ايمان المؤمن ويهدى قلبه الى ما ذكر ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ كرر

الأمر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله تعالى ﴿فان توليتم﴾ أى عن اطاعة الرسول وقوله تعالى ﴿فانما على رسولنا البلاغ المبين﴾ تعليل للجواب المحذوف أى فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه ﴿الله لا اله الا هو﴾ جملة من مبتدأ وخبر أى هو المستحق للمعبودية لا غيره وفى اضمار خبر لا مثل فى الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة معروف ﴿وعلى الله﴾ أى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ واظهار الجلالة فى موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والأمر به فان الألوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة ﴿يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ يشغلونكم عن طاعة الله تعالى أو يخاصمونكم فى أمور الدين أو الدنيا ﴿فاحذروهم﴾ الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لى أو للازواج والأولاد جميعا فالمأمور به على الأول الحذر عن الكل وعلى الثانى اما الحذر عن البعض لأن منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو ﴿وان تعفوا﴾ عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة ﴿وتصفحوا﴾ بترك التثريب والتعيير ﴿وتغفروا﴾ باخفائها وتمهيد عذرها ﴿فان الله غفور رحيم﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الأولين قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة ﴿انما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم من حيث لا تحتسبون ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعى فى تدبير مصالحهم ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم ﴿واسمعوا﴾ مواعظه ﴿وأطيعوا﴾ أوامره ﴿وأنفقوا﴾ مما رزقكم فى الوجوه التى أمركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه ﴿خيرا لأنفسكم﴾ أى ائتوا خيرا لأنفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لأنفسهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أى انفاقا خيرا أو خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر أى يكن خيرا لأنفسكم ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مرام ﴿ان تقرضوا الله﴾ بصرف أموالكم الى المصارف التى عينها ﴿قرضا حسنا﴾ مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ﴿يضاعفه لكم﴾ بالواحد عشرة الى سبعمائة وأكثر وقرىء يضعفه لكم ﴿ويغفر لكم﴾ ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب ﴿والله شكور﴾ يعطى الجزيل بمقابلة النزر القليل ﴿حليم﴾ لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ لا يخفى عليه خافية ﴿العزيز الحكيم﴾ المبالغ فى القدرة والحكمة . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق

(مدنية وآيها احدى عشرة أو اثنتا عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يا أيها النبي اذا طلقتم النساء﴾ تخصيص النداء به عليه الصلاة والسلام مع عموم الخطاب لأمته أيضا لتشريفه عليه الصلاة والسلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه عليه الصلاة والسلام اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كندائهم فان ذلك الاعتبار لو كان فى حيز الرعاية لكان الخطاب هو الأحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ أى مستقبلات لها كقولك أتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المرأة اذا طلقت فى طهر يعقبه القرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله فى السنة ﴿وأحصوا العدة﴾ واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء كوامل ﴿واتقوا الله ربكم﴾ فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة فى ايجاب الاتقاء ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ من مساكنهن عند الفراق الى أن تنقضى عدتهن واضافتها اليهن وهى لأزواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها أملاكهن ﴿ولا يخرجن﴾ ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج فى حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد منهن أما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما ﴿الا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ استثناء من الاول قيل هى الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا أن يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا أن يفحشن عليكم أو من الثانى للمبالغة فى النهى عن الخروج ببيان أن خروجها فاحشة ﴿وتلك﴾ اشارة الى ما ذكر من الأحكام وما فى اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها ﴿حدود الله﴾ التى عينها لعباده ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ أى حدوده المذكورة بأن أخل بشىء منها على أن الاظهار فى حيز الاضمار لتهويل أمر التعدى والاشعار بعلة الحكم فى قوله تعالى ﴿فقد ظلم نفسه﴾ أى أضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى ﴿لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذى يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدى الى خلافه فلا بد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والاخروى ويخص التعليل بالدنيوى لكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وقوله تعالى لا تدرى خطاب للمتعدى بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدى لا للنبى عليه الصلاة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضر بنفسه فانك لا تدرى أيها المتعدى عاقبة الامر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك الذى فعلت من التعدى أمرا يقتضى خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ويتسنى تلافيه رجعة أو استئناف نكاح ﴿فاذا بلغن أجلهن﴾ شارفن آخر عدتهن ﴿فأمسكوهن﴾ فراجعوهن ﴿بمعروف﴾ بحسن معاشرة وانفاق لائق ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ بايفاء الحق واتقاء الضرار بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة ﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا أمر ندب كما فى قوله تعالى وأشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعى أنه للوجوب فى الرجعة ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ أيها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ﴿ذلكم﴾ اشارة الى الحث على

الاشهاد والاقامة أو على جميع ما فى الآية ﴿يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ﴿ومن يتق الله﴾ الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما أن ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فى الاشهاد وغيره من الامور ﴿يجعل له مخرجا﴾ مما عسى يقع فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ أى من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يكون كلاما جىء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الى آخره فالمعنى ومن يتق الله فى كل ما يأتى وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا أوليا عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام انى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها . وروى أن عوف بن مالك الأشجعى أسر المشركون ابنا له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ففعل فبينا هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أى كافيه فى جميع أموره ﴿ان الله بالغ أمره﴾ بالاضافة أى منفذ أمره وقرىء بتنوين بالغ ونصب أمره أى يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرىء برفع أمره على أنه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وأمره مرتفع به على الفاعلية أى نافذ أمره وقرىء بالغا أمره على أنه حال وخبر ان قوله تعالى ﴿قد جعل الله لكل شىء قدرا﴾ أى تقديرا وتوقيتا أو مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شىء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى ﴿واللائى يئسن من المحيض من نسائكم﴾ لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ﴿ان ارتبتم﴾ أى شككتم وجهلتم كيف عدتهن ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن﴾ بعد لصغرهن أى فعدتهن أيضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه ﴿وأولات الأحمال أجلهن﴾ أى منتهى عدتهن ﴿أن يضعن حملهن﴾ سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا لتراخى نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضى الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التى فى سورة البقرة وقد صح أن سبيعة بنت الحرث الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجى ﴿ومن يتق الله﴾ فى شأن أحكامه ومراعاة حقوقها ﴿يجعل له من أمره يسرا﴾ أى يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من الأحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الفضل وافراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى ﴿أمر الله أنزله اليكم﴾ لما أنها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر فى قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله من سورة البقرة ﴿ومن يتق الله﴾ بالمحافظة على أحكامه ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ فان الحسنات يذهبن السيئات ﴿ويعظم له أجرا﴾ بالمضاعفة وقوله تعالى ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل أسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم وقوله تعالى ﴿من وجدكم﴾ أى من وسعكم أى مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم

وتفسير له ﴿ولاتضاروهن﴾ أى فى السكنى ﴿لتضيقوا عليهن﴾ وتلجئوهن الى الخروج ﴿وان كن﴾ أى المطلقات ﴿أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ فيخرجن من العدة أما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن ﴿فان ارضعن لكم﴾ بعد ذلك ﴿فآتوهن أجورهن﴾ على الارضاع ﴿وائتمروا بينكم بمعروف﴾ أى تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والأجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة ﴿وان تعاسرتم﴾ أى تضايقتم ﴿فسترضع له أخرى﴾ أى فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى وفيه معاتبة للأم على المعاسرة ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ وان قل أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه ﴿لايكلف الله نفسا الا ما آتاها﴾ جل أو قل فانه تعالى لايكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ أى عاجلا أو آجلا ﴿وكأى من قرية﴾ أى كثير من أهل قرية ﴿عتت﴾ أى أعرضت ﴿عن أمر ربها ورسله﴾ بالعتو والتمرد والعناد ﴿فحاسبناها حسابا شديدا﴾ بالاستقصاء والتنقير والمناقشة فى كل نقير وقطمير ﴿وعذبناها عذابا نكرا﴾ أى منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضى للدلالة على تحققهما كما فى قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ﴿فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا﴾ هائلا لا خسر وراءه ﴿أعد الله لهم عذابا شديدا﴾ تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب ﴿فاتقوا الله يا أولى الالباب﴾ ويجوز أن يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصابهم عاجلا وقد جوز أن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كأى ﴿الذين آمنوا﴾ منصوب باضمار أعنى بيانا للمنادى أو عطف بيان له أو نعت وفى ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله ﴿قد أنزل الله اليكم ذكرا﴾ هو جبريل عليه السلام سمى به لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر الذى هو القرآن كما ينبئ عنه ابداله قوله تعالى ﴿رسولا﴾ منه أو لانه مذكور فى السموات وفى الامم أو أريد بالذكر الشرف كما فى قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كأنه فى نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو هو النبى عليه الصلاة والسلام وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح أو لانه مسبب عن انزال الوحى اليه وأبدل منه رسولا للبيان أو هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو بذكرا على اعمال المصدر المنون أو بدل منه على أنه بمعنى الرسالة وقوله تعالى ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات﴾ نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها أى حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الأحكام وقرئ مبينات أى بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام فى قوله تعالى ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ متعلقة بيتلو أو بأنزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام أو ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله أى ليحصل لهم الرسول أو الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه سيؤمن ﴿من الظلمات الى النور﴾ من الضلالة الى الهدى ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا﴾ حسبما بين فى تضاعيف ما أنزل من الآيات المبينات ﴿يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى ﴿خالدين فيها أبدا﴾ حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى ﴿قد أحسن الله له رزقا﴾ حال أخرى منه أو من الضمير فى خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب ﴿الله الذى خلق سبع سموات﴾ مبتدأ وخبر ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ أى

خلق من الارض مثلهن فى العدد وقرئ مثلهن بالرفع على أنه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف فى كيفية طبقات الارض قالوا الجمهور على أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل أرض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبى والاول أصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من أن كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى أن صهيبا حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة أو جن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوة الاسلام بأهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها والثانى أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ أى يجرى أمره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الأمر ﴿لتعلموا أن الله على كل شئ قدير﴾ متعلق بخلق أو بيتنزل أو بمضمر يعمهما أى فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شئ ﴿وأن الله قد أحاط بكل شئ علما﴾ لاستحالة صدور الأفاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز أن يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الأمر أى أوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى من عجائب المصنوعات أنه لايخرج عن قدرته وعلمه شئ ما أصلا وقرئ ليعلموا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم

(مدنية وآيها ثنتا عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك﴾ روى أن النبى عليه الصلاة والسلام خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على فقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى أنه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل ﴿تبتغى مرضاة أزواجك﴾ اما تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف ببيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك ﴿والله غفور﴾ مبالغ فى الغفران قد غفر لك هذه الزلة ﴿رحيم﴾ قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ أى شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقده بالكفارة أو بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والأول هو

المرادهنا ﴿والله مولاكم﴾ سيدكم ومتولى أموركم ﴿وهو العليم﴾ بمايصلحكم فيشرعه لكم ﴿الحكيم﴾ المتقن فى أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة ﴿واذأسر النبي الى بعض أزواجه﴾ وهى حفصة ﴿حديثا﴾ أى حديث تحريم مارية أو العسل أوأمر الخلافة ﴿فلما نبأت به﴾ أى أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته اليها وقرئ أنبأت به ﴿وأظهره الله عليه﴾ أى أطلع الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام على افشاء حفصة ﴿عرف﴾ أى النبي عليه الصلاة والسلام حفصة ﴿بعضه﴾ بعض الحديث الذى أفشته قيل هو حديث الامامة روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها أباها ﴿وأعرض عن بعض﴾ أى عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية ﴿فلما نبأها به﴾ أى أخبر النبي عليه الصلاة والسلام حفصة بماعرفه من الحديث ﴿قالت من أنبأك هذا﴾ أى افشاءها للحديث ﴿قال نبأنى العليم الخبير﴾ الذى لاتخفى عليه خافية ﴿ان تتوبا الى الله﴾ خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى العتاب ﴿فقدصغت قلوبكما﴾ الفاء للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق أى فقد وجد منكما مايوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب مايحبه وكراهة مايكرهه وقرئ فقد زاغت ﴿وان تظاهرا عليه﴾ باسقاط احدى التاءين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا أى تتعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره ﴿فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾ أى فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أراد بصالح المؤمنين أبابكر وعمر رضى الله عنهما وقدروى ذلك مرفوعا الى النبي عليه الصلاة والسلام وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لاوان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير أمور الرسالة وتمشية أحكامها الظاهرة ولأن بيان مظاهرتهما له عليه الصلاة والسلام أشد تأثيرا فى قلوب بنتيهما وتوهينا لأمرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا أريدبه جنس الصالحين كما هو المشهور ﴿والملائكة﴾ مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم ﴿بعد ذلك﴾ قيل أى بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين ﴿ظهير﴾ أى فوج مظاهر له كأنهم يدواحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ومايني عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته هذا ماقالوه ولعل الأنسب أن يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكرى من أفضلية المقدم فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه الصلاة والسلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام ﴿عسى ربه ان طلقكن أن يبدله﴾ أى يعطيه عليه السلام بدلكن ﴿أزواجا خيرا منكن﴾ على التغليب أوتعميم الخطاب وليس فيه مايدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حفصة وأن فى النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لاينافى تطليق واحدة وماعلق بما لم يقع لايجب وقوعه وقرئ أن يبدله بالتشديد ﴿مسلمات مؤمنات﴾ مقرات مخلصات أومنقادات مصدقات ﴿قانتات﴾ مصليات أومواظبات على الطاعة ﴿تائبات﴾ من الذنوب ﴿عابدات﴾ متعبدات أو متذللات لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿سائحات﴾ صائمات سمي الصائم سائحا لأنه يسيح فى النهار بلازاد أومهاجرات وقرئ سيحات ﴿ثيبات وأبكارا﴾ وسط بينهما

العاطف لتنافيهما ﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾ بترك المعاصى وفعل الطاعات ﴿وأهليكم﴾ بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرئ أهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل على تغليب المخاطبين أى قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ﴿نارا وقودها الناس والحجارة﴾ أى نارا تتقد بهما اتقادغيرها بالحطب وأمر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى التحذير ﴿عليها ملائكة﴾ أى تلى أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية ﴿غلاظ شداد﴾ غلاظ الاقوال شداد الافعال أوغلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة ﴿لايعصون الله ماأمرهم﴾ أى أمره على أنه بدل اشتمال من الله أو فيما أمرهم به على نزع الخافض أى لايمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ﴿ويفعلون مايؤمرون﴾ أى ويؤدون مايؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى ﴿يأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم﴾ مقول لقول قدحذف ثقة بدلالة الحال عليه أى يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما أمروابه ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعدمانهيتم عنهما أشدالنهى وأمرتم بالايمان والطاعة فلاعذر لكم قطعا ﴿يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا﴾ أى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لايعودون فى قبيح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لايلويهم عنه صارف أصلا عن على رضى الله عنه أن التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لاتعود وأن تذيب نفسك فى طاعة الله تعالى كما ربيتها فى المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن حوشب أن لايعود ولوحز بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور أى ذات نصوح أوتنصح نصوحا أوتوبوا النصح أنفسكم على أنه مفعول له ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ وروود صيغة الاطماع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وأن العبد ينبغى أن يكون بين خوف ورجاء وان بالغ فى اقامة وظائف العبادة ﴿يوم لا يخزى الله النبى﴾ ظرف ليدخلكم ﴿والذين آمنوا معه﴾ عطف على النبى وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ أى على الصراط وهو على الأول استئناف أو حال وكذا قوله تعالى ﴿يقولون﴾ الخ وعلى الثانى خبر آخر للموصول أى يقولون اذا طفئ نور المنافقين ﴿ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير﴾ وقيل يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا وأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ﴿يأيها النبى جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ بالحجة ﴿واغلظ عليهم﴾ واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة ﴿ومأواهم جهنم﴾ سيرون فيها عذابا غليظا ﴿وبئس المصير﴾ أى جهنم أو مصيرهم ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا﴾ ضرب المثل فى أمثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة

لها فى الغرابة أى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا وما لا على أن مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى ﴿امرأة نوح وامرأة لوط﴾ أى حالها مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ماهو شرح وتفصيل لحالها ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ بيان لحالها الداعية لهما الى الخير والصلاح أى كانتا فى عصمة نبيين عظيمى الشأن متمكنتين من تحصيل خيرى الدنيا والآخرة وحيازة سعادتيهما وقوله تعالى ﴿فخانتاهما﴾ بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبى أى خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالها المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى ﴿فلم يغنيا﴾ الخ بيان لما أدى اليه خيانتهما أى فلم يغن النبيان ﴿عنهما﴾ بحق الزواج ﴿من الله﴾ أى من عذابه تعالى ﴿شيئاً﴾ أى شيئاً من الاغناء ﴿وقيل﴾ لهما عند موتهما أو يوم القيامة ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾ أى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ أى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت أعدى أعداء الله وهى فى أعلى غرف الجنة وقوله تعالى ﴿اذ قالت﴾ ظرف لمحذوف أشير اليه أى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت ﴿رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة﴾ قريبا من رحمتك أو فى أعلى درجات المقربين . روى أنها لما قالت ذلك أريت بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها ﴿ونجنى من فرعون وعمله﴾ أى من نفسه الخبيثة وعمله السيء ﴿ونجنى من القوم الظالمين﴾ من القبط التابعين له فى الظلم ﴿ومريم ابنة عمران﴾ عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل أى وضرب الله مثلا للذين آمنوا حالها وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا ﴿التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه﴾ وقرىء فيها أى مريم ﴿من روحنا﴾ من روح خلقناه بلا توسط أصلا ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ بصحفه المنزلة أو بما أوحى الى أنبيائه ﴿وكتبه﴾ بجميع كتبه المنزلة وقرىء بكلمة الله وكتابه أى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل ﴿وكانت من القانتين﴾ أى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم لأنها من أعقاب هارون أخى موسى عليهما السلام . وعن النبى عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلوات الله عليه وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك

(مكية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر وآيها ثلاثون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ البركة والنماء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه أيضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للمبالغة فى ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة نماء تلك الخيرات

وازديادها شيئا فشيئاً وآنا فآنا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وابانتها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل أى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الأمور ﴿وهو على كل شىء﴾ من الأشياء ﴿قدير﴾ مبالغ فى القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى فى جلائل الأمور ودقائقها وقوله تعالى ﴿الذى خلق الموت والحيوة﴾ شروع فى تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الأول داخل معه فى حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند أصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة وأما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه تعالى خلق الموت فى صورة كبش أملح لا يمر بشىء ولا يجد رائحته شىء الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء لا تمر بشىء ولا يجد رائحتها شىء الا حيى فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة فمعنى خلقه حينئذ تقديره أو ازالة الحياة وأيا ما كان فالأقرب أن المراد به الموت الطارىء وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه أدعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق أى خلق موتكم وحياتكم على أن الألف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما أن الأول أشرف من الثانى كذلك الحال فى عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذى أثير وانما طريقها النظرى التفكر فى بدائع صنع الله تعالى والتدبر فى آياته المنصوبة فى الأنفس والآفاق وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى أمر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة أن أحدا لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الأرض وتعليق فعل البلوى أى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم ايراد المفعول أصلا مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح أيضا لا الى الحسن والأحسن فقط للايذان بأن المراد بالذات والمقصد الأصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق أصل الايمان والطاعة فى الباقين أيضا لكمال تعاضد الموجبات له وأما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فى سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب فى الترقى الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى ﴿وهو العزيز﴾ الغالب الذى لا يفوته من أساء العمل ﴿الغفور﴾ لمن تاب منهم ﴿الذى خلق سبع سموات﴾ قيل هو نعت للعزيز الغفور أو بيان أو بدل والأوجه أنه نصب أو رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله فى قوله تعالى

الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما فى سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثانى فى كونه
مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم
أيكم أحسن عملا وقوله تعالى (طباقا) صفة لسبع سموات أى مطابقة على أنه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف
به المفعول أو مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها أى طوبقت طباقا وقوله تعالى (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت)
صفة أخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبأنه تعالى خلقها بقدرته
القاهرة رحمة وتفضلا وبأن فى ابداعها نعما جليلة أو استئناف والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد ممن
يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفى أى ما ترى فيه شيأ من تفاوت أى اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من
المتفاوتين يفوت منه بعض ما فى الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من
فطور) متعلق به على معنى التسبيب حيث أخبر أولا بأنه لا تفاوت فى خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك
ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر (ثم ارجع
البصر كرتين) أى رجعتين أخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك أى رجعة
بعد رجعة وان كثرت (ينقلب اليك البصر خاسئا) أى بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه
يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة (وهو حسير) أى كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى (ولقد
زينا السماء الدنيا) بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة
بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها أى وبالله لقد زينا أقرب السموات الى الأرض (بمصابيح) أى بكواكب
مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تترامى كأن كلها مركوزة فيها مع أن بعضها فى سائر السموات وما
ذاك الا لأن كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار فى فهمه الأفكار وطراز فائق تهيم فى دركه الأنظار (وجعلناها
رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة أخرى هى رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه
وجعناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما
يرجم به (وأعتدنا لهم) فى الآخرة (عذاب السعير) بعد الاحتراق فى الدنيا بالشهب (وللذين كفروا بربهم)
من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرئ بالنصب على أنه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم (وبئس
المصير) أى جهنم (اذا ألقوا فيها سمعوا لها) أى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى (شهيقا)
لأنه فى الأصل صفته فلما قدمت صارت حالا أى سمعوا كائنا لها شهيقا أى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر
الفظيع قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق (وهى تفور) أى والحال أنها تغلى بهم غليان المرجل بما فيه وجعل
الشهيق لأهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى (تكاد تميز) أى تتميز
وتتفرق (من الغيظ) أى من شدة الغضب عليهم فانه صريح فى أنه من آثار الغضب عليهم كما فى قوله تعالى سمعوا
لها تغيظا وزفيرا فأين هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الأليم والجملة اما حال من فاعل تفور أو
خبر آخر وقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج) استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من
ضميرها أى كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها) بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب
وحسرة على حسرة (ألم يأتكم نذير) يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع فى سورة الزمر ويعرب
عنه جوابهم أيضا (قالوا) اعترافا بأنه تعالى قد أزاح عللهم بالكلية (بلى قد جاءنا نذير) جامعين بين حرف

الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف بمجئ النذير وتحسرا على مافاتهم من السعادة فى تصديقهم وتمهيدا
لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك أى قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أى واحد حقيقة
أو حكما كانبياء بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا مانزل الله تعالى عليه من آياته (فكذبنا)
ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى (وقلنا) فى حق ما تلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير
(مانزل الله) على أحد (من شئ) من الأشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم (ان أنتم) أى ما أنتم فى ادعاء أنه
تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها (الا فى ضلال كبير) بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن
مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل
عليه فانه ملوح بعمومه حتما وأما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فأمر تحقيقى يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه
من الجنايات لامساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا
يختلف من الشرائع والأحكام باختلاف العصور والأعوام وأين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا
جعل ماذكر حكاية عن كل واحد من الأفواج وأما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو
مصدر مقدر بمضاف عام أى أهل نذير أو منعوت به فيتفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية ومن اعتبر الجمعية بأحد الوجوه
الثلاثة على التقدير الأول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الأخير فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقد جوز أن
يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على أن مرادهم بالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أو هلاكهم أو
عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين
(وقالوا) أيضا معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يعقل (لو كنا نسمع) كلاما (أو نعقل) شيأ (ما
كنا فى أصحاب السعير) أى فى عدادهم ومن أتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير كأن الخزنة
قالوا لهم فى تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك (فاعترفوا
بذنبهم) الذى هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله (فسحقا) بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما
لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما فى قعدك الله أى فأسحقهم الله أى أبعدهم من رحمته سحقا أى اسحاقا أو لفعل
مترتب على ذلك الفعل أى فأسحقهم الله فسحقوا أى بعدوا سحقا أى بعدا كما فى قول من قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع   من المال الا مسحت أو مجلف

أى لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا واللام فى قوله تعالى (لأصحاب
السعير) للبيان كما فى هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون فى عدادهم بطريق التغليب (ان الذين
يخشون ربهم بالغيب) أى يخافون عذابه غائبا عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما خفى منهم وهو قلوبهم
(لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم (وأجر كبير) لا يقادر قدره (وأسروا قولكم أو اجهروا به) بيان لتساوى السر
والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما فى قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى
المشركين كانوا ينالون من النبى عليه الصلاة والسلام فيوحى اليه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لبعض أسروا
قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم أسروا ذلك أو اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم
ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه
بما يجهرون به مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ

فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شئ يجهر به الا وهو أو مباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ تعليل لما قبله وتقرير له وفى صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة مالا غاية وراءه كأنه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ماتسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور والمعنى أنه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها وقوله تعالى ﴿ألا يعلم من خلق﴾ انكار ونفى لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر أى ألا يعلم السر والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الأشياء التى هما من جملتها وقوله تعالى ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفى أى ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا والمعنى ألا يعلم الله من خلقه والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطى ويمنع على معنى ألا يكون عالما من خلق لأن الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ من الافادة لان نظم الكلام حينئذ ألا يكون عالما وهو مبالغ فى العلم ﴿هو الذى جعل لكم الارض ذلولا﴾ لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولى الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر فان ما حقه التقديم اذا أخر لاسيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء فى قوله تعالى ﴿فامشوا فى مناكبها﴾ لترتيب الامر على الجعل المذكور أى فاسلكوا فى جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير أرق أعضائه وأنباها عن أن يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يتأتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شئ لم يتذلل ﴿وكلوا من رزقه﴾ والتمسوا من نعم الله تعالى ﴿واليه النشور﴾ أى المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا فى شكر نعمه وآلائه ﴿أأمنتم من فى السماء﴾ أى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من فى السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى فى السماء أى أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ بعد ماجعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار أى من أن يخسف ﴿فاذا هى تمور﴾ أى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان ﴿أم أمنتم من فى السماء﴾ اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر أى بل أأمنتم من فى السماء ﴿أن يرسل عليكم حاصبا﴾ أى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة ﴿فستعلمون﴾ عن قريب البتة ﴿كيف نذير﴾ أى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ أى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد وأضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم ﴿فكيف كان نكير﴾ أى انكارى عليهم بانزال العذاب أى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى ﴿أولم يروا﴾ أغفلوا ولم ينظروا ﴿الى الطير فوقهم صافات﴾ باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ﴿ويقبضن﴾ ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك

وهو السر فى ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ﴿ما يمسكهن﴾ فى الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع ﴿الا الرحمن﴾ الواسع رحمته كل شئ بأن برأهن على أشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى الهواء والجملة مستأنفة أو حال من الضمير فى يقبضن ﴿انه بكل شئ بصير﴾ يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى ﴿أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ تبكيت لهم بنفى أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الأنسب بما سيأتى من قوله تعالى ان أمسك رزقه كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا فى المعنيين معا خلا أن الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد فى ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهى مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما فى قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده وايثار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما فى قوله تعالى من ينصرنى من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن أو ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم أن أم معادلة لقوله تعالى أولم يروا الخ مع القول بأن من استفهامية مما لا تقريب له أصلا وقوله تعالى ﴿ان الكافرون الا فى غرور﴾ اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ماهم فيه من غاية الضلال أى ماهم فى زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شئ يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام فى قوله تعالى ﴿أم من هذا الذى يرزقكم ان أمسك﴾ أى الله عز وجل ﴿رزقه﴾ بامساك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيله خلا أن قوله تعالى ﴿بل لجوا فى عتو ونفور﴾ منبئ عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتو أى عناد واستكبار وطغيان ونفور أى شراد عن الحق وقوله تعالى ﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى﴾ الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ماظهر من سوء حالهم وخرورهم فى مهاوى الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم فى مسلك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد فى الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال أكب خر على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل فى الكب كأقشع الغمام أى صار ذا قشع والمعنى أفمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أهدى الى المقصد الذى يؤمه ﴿أم من يمشى سويا﴾ أى قائما سالما من الخبط والعثار ﴿على صراط مستقيم﴾ مستوى الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أريد بالمكب الاعمى وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة ﴿قل

هو الذى أنشأكم﴾ انشاء بديعا ﴿وجعل لكم السمع﴾ لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهى وتتعظوا بمواعظها ﴿والأبصار﴾ لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشئون الله عز وجل ﴿والأفئدة﴾ لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة ﴿قليلا ماتشكرون﴾ أى باستعمالها فيما خلقت لأجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أى شكوا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم ﴿قل هو الذى ذرأكم فى الأرض﴾ أى خلقكم وكثركم فيها لاغيره ﴿واليه تحشرون﴾ للجزاء لا الى غيره اشتراكا أو استقلالا فابنوا أموركم على ذلك ﴿ويقولون﴾ من فرط عتوهم وعنادهم ﴿متى هـذا الوعد﴾ أى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ﴿ان كنتم صادقين﴾ يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه الصلاة والسلام فى الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أى ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجئ الساعة والحشر فبينوا وقته ﴿قل انما العلم﴾ أى العلم بوقته ﴿عند الله﴾ عز وجل لايطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربى ﴿وانما أنا نذير مبين﴾ أنذركم وقوع الموعود لامحالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء فى قوله تعالى ﴿فلما رأوه﴾ فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الى آخره كما مر تحقيقه فى قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الا أن المقدر هناك أمر واقع مرتب على ماقبله بالفاء وههنا أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى ﴿زلفة﴾ حال من مفعول رأوا اما بتقدير المضاف أى ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى مزدلفا أو على أنه مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أى رأوه فى مكان ذى زلفة ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به ﴿وقيل﴾ توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم ﴿هذا الذى كنتم به تدعون﴾ أى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى أى تدعون أن لابعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روى عن مجاهد أن الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد ﴿قل أرأيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان أهلكنى الله﴾ أى أماتنى والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ﴿ومن معى﴾ من المؤمنين ﴿أو رحمنا﴾ بتأخير آجالنا فنحن فى جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أى لاينجيكم منه أحد متنا أو بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفى الانجاء به ﴿قل هو الرحمن﴾ أى الذى أدعوكم الى عبادته مولى النعم كلها ﴿آمنا به﴾ وحده لما علمنا أن كل ماسواه اما نعمة أو منعم عليه ﴿وعليه توكلنا﴾ لاعلى غيره أصلا لعلمنا بأن ماعداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر ﴿فستعلمون﴾ عن قريب البتة ﴿من هو فى ضلال مبين﴾ منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية ﴿قل أرأيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان أصبح ماؤكم غورا﴾ أى غائرا فى الارض بالكلية وقيل بحيث لاتناله الدلاء وهو مصدر وصف به ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ جار أو ظاهر سهل المأخذ . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنه أحيا ليلة القدر

سورة ن

(مكية وآيها ثنتان وخمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ن﴾ بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم فى موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق فى فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على أنه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدى بأحد الطريقين المذكورين فى موقعه أو اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدا محذوف فالواو فى قوله تعالى ﴿والقلم﴾ للقسم وان جعل مقسما به فهى للعطف عليه وأيا ما كان فان أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان أريد به الجنس فاستحقاق مافى أيدى الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن لمزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز قائلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون فى الواو ﴿وما يسطرون﴾ الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ما موصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ماخط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير فى خبرها والعامل فيها معنى النفى كأنه قيل أنت برئ من الجنون ملتبسا بنعمة الله التى هى النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه عليه الصلاة والسلام والايذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لاغاية وراءها والمراد تنزيهه عليه الصلاة والسلام عما كانوا ينسبونه عليه الصلاة والسلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عليه الصلاة والسلام فى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصانة العقل ورزانة الرأى ﴿وان لك﴾ بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لأعباء الرسالة ﴿لأجرا﴾ لثوابا عظيما لايقادر قدره ﴿غير ممنون﴾ مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ لايدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحمل من جهتهم مالا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم ﴿فستبصر ويبصرون﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيامه حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون فى الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما فى قلوب العالمين وكونهم أذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر ﴿بأيكم المفتون﴾ أى أيكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأى الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر وقوله تعالى ﴿ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ تعليل لما ينبئ عنه ماقبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لمافيه من الوعد والوعيد أى هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدى الى سعادة الدارين وهام فى تيه

الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضرر بل يحسب الضرر
نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيهجره ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم
العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء
فى قوله تعالى ﴿فلا تطع المكذبين﴾ لترتيب النهى على ماينبئ عنه ماقبله من اهتدائه عليه الصلاة والسلام وضلالهم
أو على جميع مافصل من أول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم أى دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم
وتصلب فى ذلك أو نهى عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما فى ضميره عليه الصلاة والسلام استجلابا لقلوبهم
لاعن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ودوا لو تدهن﴾ فانه تعليل للنهى أو للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة
للمبالغة فى الزجر والتنفير أى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الأمور ﴿فيدهنون﴾ أى فهم يدهنون حينئذ
أو فهم الآن يدهنون طمعا فى ادهانك وقيل هو معطوف على تدهن داخل فى حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب
ادهانك و يأباه ما سيأتى من بدئهم بالادهان على أن ادهانهم أمر محقق لايناسب ادخاله تحت التمنى وأياما كان
فالمعتبر فى جانبهم حقيقة الادهان الذى هو اظهار الملاينة واضمار خلافها وأما فى جانبه عليه الصلاة والسلام
فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط وأما اضمار خلافها فليس فى حيز الاعتبار بل هم فى غاية الكراهة
له وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام وفى بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى المفهوم من
ودوا أو أن ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون
لها جواب و ينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها
وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أى ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ﴿ولا تطع كل حلاف﴾
كثير الحلف فى الحق والباطل تقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل فى الزجر
﴿مهين﴾ حقير الرأى والتدبير ﴿هماز﴾ عياب طعان ﴿مشاء بنميم﴾ مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم
على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية ﴿مناع للخير﴾ أى بخيل أو مناع للناس من الخير الذى
هو الايمان والطاعة والانفاق ﴿معتد﴾ متجاوز فى الظلم ﴿أثيم﴾ كثير الآثام ﴿عتل﴾ جاف غليظ من عتله
اذا قاده بعنف وغلظة ﴿بعد ذلك﴾ بعد ماعد من مثالبه ﴿زنيم﴾ دعى مأخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة
تقطع فتخلى متدلية فى حلقها و فى قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه قيل هو الوليد بن
المغيرة فانه كان دعيا فى قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق
أصله من ثقيف وعداده فى زهرة ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ متعلق بقوله تعالى لاتطع أى لاتطع من هذه مثالبه
لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى ﴿اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين﴾ استئناف جار مجرى
التعليل للنهى وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن
ما بعد الشرط لايعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه يدل على
أن مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك وقرئ أأن كان على معنى
ألأن كان ذا مال كذب بها أو أتطيعه لأن كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب أى
لاتطع كل حلاف شارطا يساره لأن اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة ﴿سنسمه على الخرطوم﴾
بالكى على أكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه

يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة ﴿انا بلوناهم﴾ أى أهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها
قوت سنة و يتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت الصرام و يترك لهم ما اخطأه المنجل وما فى أسفل الاكداس
وما اخطأه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما
مات أبوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى ﴿اذ أقسموا
ليصرمنها مصبحين﴾ ليقطعنها داخلين فى الصباح ﴿ولا يستثنون﴾ أى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع أنه
شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لأخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا
يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة مستأنفة ﴿فطاف عليها﴾ أى على الجنة ﴿طائف﴾ بلاء طائف
وقرئ طيف ﴿من ربك﴾ مبتدأ من جهته تعالى ﴿وهم نائمون﴾ غافلون عما جرت به المقادير ﴿فأصبحت
كالصريم﴾ كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شئ فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل أى احترقت فاسودت
وقيل كالنهار أى يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال ﴿فتنادوا﴾ أى
نادى بعضهم بعضا ﴿مصبحين﴾ داخلين فى الصباح ﴿أن اغدوا﴾ أى اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على
أنها مصدرية أى اخرجوا غدوة ﴿على حرثكم﴾ بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الاقبال أو
الاستيلاء ﴿ان كنتم صارمين﴾ قاصدين للصرم ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ أى يتشاورون فيما بينهم بطريق
المخافتة وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ﴿أن لا يدخلنها﴾ أى الجنة ﴿اليوم
عليكم مسكين﴾ أن مفسرة لما فى التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين
عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ أى على
نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا أن يتنكدوا على
المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا
حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين
على اصابة خيرها ومنافعها أى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد
وقد قرئ بذلك أى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أى
غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة ﴿فلما رأوها قالوا﴾ فى بديهة
رؤيتهم ﴿انا لضالون﴾ أى طريق جنتنا وما هى بها ﴿بل نحن محرومون﴾ قالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة
الامر مضربين عن قولهم الأول أى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا ﴿قال أوسطهم﴾
أى رأيا أوسنا ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم
حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول
النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين﴾ وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء
لاشتراكهما فى التعظيم أو لانه تنزيه له تعالى عن أن يجرى فى ملكه مالا يشاؤه ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾
أى يلوم بعضهم بعضا فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره
﴿قالوا ياويلنا انا كنا طاغين﴾ متجاوزين حدود الله ﴿عسى ربنا أن يبدلنا﴾ وقرئ بالتشديد أى يعطينا بدلا

منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة ﴿خيرا منها انا الى ربنا راغبون﴾ راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء
الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروى أنهم تعاقدوا وقالوا ان أبدلنا الله خيرا منها
لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ماهو خير منها قالوا ان الله تعالى أمر
جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها
وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها
عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال أبو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم
وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رحمه الله تعالى قول
أصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لاأدرى ايمانا كان ذلك منهم أو على حد مايكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة
فتوقف فى أمرهم والاكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيرى ﴿كذلك العذاب﴾ جملة من مبتدا وخبر
مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد أى مثل الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ﴿ولعذاب
الآخرة أكبر﴾ أعظم وأشد ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ﴿ان للمتقين﴾ أى من
الكفر والمعاصى ﴿عند ربهم﴾ أى فى الآخرة أو فى جوار القدس ﴿جنات النعيم﴾ جنات ليس فيها الا التنعم
الخالص عن شائبة ماينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى ﴿أفنجعل المسلمين
كالمجرمين﴾ تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما
وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ماهى فى
الدنيا والالم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام أى أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ﴿مالكم
كيف تحكمون﴾ تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بأنه لايصدر عن عاقل ﴿أم لكم كتاب﴾ نازل من السماء
﴿فيه تدرسون﴾ أى تقرؤن ﴿ان لكم فيه لما تخيرون﴾ أى ماتتخيرونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه
مدروس فلما جىء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام
على نوح فى العالمين وتخير الشىء واختياره أخذ خيره ﴿أم لكم أيمان علينا﴾ أى عهود مؤكدة بالأيمان ﴿بالغة﴾
متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين ﴿الى يوم القيامة﴾ متعلق بالمقدر فى لكم أى
ثابتة لكم الى يوم القيامة لانخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ماتحكمون أو ببالغة أى أيمان تبلغ ذلك اليوم
وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين ﴿ان لكم لما تحكمون﴾ جواب القسم لأن معنى أم لكم علينا أيمان أم أقسمنا
لكم ﴿سلهم﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب أى سلهم
مبكتا لهم ﴿أيهم بذلك﴾ الحكم الخارج عن العقول ﴿زعيم﴾ أى قائم يتصدى لتصحيحه ﴿أم لهم شركاء﴾
يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم ﴿فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين﴾ فى دعواهم اذلا أقل من التقليد
وقد نبه فى هذه الآيات الكريمة على أن ليس لهم شىء يتوهم أن يتشبثوا به حتى التقليد الذى لايفلح من تشبث بذيله
وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ أى يوم يشتد الامر ويصعب
الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل ساق الشىء أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان أى يوم يكشف عن أصل الامر فتظهر حقائق
الامور وأصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل أو التعظيم وقرىء تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل
للساعة أو الحال وقرىء نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف الامر أى دخل فى
الكشف وناصب الظرف فليأتوا أو مضمر مقدم أى اذكر يوم الخ أو مؤخر أى يوم يكشف عن ساق الخ يكون
من الاهوال وعظائم الاحوال مالا يبلغه الوصف ﴿ويدعون الى السجود﴾ توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا
وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك ﴿فلا يستطيعون﴾ لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا
يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم أصلابهم أى ترد عظاما بلا مفاصل لاتنثنى عند الرفع والخفض
وفى الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أى فقارة واحدة ﴿خاشعة أبصارهم﴾ حال من مرفوع يدعون على أن
أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الأبصار لظهور أثره فيها ﴿ترهقهم﴾ تلحقهم وتغشاهم ﴿ذلة﴾ شديدة
﴿وقد كانوا يدعون الى السجود﴾ فى الدنيا والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير أو لان المراد به الصلاة أو مافيها من
السجود والدعوة دعوة التكليف ﴿وهم سالمون﴾ متمكنون منه أقوى تمكن أى فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك
ذكره ثقة بظهوره ﴿فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث﴾ أى كله الى فانى أكفيك أمره أى حسبك فى الايقاع به
والانتقام منه أن تكل أمره الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على
ما قبلها من أحوالهم المحكية أى واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فذرنى ومن يكذب بهذا القرآن وتوكل على فى الانتقام
منه وقوله تعالى ﴿سنستدرجهم﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن
والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى يكذب باعتبار لفظها أى سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة
وازدياد النعمة ﴿من حيث لايعلمون﴾ أنه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون أنه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع
أنه سبب لهلاكهم ﴿وأملى لهم﴾ وأمهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون أن ذلك لارادة الخير بهم ﴿ان كيدى متين﴾ لا يوقف
عليه ولا يدفع بشىء وتسمية ذلك كيدا لكونه فى صورة الكيد ﴿أم تسألهم﴾ على الابلاغ والارشاد ﴿أجرا﴾ دنيويا
﴿فهم﴾ لاجل ذلك ﴿من مغرم﴾ أى غرامة مالية ﴿مثقلون﴾ مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك ﴿أم عندهم
الغيب﴾ أى اللوح أو المغيبات ﴿فهم يكتبون﴾ منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك ﴿فاصبر لحكم ربك﴾
وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ أى يونس عليه السلام ﴿اذ نادى﴾ فى بطن
الحوت ﴿وهو مكظوم﴾ مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء فانه أمر مستحسن
ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف أى لايكن حالك كحاله وقت ندائه أى لايوجد منك ما وجد
منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ وقرىء رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه
وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرىء تداركته وتداركه أى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن
كان يقال فيه تتداركه ﴿لنبذ بالعراء﴾ بالارض الخالية من الاشجار ﴿وهو مذموم﴾ مليم مطرود من الرحمة
والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هى المنتفية لا النبذ بالعراء كما مر فى الحال الاولى
والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهى عنه أمرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى ﴿فاجتباه ربه﴾ عطف
على مقدر أى فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بأن رد اليه الوحى وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون وقيل استنبأه ان صح
أنه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة ﴿فجعله من الصالحين﴾ من الكاملين فى الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون

تركه أولى. روى أنها نزلت بأحدحين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف ﴿وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه ويزهقونك وان هى المخففة واللام دليلها والمعنى أنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى أى لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روى أنه كان فى بنى أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية ﴿لما سمعوا الذكر﴾ أى وقت سماعهم بالقرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ﴿ويقولون﴾ لغاية حيرتهم فى أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما فى تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة بأحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه ﴿انه لمجنون﴾ وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل ﴿وما هو الا ذكر للعالمين﴾ على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة أى يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين أى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

سورة الحاقة

(مكية وآيها احدى وخمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحاقة﴾ أى الساعة أو الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجىء لا محالة أو التى يحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحق فيها الامور أى تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور أو لمن فيها من أولى العلم وأياما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها ﴿ما الحاقة﴾ على أن ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هى أى أى شىء هى فى حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها هذا ما ذكروه فى اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق فى سورة الواقعة أن مقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان أن الحاقة أمر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لابيان أن أمرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى ﴿وما أدراك﴾ أى وأى شىء أعلمك ﴿ما الحاقة﴾ تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لاتكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الاعلام وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذى عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان أدرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراكم به فلما

وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت فى موضع المفعول الثانى والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ أى بالحالة التى تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض أحوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام اثر تقرير أنه ما أداره عليه الصلاة والسلام بها أحد كما فى قوله تعالى وما أدراك ماهيه نار حامية ونظائره خلا أن المبين هناك نفس المسئول عنها وههنا حال من أحوالها كما فى قوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر فكما أن المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شأنها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فأهلكوا ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ أى بالواقعة المجاوزة للحد وهى الصيحة أو الراجفة ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ أى شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد تحرق ببردها ﴿عاتية﴾ شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى ﴿سخرها عليهم﴾ الخ استئناف جىء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح أى سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوما﴾ أى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أو على المصدر لفعله المقدر حالا أى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى أيام العجز وهى آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل ومكفئ الظعن ﴿فترى القوم﴾ ان كنت حاضرا حينئذ ﴿فيها﴾ فى مهابها أو فى تلك الليالى والأيام ﴿صرعى﴾ موتى جمع صريع ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ أى أصول نخل ﴿خاوية﴾ متآكلة الاجواف ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ أى بقية أو نفس باقية أو بقاء على أنها مصدر كالكاذبة والطاغية ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ أى ومن تقدمه وقرئ ومن قبله أى ومن عنده من أتباعه ويؤيده أنه قرئ ومن معه ﴿والمؤتفكات﴾ أى قرى قوم لوط أى أهلها ﴿بالخاطئة﴾ بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ التى من جملتها تكذيب البعث والقيامة ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ أى فعصى كل أمة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح ﴿فأخذهم﴾ أى الله عز وجل ﴿أخذة رابية﴾ أى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح من ربا الشىء اذا زاد ﴿انا لما طغا الماء﴾ بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه عليه الصلاة والسلام فيما أوحى اليه من الأحكام التى من جملتها أحوال القيامة ﴿حملناكم﴾ أى فى أصلاب آبائكم ﴿فى الجارية﴾ فى سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء أيام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله أى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا وفيه تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صورى ﴿لنجعلها﴾ أى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين ﴿لكم تذكرة﴾ عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته ﴿وتعيها﴾ أى تحفظها والوعى أن تحفظ الشىء فى نفسك والايعاء

أن تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرئ تعيها بسكون العين تشبيها له بكتف ﴿أذن واعية﴾ أى أذن من شأنها أن تحفظ مايجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه و لاتضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ أذن بالتخفيف ﴿فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة﴾ شروع فى بيان نفس الحاقة و كيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التى عندها خراب العالم ﴿وحملت الأرض والجبال﴾ أى قلعت و رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الالهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح العاصفة ﴿فدكتا دكة واحدة﴾ أى فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا و لاأمتا من قولهم اندك السنام اذا تفرش و بعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان ﴿فيومئذ﴾ فحينئذ ﴿وقعت الواقعة﴾ أى قامت القيامة ﴿وانشقت السماء﴾ لنزول الملائكة ﴿فهى﴾ أى السماء ﴿يومئذ واهية﴾ ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة ﴿والملك﴾ أى الخلق المعروف بالملك ﴿على أرجائها﴾ أى جوانبها جمع رجا بالقصر أى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجأون الى أكنافها وحافاتها ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء أوفوق الثمانية ﴿يومئذ ثمانية﴾ من الملائكة عن النبي عليه الصلاة والسلام هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة آخرين فيكونون ثمانية و روى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان و بعضهم على صورة الأسد و بعضهم على صورة الثور و بعضهم على صورة النسر و روى ثمانية أملاك فى خلق الأوعال مابين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم و بحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم و بحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى و يجوز أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها أقصى مايتصور من العظمة والجلال والا فشؤنه سبحانه أجل من كل مايحيط بذلك العبارة والاشارة ﴿يومئذ تعرضون﴾ أى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم . روى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل ﴿لاتخفى منكم خافية﴾ حال من مرفوع تعرضون أى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من أسراركم قبل ذلك أيضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل أو غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه﴾ تفصيل لأحكام العرض ﴿فيقول﴾ تبجحا وابتهاجا ﴿هاؤم اقرؤا كتابيه﴾ ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات أجودهن هاء يارجل وهاء يا امرأة وهاؤما يارجلان أو امرأتان وهاؤون يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف و كتابيه مفعول اقرؤا لأنه أقرب العاملين و لانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الأولى اضماره حيث أمكن والهاء فيه و فى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب اثباتها لثباتها فى الامام ﴿انى ظننت أنى ملاق حسابيه﴾ أى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بأنه لايقدح فى الاعتقاد مايهجس فى النفس من الخطرات التى لا ينفك

عنها العلوم النظرية غالبا ﴿فهو فى عيشة راضية﴾ ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال دارع فى النسبة بالحرف أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم ﴿فى جنة عالية﴾ مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار ﴿قطوفها﴾ جمع قطف وهو مايجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر ﴿دانية﴾ يتناولها القاعد ﴿كلوا واشربوا﴾ باضمار القول والجمع باعتبار المعنى ﴿هنيئا﴾ أكلا وشربا هنيئا أو هنئتم هنيئا ﴿بما أسلفتم﴾ بمقابلة ماقدمتم من الاعمال الصالحة ﴿فى الأيام الخالية﴾ أى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام و روى يقول الله تعالى ياأوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا الآية ﴿وأما من أوتى كتابه بشماله﴾ ورأى مافيه من قبائح الاعمال ﴿فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه﴾ لما شاهد من سوء العاقبة ﴿ياليتها﴾ ياليت الموتة التى متها ﴿كانت القاضية﴾ أى القاطعة لامرى ولم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى فضمير ليتها للموتة و يجوز أن يكون لما شاهده من الحالة أى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لما أنه وجدها أمر من الموت فتمناه عندها وقد جوز أن يكون للحياة الدنيا أى ياليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حيا ﴿ما أغنى عنى ماليه﴾ مالى من المال والأتباع على أن ما نافية والمفعول محذوف أو استفهامية للانكار أى أى شئ أغنى عنى ما كان لى من اليسار ﴿هلك عنى سلطانيه﴾ أى ملكى وتسلطى على الناس أو حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا أو تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات ﴿خذوه﴾ حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار ﴿فغلوه﴾ أى شدوه بالأغلال ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أى لاتصلوه الا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعاظم على الناس ﴿ثم فى سلسلة ذرعها﴾ أى طولها ﴿سبعون ذراعا فاسلكوه﴾ فأدخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لايستطيع حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به وثم لتفاوت مابين الغل والتصلية وما بينهما و بين السلك فى السلسلة فى الشدة ﴿أنه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾ تعليل بطريق الاستئناف التحقيقى و وصفه تعالى بالعظم للايذان بأنه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق أعظم العقوبات ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ ولا يحث على بذل طعامه أو على اطعامه فضلا أن يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على أن تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما أن أقبح العقائد الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب ﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾ أى قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لأن أولياءه يتحامونه و يفرون منه ﴿ولا طعام الا من غسلين﴾ أى من غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل ﴿لا يأكله الا الخاطئون﴾ أصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لامن الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل و يتعدون حدود الله ﴿فلا أقسم﴾ أى فأقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وأما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى ﴿بما تبصرون ومالا تبصرون﴾ كما مر فى سورة الواقعة أى أقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالأجسام والأرواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والأول منتظم للكل ﴿انه﴾ أى القرآن ﴿لقول رسول﴾ يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه ﴿كريم﴾ على الله تعالى وهو النبي أو جبريل عليهما السلام ﴿وما هو بقول شاعر﴾ كما تزعمون تارة ﴿قليلا

ما تؤمنون﴾ ايمانا قليلا تؤمنون ﴿ولا بقول كاهن﴾ كما تدعون ذلك تارة أخرى ﴿قليلا ما تذكرون﴾ أى تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون على أن القلة بمعنى النفى أى لا تؤمنون و لا تتذكرون أصلا قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر أحواله عليه الصلاة والسلام ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى أقوالهم وأنت خبير بأن ذلك أيضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا وقرئ بالياء فيهما ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ نزله على لسان جبريل عليه السلام ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ سمى الافتراء تقولا لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها جمع أفعولة من القول كالأضاحيك ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أى بيمينه ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه و يكفحه بالسيف و يضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم

اذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

﴿فما منكم﴾ أيها الناس ﴿من أحد عنه﴾ عن القتل أو المقتول ﴿حاجزين﴾ دافعين وصف لأحد فانه عام ﴿وانه﴾ أى وان القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾ لأنهم المنتفعون به ﴿وانا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ فنجازيهم على تكذيبهم ﴿وانه لحسرة على الكافرين﴾ عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين ﴿وانه لحق اليقين﴾ الذى لا يحوم حوله ريب ما ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أى فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما أوحى اليك . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج

(مكية وآيها أربع وأربعون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سال سائل﴾ أى دعا داع ﴿بعذاب واقع﴾ أى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحرث حيث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل أبو جهل حيث قال أسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهرى وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه الصلاة والسلام استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر أو من السيلان و يؤيده أنه قرئ سال سيل أى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهرى واما فى الآخرة فهو عذاب النار والله أعلم ﴿للكافرين﴾ صفة أخرى لعذاب أى كائن للكافرين أو صلة لواقع أو متعلق بسأل أى دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ﴿ليس له دافع﴾ صفة أخرى لعذاب أو حال منه لتخصصه بالصفة أو بالعمل أو من الضمير فى للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب أو استئناف ﴿من الله﴾ متعلق بواقع أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى ﴿ذى المعارج﴾ ذى المصاعد التى يصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهى أو هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ أى جبريل عليه السلام

أفرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس ﴿اليه﴾ الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه أوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى أى الى حيث أمرنى به ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج و بعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى أنها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة أى يقطعون فى يوم ما يقطعه الانسان فى خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقيل فى يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيامة واستطالته اما لأنه كذلك فى الحقيقة أو لشدته على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وأيا ما كان فذلك فى حق الكافر وأما فى حق المؤمن فلا لما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقوله تعالى ﴿فاصبر صبرا جميلا﴾ متعلق بسأل لأن السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحى وذلك مما يضجره عليه الصلاة والسلام أو كان عن تضجر واستبطاء للنصر أو بسأل سائل أو سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام ﴿انهم يرونه﴾ أى العذاب الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعلق فى يوم بواقع ﴿بعيدا﴾ أى يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسألون به ﴿ونراه قريبا﴾ هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على أن البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ متعلق بقريبا أى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم أو بمضمر دل عليه واقع أو بمضمر مؤخر أى يوم تكون السماء كالمهل الخ يكون من الأحوال والأهوال ما لا يوصف أو بدل من فى يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الأقرب أن قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى و يقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر أو أبو جهل أو الفهرى فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع أو بما يدل هو عليه أى يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما أذيب على مهل من الفلزات وقيل دردى الزيت ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف المصبوغ ألوانا لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ أى لا يسأل قريب قريبا عن أحواله و لا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول أى لا يطلب من حميم حميم أو لا يسأل منه حاله ﴿يبصرونهم﴾ أى يبصر الأحماء الأحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا تشاغلهم بحال أنفسهم وقيل ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والأول أدخل فى التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استئناف ﴿يود المجرم﴾ أى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى ﴿لو يفتدى من عذاب يومئذ﴾ أى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ ﴿ببنيه وصاحبته وأخيه﴾ حكاية لودادتهم ولو فى معنى التمنى وقيل هى بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب و ينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداء ببنيه الخ والجملة استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه

فضلا أن يهتم بحاله و يسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن و بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب ﴿وفصيلته﴾ أى عشيرته التى فصل عنهم ﴿التى تؤويه﴾ أى تضمه فى النسب أو عند الشدائد ﴿ومن فى الأرض جميعا﴾ من الثقلين والخلائق ومن للتغليب ﴿ثم ينجيه﴾ عطف على يفتدى أى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده و بذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ﴿كلا﴾ ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير ﴿انها﴾ اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب أو هو مبهم ترجم عنه الخبر الذى هو قوله تعالى ﴿لظى﴾ وهى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ﴿نزاعة للشوى﴾ نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الاطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس وقرئ نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لان أو هو الخبر ولظى بدل من الضمير أو الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره ﴿تدعو﴾ أى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الى الى يا كافر يامنافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها ﴿من أدبر﴾ أى عن الحق ﴿وتولى﴾ أعرض عن الطاعة ﴿وجمع فأوعى﴾ أى جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه وتشاغل به عن الدين و زهى باقتنائه حرصا وتأميلا ﴿ان الانسان خلق هلوعا﴾ الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره أحسن تفسير قوله تعالى ﴿اذا مسه الشر﴾ أى الفقر والمرض ونحوهما ﴿جزوعا﴾ أى مبالغا فى الجزع مكثرا منه ﴿واذا مسه الخير﴾ أى السعة والصحة ﴿منوعا﴾ مبالغا فى المنع والامساك والاوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا ﴿الا المصلين﴾ استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لاباء نعوتهم عن الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصر النظر عليه ﴿الذين هم على صلوتهم دائمون﴾ لايشغلهم عنها شاغل ﴿والذين فى أموالهم حق معلوم﴾ أى نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة ﴿للسائل﴾ للذى يسأله ﴿والمحروم﴾ الذى لايسأله فيظن أنه غنى فيحرم ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أى بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ خائفون على أنفسهم مع مالهم من الأعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ﴿ان عذاب ربهم غير مأمون﴾ اعتراض مؤذن بأنه لاينبغى لأحد أن يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة ﴿والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين﴾ سلف تفسيره فى سورة المؤمنين ﴿فمن ابتغى﴾ أى طلب لنفسه ﴿وراء ذلك﴾ وراء ماذكر من الأزواج والمملوكات ﴿فأولئك﴾ المبتغون ﴿هم العادون﴾ المتعدون لحدود الله تعالى ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ لايخلون بشئ من حقوقها ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ أى مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الأمانات لابانة فضلها وقرئ لأمانتهم و بشهادتهم على ارادة الجنس ﴿والذين هم على صلوتهم يحافظون﴾ أى يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات

لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما فى قول من قال

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم

ايذانا بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شئ منها تتمة للآخر ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليهم للايذان بعلو شأنهم و بعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره ﴿فى جنات﴾ أى مستقرون فى جنات لايقادر قدرها ولايدرك كنهها وقوله تعالى ﴿مكرمون﴾ خبر آخر أو هو الخبر وفى جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير فى الخبر أى مكرمون كائنين فى جنات ﴿فما للذين كفروا قبلك﴾ حولك ﴿مهطعين﴾ مسرعين نحوك مادى أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ أى فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العز وكأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه عليه الصلاة والسلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ بلا ايمان ﴿كلا﴾ ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ ﴿انا خلقناهم مما يعلمون﴾ قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من أجل مايعلمون كما فى قول الأعشى

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذى هوى أن تزارا

وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يتبوأ متبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يطمعوا فى دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لاتناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل الايمان والطاعة ولم تتخلق بالاخلاق الملكية لم تستعد لدخولها ولايخفى مافى الكل من التمحل والأقرب أنه كلام مستأنف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحى وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على مايعلمون من النشأة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب ﴿انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم﴾ أى نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بمغلوبين ان أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم ﴿فذرهم﴾ فخلهم وشأنهم ﴿يخوضوا﴾ فى باطلهم الذى من جملته ماحكى عنهم ﴿ويلعبوا﴾ فى دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج ﴿سراعا﴾ حال من مرفوع يخرجون أى مسرعين ﴿كأنهم الى نصب﴾ وهو كل مانصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد أيضا ﴿يوفضون﴾ يسرعون ﴿خاشعة أبصارهم﴾ وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ﴿ترهقهم ذلة﴾ تغشاهم ذلة شديدة ﴿ذلك﴾ الذى ذكر ماسيقع فيه من الأحوال الهائلة ﴿اليوم الذى كانوا يوعدون﴾ فى الدنيا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ

سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

سـورة نوح عليه السلام

(مكية وآيها تسع أو ثمان وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك﴾ أى بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل اليها الفعل فان حذفه مع أن وان مطرد وجعلت صلتها أمرا كما فى قوله تعالى وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لايختلف بالخبرية والانشائية و وجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لاتوصف الابالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهى والمضى والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالانذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالأمر بالانذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما فى الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائى كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على ارادة القول ﴿من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ عاجل أو آجل لئلا يبقى لهم عذر ما أصلا ﴿قال﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه الصلاة والسلام بالوجه المذكور كأنه قيل مافعل عليه الصلاة والسلام فقيل قال لهم ﴿ياقوم انى لكم نذير مبين﴾ منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى ﴿أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ متعلق بنذير على الوجهين المذكورين ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ أى بعض ذنوبكم وهو ماسلف فى الجاهلية فان الاسلام يجبه ﴿ويؤخركم الى أجل مسمى﴾ هو الامد الاقصى الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح فى أن لهم أجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ﴿ان أجل الله﴾ أى ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر ﴿اذا جاء﴾ وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر ﴿لا يؤخر﴾ فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذى هو بقاؤكم على الكفر فلا يجئ ويتحقق شرط التأخير الى الأجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز أن يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم فانه أجل موقت له حتما وحمله على الاجل الأطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير الى الاجل المسمى فلا بد أن يكون المنفى عند مجئ الاجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى ﴿لو كنتم تعلمون﴾ أى لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ماأمرتكم به ﴿قال﴾ أى نوح عليه الصلاة والسلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو أعلم بحاله ماجرى بينه وبين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد مابذل فى الدعوة غاية المجهود وجاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل ﴿رب انى دعوت قومى﴾ الى الايمان والطاعة ﴿ليلا ونهارا﴾ أى دائما من غير فتور ولا توان ﴿فلم يزدهم دعائى الا فرارا﴾ مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما فى قوله تعالى زادتهم ايمانا ﴿وانى كلما دعوتهم﴾ أى الى الايمان ﴿لتغفر لهم﴾ بسببه ﴿جعلوا أصابعهم فى آذانهم﴾ أى سدوا مسامعهم

من استماع الدعوة ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أى بالغوا فى التغطى بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه أو لئلا يعرفهم فيدعوهم ﴿وأصروا﴾ أى أكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من أصر الحمار على العانة اذا أصر أذنيه وأقبل عليها ﴿واستكبروا﴾ عن اتباعى وطاعتى ﴿استكبارا﴾ شديدا ﴿ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا﴾ أى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار أشد من الاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد أو لتراخى بعضها عن بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لأنه أحد نوعى الدعاء أو أريد بدعوتهم جاهرتهم أو هو صفة لمصدر أى دعوتهم دعاء جهارا أى مجاهرا به أو مصدر فى موقع الحال أى مجاهرا ﴿فقلت استغفروا ربكم﴾ بالتوبة عن الكفر والمعاصى ﴿انه كان غفارا﴾ للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصى ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو أوقع فى قلوبهم وأحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم أنهم ان آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه ﴿يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ أى كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة أو السحاب ﴿ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات﴾ بساتين ﴿ويجعل لكم﴾ فيها ﴿أنهارا﴾ جارية ﴿مالكم لا ترجون لله وقارا﴾ انكار لأن يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على أن الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له أى أى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ أى والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية وهى أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم أغذية ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر فان التقصير فى توقير من هذه شئونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الأمل أى مالكم لا تؤملون له تعالى توقيرا أى تعظيما لمن عبده وأطاعه ولا تكونون على حال تؤملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والأول هو الذى تستدعيه الجزالة التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة للاعتقاد حتما وأما عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والانكار مع أن فى جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفى قوله ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض مالا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضى أن يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل مالكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أخذكم بالعقوبة أى أى عذر لكم فى ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مالكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك مالكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم أرج أى لم أبال وقوله تعالى ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ أى متطابقة بعضها فوق بعض ﴿وجعل القمر فيهن نورا﴾ أى منورا لوجه الأرض فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع أنه فى السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون فى الكل أو لأن كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى

الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في واحدة منها كأنه في الكل ﴿وجعل الشمس سراجا﴾ يزيل ظلمة الليل و يبصر أهل الدنيا فى ضوئها وجه الأرض و يشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انمـا هو نور فى الجملة ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾ أى أنشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض ونباتا اما مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد و يسمى اسم مصدر أو لمـا يترتب عليه من فعله أى أنبتكم من الارض فنبتم نباتا و يجوز أن يكون الاصل أنبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فيحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء فى كل منهما بمـا ذكر فى الاخرى كما مر فى قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردك بخير فلا راد لفضله ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ بالدفن عند موتكم ﴿ويخرجكم﴾ منها عنـد البعث والحشر ﴿اخراجا﴾ محققا لا ريب فيه ﴿والله جعل لكم الارض بساطا﴾ تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع أن حقه التأخير لمـا مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عنـد تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقـدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عنـد وروده لها فضل تمكن ﴿لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ أى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بمـا قبلها لمـا فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا أى كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها ﴿قال نوح﴾ أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه أى قال مناجيا له تعالى ﴿رب انهم عصونى﴾ أى تموا على عصيانى فيما أمرتهم به مع ما بالغت فى ارشادهم بالعظـة والتذكير ﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا﴾ أى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا أسـوة لهم فى الخسار و فى وصفهم بذلك اشعار بأنهم انمـا اتبعوهم لوجاهتهم الحاصـلة لهم بسبب الأموال والأولاد لا لمـا شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع فى الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن أو جمع كالأسد ﴿ومكروا﴾ عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الضمائر الأول باعتبار لفظها ﴿مكرا كبارا﴾ أى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتيالهم فى الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على أذية نوح عليه السـلام ﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم﴾ أى لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ﴿ولاتذرن ودا ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ أى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان و يغوث لمذحج و يعوق لمراد ونسر لحمير وقيـل هى أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السـلام ماتوا فقال ابليس لمن بعـدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهـم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة و يغوث على صورة أسد و يعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو و يغوثا و يعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ﴿وقد أضلوا﴾ أى الرؤساء ﴿كثيرا﴾ خلقا كثيرا أو الاصـنام كقوله تعالى رب انهن أضللن كثيرا من الناس ﴿ولا تزد الظالمين الا ضلالا﴾ عطف على قوله تعالى رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح بعد قال و بعد الواو النائبة عنه أى قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا و وضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال فى تمشية مكرهم

ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك كما فى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر ويؤيده ما سيأتى من دعائه عليه الصلاة والسلام ﴿مما خطيئاتهم﴾ أى من أجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرزيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومما خطياتهم أى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم ﴿أغرقوا﴾ بالطوفان لا بسبب آخر ﴿فأدخلوا نارا﴾ المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا فى الماء عن الضحاك أنهم كانوا يغرقون من جانب و يحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها أو لانه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾ أى لم يجد أحد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى و بأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم ﴿وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا﴾ عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه الصلاة والسلام للايذان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التى عددها نوح عليه السـلام وأشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا أنها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام و بينهم من الاحوال والاقوال والا لأخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار أو ديور كقيام وقيوم أى أحد وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار قد فعل به ما فعل بأصل سيد لا فعال والا لكان دوارا ﴿انك ان تذرهم﴾ عليها كلا أو بعضا ﴿يضلوا عبادك﴾ عن طريق الحق ﴿ولا يلدوا الا فاجرا كفارا﴾ أى الا من سيفجر و يكفر فوصفهم بمـا يصيرون اليه وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم قريبا من ألف سنة ﴿رب اغفر لى ولوالدى﴾ أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدى يريد ساما وحاما ﴿ولمن دخل بيتى﴾ أى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى ﴿مؤمنا﴾ بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه الصلاة والسلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من أهلك وقدمر تفصيله فى سورة هود ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ﴿ولا تزد الظالمين الا تبارا﴾ أى هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم أيضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم بإراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه الصلاة والسلام يهلكون مهلكا واحدا و يصـدرون مصادر شتى وعن الحسـن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله تعالى أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين غرقوا ٭ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سـورة الجن

(مكية وآيها ثمان وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل أوحى الى﴾ وقرئ أحى الى أصله وحى وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كأعد وأزن فى وعد ووزن ﴿أنه﴾ بالفتح لانه فاعل أوحى والضمير للشان ﴿استمع﴾ أى القرآن كما ذكر فى الاحقاف وقد

حذف لدلالة ما بعده عليه ﴿نفر من الجن﴾ النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هى النفوس البشرية المفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يشعر بهم و باستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله تعالى بذلك وقدمر مافيه من التفصيل فى الاحقاف ﴿فقالوا﴾ لقومهم عند رجوعهم اليهم ﴿انا سمعنا قرآنا﴾ كتابا مقروءا ﴿عجبا﴾ بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة ﴿يهدى الى الرشد﴾ الى الحق والصواب ﴿فآمنا به﴾ أى بذلك القرآن ﴿ولن نشرك بربنا أحدا﴾ حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بأن فى أحد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور فى فآمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أى ارتفع عظمته من جد فلان فى عينى أى عظم تمكنه أو سلطانه أو غناء على أنه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقرىء بالكسر و كذا الجمل المذكورة عطفا على المحكى بعد القول وهو الأظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول وأما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ بيان لحكم تعالى جده وقرىء جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القران ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه فى اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه ﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ أى ابليس أو مردة الجن ﴿على الله شططا﴾ أى قولا ذا شطط أى بعد عن القصد ومجاوزة للحد أو هو شطط فى نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل أيضا بل باعتبار كونه شططا كأنه قيل وصدقنا أن ما كان يقوله سفيهنا فى حقه تعالى كان شططا وأما تعلقهما بقوله تعالى ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا﴾ فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم أى كنا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله و كذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول أو وصف لمصدره المحذوف أى قولا كذبا أى مكذوبا فيه وقرىء لن تقول بحذف احدى التاءين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو التقول ﴿وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن﴾ كان الرجل من العرب اذا أمسى فى واد قفر وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن و كبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى ﴿فزادوهم﴾ أى زاد الرجال العائذون الجن ﴿رهقا﴾ أى تكبرا وعتوا أو فزاد الجن العائذين غيا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم ﴿وأنهم ظنوا﴾ أى الانس ﴿كما ظننتم﴾ أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض ﴿أن لن يبعث الله أحدا﴾ وقيل المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة الخ فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والأقرب أنهما كذلك على كل تقدير عطفا على أنه استمع اذ لا معنى لادراجهما تحت ماذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ وما بعده من الجمل المصدرة بأنا ينبغى أن تكون معطوفة على ذلك على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل أوحى الى كيت وكيت وهذه العبارات أى طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ﴿فوجدناها ملئت حرسا﴾ أى حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل ﴿شديدا﴾ قويا وهم الملائكة يمنعونهم

عنها ﴿وشهبا﴾ جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار الكواكب ﴿وأنا كنا نقعد﴾ قبل هذا ﴿منها﴾ من السماء ﴿مقاعد للسمع﴾ خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنعقد أى لاجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد أى مقاعد كائنة للسمع ﴿فمن يستمع الآن﴾ فى مقعد من المقاعد ﴿يجد له شهابا رصدا﴾ أى شهابا راصدا له و لاجله يصده عن الاستماع بالرجم أو ذوى شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبى عليه الصلاة والسلام والصحيح أنه كان قبل البعث أيضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة و زاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا فقالوا ما هذا الا لأمر أراده الله تعالى بأهل الارض وذلك قولهم ﴿وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض﴾ بحراسة السماء ﴿أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ أى خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره ﴿وأنا منا الصالحون﴾ أى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن أنفسهم و فى معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ﴿ومنا دون ذلك﴾ أى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لا فى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿كنا طرائق قددا﴾ وأما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وأنا منا المسلمون أى كنا قبل هذا ذوى طرائق أى مذاهب أو مثل طرائق فى اختلاف الاحوال أو كانت طرائقنا طرائق قددا أى متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع ﴿وأنا ظننا﴾ أى علمنا الآن ﴿أن لن نعجز الله﴾ أى أن الشأن لن نعجز الله كائنين ﴿فى الارض﴾ أينما كنا من أقطارها ﴿ولن نعجزه هربا﴾ هاربين منها الى السماء أو لن نعجزه فى الارض اذ أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا ﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ أى القرآن الذى هو الهدى بعينه ﴿آمنا به﴾ من غير تلعثم وتردد ﴿فمن يؤمن بربه﴾ و بما أنزله ﴿فلا يخاف﴾ فهو لا يخاف ﴿بخسا﴾ أى نقصا فى الجزاء ﴿ولا رهقا﴾ ولا أن ترهقه ذلة أو جزاء بخس و لا رهق اذ لم يبخس أحدا حقا و لا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يجتنب المظالم وقرىء فلا يخف والاول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة ﴿فمن أسلم فأولئك﴾ اشارة الى من أسلم والجمع باعتبار المعنى ﴿تحروا﴾ توخوا ﴿رشدا﴾ عظيما يبلغهم الى دار الثواب ﴿وأما القاسطون﴾ الجائرون عن سنن الاسلام ﴿فكانوا لجهنم حطبا﴾ توقد بهم كما توقد بكفرة الانس ﴿وأن لو استقاموا﴾ أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على أنه استمع والمعنى وأوحى الى أن الشأن لو استقام الجن والانس أو كلاهما ﴿على الطريقة﴾ التى هى ملة الاسلام ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ أى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن عن الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده فى الاسلام لأنعمنا عليهم و وسعنا رزقهم ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أنه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه ﴿يسلكه﴾ يدخله ﴿عذابا صعدا﴾ أى شاقا صعبا يعلو المعذب و يغلبه على أنه مصدر وصف به مبالغة ﴿وأن المساجد لله﴾ عطف على قوله تعالى أنه استمع أى وأوحى الى أن المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله ﴿فلا تدعوا﴾

أى لاتعبدوا فيها ﴿مع الله أحداً﴾ غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لأن كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة أو لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي عليه الصلاة والسلام وقيل مواضع السجود على أن المراد نهى السجود لغير الله تعالى وقيل أعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على أنه جمع المصدر الميمى ﴿وأنه﴾ من جملة الموحى أى وأوحى الى أن الشأن ﴿لما قام عبد الله﴾ أى النبي عليه الصلاة والسلام وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه ﴿يدعوه﴾ حال من فاعل قام أى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله فى سورة الاحقاف ﴿كادوا﴾ أى الجن ﴿يكونون عليه لبدا﴾ متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياما وركوعا وسجودا لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرىء لبدا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله الا أن يظهره على من ناوأه ﴿قل انما ادعو﴾ أى أعبد ﴿ربى ولا أشرك به﴾ ربى فى العبادة ﴿أحدا﴾ فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب أو الاطباق على عدواتى وقرىء قال على أنه حكاية لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين عليه والاول هو الأظهر والأوفق لقوله تعالى ﴿قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا﴾ كأنه أريد لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر ﴿قل انى لن يجيرنى من الله أحد﴾ ان أرادنى بسوء ﴿ولن أجد من دونه ملتحدا﴾ ملتجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شؤن نفسه بعد بيان عجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون غيره وقوله تعالى ﴿الا بلاغا من الله﴾ استثناء من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة أو من ملتحدا أى لن أجد من دونه منجا الا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا أبلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿ورسالاته﴾ عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته أى لا أملك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التى أرسلنى بها ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه ﴿فان له نار جهنم﴾ وقرىء بفتح الهمزة على فحقه أو فجزاؤه أن له نار جهنم ﴿خالدين فيها﴾ فى النار أو فى جهنم والجمع باعتبار المعنى ﴿أبدا﴾ بلا نهاية وقوله تعالى ﴿حتى اذا رأوا ما يوعدون﴾ غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب فى الآخرة ﴿فسيعلمون﴾ حينئذ ﴿من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ وحمل ما يوعدون على ما رأوه يوم بدر يأباه قوله تعالى ﴿قل ان أدرى﴾ أى ما أدرى ﴿أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا﴾ فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة وأما وقته فما أدرى متى يكون ﴿عالم الغيب﴾ بالرفع قيل هو بدل من ربى أو بيان له ويأباه الفاء فى قوله تعالى ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ اذ يكون النظم حينئذ أم يجعل له عالم الغيب أمدا فلا يظهر عليه أحدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف أى هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق أى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه ﴿الا من ارتضى من رسول﴾ أى

الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادىء رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحدا أبدا على أن بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلا ولا يدعى أحد لاحد من الاولياء ما فى رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح وقوله تعالى ﴿فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أى فانه يسلك من جميع جوانب الرسول عليه السلام عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى أريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفراده وضمير أبلغوا اما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية فى الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بأمرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة فى الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى أممهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى ﴿وأحاط بما لديهم﴾ أى بما عند الرصد أو الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جىء بها لتحقيق استغنائه تعالى فى العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الاحوال جميعا ﴿وأحصى كل شىء﴾ مما كان وما سيكون ﴿عددا﴾ أى فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل أحصى عدد كل شىء وقيل هو حال أى معدودا محصورا أو مصدر بمعنى احصاء وأياما كان ففائدته بيان أن علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها أى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان أصل الاحصاء أن الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك وأحاط بما لديهم الخ فبمعزل من السداد . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سـورة المزمل

(مكية وآيها تسع عشرة أو عشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يا أيها المزمل﴾ أى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فأدغم التاء فى الزاء وقد قرىء على الاصل وقرىء المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه الصلاة والسلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن فأمر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه الصلاة والسلام على خديجة وقد جئث فرقا أول ما أتاه جبريل عليهما السلام و بوادره ترعد فقال زملونى زملونى فحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما فى قوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا أبا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا أيها الذى زمل أمرا عظيما هو أمر النبوة أى حمله والزمل الحمل وازدمله أى احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام أو للامر به فان تحميله عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد فى العبادة ﴿قم الليل﴾ أى قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرىء بضم الميم و بفتحها ﴿الا قليلا﴾ استثناء من الليل وقوله تعالى ﴿نصفه﴾ بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل أى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى أكثره فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر ﴿أو انقص منه﴾ أى انقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الاولى ﴿قليلا﴾ أى نقصا قليلا أو مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف ﴿أو زد عليه﴾ أى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه الصلاة والسلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد أما أولا فلان الحقيق بالاعتناء الذى ينبىء عنه الابدال هو الجزء الباقى بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العارى عنه وأما ثانيا فلان نقص القيام و زيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذى هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام و زيادته بالقياس الى ماهو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوى النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بأن الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتات و بين أن يختار أحد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كأنه قيل قم أقل من نصفه أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا وقيل وقيل والذى يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله أعلم بما فى كتابه الجليل ﴿ورتل القرآن﴾ فى أثناء ماذكر من القيام أى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ﴿ترتيلا﴾ بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل و رتل اذا كان مفلجا ﴿انا سنلقى عليك﴾ أى سنوحى اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى ﴿قولا ثقيلا﴾ وهو القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للأمة والجملة اعتراض بين الأمر

وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا أنه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه أو ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيل فى الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحى ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضى الله تعالى عنها رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ﴿ان ناشئة الليل﴾ أى ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة أى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض أو ان قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ كالعافية أو ان العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة أو ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ ﴿هى أشد وطأ﴾ أى هى خاصة أشد ثبات قدم أو كلفة فلابد من الاعتناء بالقيام وقرىء وطاء أى أشد مواطأة يواطىء قلبها لسانها ان أريد بها النفس أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه أن أريد بها القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص ﴿وأقوم قيلا﴾ وأسد مقالا وأثبت قراءة لحضور القلب وهدو الأصوات ﴿ان لك فى النهار سبحا طويلا﴾ أى تقلبا وتصرفا فى مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للداعى الخارجى الى قيام الليل بعد بيان مافى نفسه من الداعى وقرىء سبخا أى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه ﴿واذكر اسم ربك﴾ ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على أى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم ﴿وتبتل اليه﴾ أى وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة فى مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل ﴿تبتيلا﴾ مكان تبتلا مع مافيه من رعاية الفواصل ﴿رب المشرق والمغرب﴾ مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره ﴿لا اله الا هو﴾ وقرىء بالجر على أنه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء فى قوله تعالى ﴿فاتخذه وكيلا﴾ لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى ﴿واصبر على مايقولون﴾ مما لا خير فيه من الخرافات ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿وذرنى والمكذبين﴾ أى دعنى واياهم وكل أمرهم الى فانى أكفيكهم ﴿أولى النعمة﴾ أرباب التنعم وهم صناديد قريش ﴿ومهلهم قليلا﴾ زمانا قليلا ﴿ان لدينا أنكالا﴾ جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر أى أن لدينا أمورا مضادة لتنعمهم ﴿وجحيما وطعاما ذا غصة﴾ ينشب فى الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم ﴿وعذابا أليما﴾ ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى ﴿يوم ترجف الارض والجبال﴾ أى تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا أى عذابا واقعا يوم ترجف ﴿وكانت الجبال﴾ مع صلابتها وارتفاعها ﴿كثيبا﴾ رملا مجتمعا من كثب الشىء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول ﴿مهيلا﴾ منثورا من هيل هيلا اذا نثر وأسيل ﴿انا أرسلنا اليكم﴾ يا أهل مكة ﴿رسولا شاهدا عليكم﴾ يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان ﴿كما أرسلنا الى فرعون رسولا﴾ هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ الذى أرسلناه اليه ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أى انا أرسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى ﴿فأخذناه أخذا وبيلا﴾ خارج من التشبيه جىء به للتنبيه على أنه سيحيق بهؤلاء ماحاق بأولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل أى وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ﴿فكيف تتقون﴾ أى كيف تقون أنفسكم ﴿ان كفرتم﴾

أى بقيتم على الكفر ﴿يوما﴾ أى عذاب يوم ﴿يجعل الولدان﴾ من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهى ﴿شيبا﴾ شيوخا جمع أشيب اما حقيقة أو تمثيلا وأصله أن الهموم والأحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب وقد جوز أن يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك ﴿السماء منفطر﴾ أى منشق وقرئ متفطر أى متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر أى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا مايعبر عنه بالشئ وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب أى ذات انفطار والباء فى قوله تعالى ﴿به﴾ مثلها فى فطرت العود بالقدوم ﴿كان وعده مفعولا﴾ الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله أو لليوم وهو مضاف الى مفعوله ﴿ان هذه﴾ اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة ﴿تذكرة﴾ موعظة ﴿فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا﴾ بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ﴿ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل﴾ أى أقل منهما استعير له الأدنى لما أن المسافة بين الشيئين اذا دنت قل مابينهما من الاحياز ﴿ونصفه وثلثه﴾ بالنصب عطفا على أدنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثى الليل ﴿وطائفة من الذين معك﴾ أى ويقوم معك طائفة من أصحابك ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ وحده لا يقدر على تقديرهما أحد أصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿علم أن لن تحصوه﴾ أى علم أن الشأن لن تقدروا على تقدير الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبداً ﴿فتاب عليكم﴾ بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم فى تركه ﴿فاقرؤا ماتيسر من القرآن﴾ فصلوا ماتيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن فى ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾ استئناف مبين لحكمة أخرى داعية الى الترخيص والتخفيف ﴿وآخرون يضربون فى الأرض﴾ يسافرون فيها للتجارة ﴿يبتغون من فضل الله﴾ وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله﴾ واذا كان الأمر كما ذكر وتعاضدت الدواعى الى الترخيص ﴿فاقرؤا ماتيسر منه﴾ من غير تحمل المشاق ﴿وأقيموا الصلوة﴾ أى المفروضة ﴿وآتوا الزكوة﴾ الواجبة وقيل هى زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ أريد به الانفاقات فى سبل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن الوجوه وأنفعها للفقراء ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ أى خير كان مما ذكر ومالم يذكر ﴿تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾ من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثانى مفعولى تجدوا وهو تأكيد أو فصل وان لم يقع بين معرفتين فان أفعل من فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر ﴿واستغفروا الله﴾ فى كافة أحوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط ﴿ان الله غفور رحيم﴾ . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

سـورة المدثر

(مكية وآيها ست وخمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ياأيها المدثر﴾ أى المتدثر وهو لابس الدثار وهو مايلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد قيل هى أول سورة نزلت . روى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت على جبل حراء فنوديت يامحمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أرشيأ فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال ياأيها المدثر وعن الزهرى أن أول مانزل سورة اقرأ الى قوله تعالى مالم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبى الله فرجع الى خديجة فقال دثرونى وصبوا على ماء بارداً فنزل جبريل فقال ياأيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لايدع انذارهم وان أسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أى الذى دثر هذا الأمر العظيم وعصب به وفى حرف أبى المتدثر ياأيها المتدثر على الأصل ﴿قم﴾ أى من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم ﴿فأنذر﴾ أى افعل الانذار وأحدثه وقيل أنذر قومك كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين أو جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴿وربك فكبر﴾ واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى أنه لما نزل قال رسول الله الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان أى أى شئ حدث فلا تدع تكبيره أو للدلالة على أن المقصود الأولى من الأمر بالقيام أن يكبر ربه وينزهه من الشرك فان أول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه ﴿وثيابك فطهر﴾ مما ليس بطاهر فانه واجب فى الصلاة وأولى وأحب فى غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها أيضا فان طولها يؤدى الى جر الذيول على القاذورات وهو أول ما أمر به عليه الصلاة والسلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من الأحوال يقال فلان طاهر الذيل والأردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق ﴿والرجز فاهجر﴾ أى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ ولا تعط مستكثرا أى رائيا لما تعطيه كثيرا أوطالبا للكثير على أنه نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهى اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى اختار له أشرف الأخلاق وأحسن الآداب أو للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف أو ابدالا من تمنن كأنه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على أنه من المن الذى فى قوله تعالى منا ولا أذى لأن من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار أن مع ابقاء عملها كقول من قال ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وقد قرئ باثباتها ويجوز فى قراءة الرفع أن يحذف أن ويبطل عملها كما يروى أحضر الوغى بالرفع ﴿ولربك﴾ أى لوجهه تعالى أو لأمره ﴿فاصبر﴾ فاستعمل الصبر وقيل على أذية المشركين وقيل على أداء الفرائض ﴿فاذا نقر فى الناقور﴾ أى نفخ فى الصور وهو فاعل من

النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى اذا مادل عليه قوله تعالى ﴿فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين﴾ فان معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أو حال من المستكن فيه وقوله تعالى ﴿غير يسير﴾ تأكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف فى أن المراد به يوم النفخة الأولى أو الثانية والحق أنها الثانية اذ هى التى يختص عسرها بالكافرين وأما النفخة الأولى فحكمها الذى هو الاصعاق يعم البر والفاجر على أنها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء فى الأخبار أن فى الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وأنها تجمع فى تلك الثقوب فى النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبه روح الى الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى ﴿ذرنى ومن خلقت وحيدا﴾ حال اما من الياء أى ذرنى وحدى معه فانى أكفيكه فى الانتقام منه أو من التاء أى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى ومن خلقته وحيدا فريدا لامال له ولا ولد وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد أو وحيدا من أبيه لأنه كان زنيما كما مر أو وحيدا فى الشرارة ﴿وجعلت له مالا ممدودا﴾ مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثورى أربعة آلاف دينار وقال الثورى أيضا ألف ألف دينار ﴿وبنين شهودا﴾ حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف فى عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضورا فى الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ﴿ومهدت له تمهيدا﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ على ما أوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما أوتى سعة وكثرة أو لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى ﴿كلا﴾ ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى ﴿انه كان لآياتنا عنيدا﴾ تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيق فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما أوتى ما أوتى استدراجا قيل مازال بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله حتى هلك ﴿سأرهقه صعودا﴾ سأغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة أو الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذى لا يطاق وعن النبى صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة فى النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا ﴿انه فكر وقدر﴾ تعليل للوعيد واستحقاقه له أو بيان لعناده لآياته تعالى أى فكر ماذا يقول فى شأن القرآن وقدر فى نفسه ما يقوله ﴿فقتل كيف قدر﴾ تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذى كان ينتحيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء

به أو حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما أشجعه أو أخزاه الله ما أشعره الاشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقيا بأن يدعو عليه حاسده بذلك. روى أن الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يأثره عن أهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الاولى وفيما بعد على أصلها من التراخى الزمانى ﴿ثم نظر﴾ أى فى القرآن مرة بعد مرة ﴿ثم عبس﴾ قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر فى وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب فى وجهه ﴿وبسر﴾ اتباع لعبس ﴿ثم أدبر﴾ عن الحق أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿واستكبر﴾ عن اتباعه ﴿فقال ان هذا الا سحر يؤثر﴾ أى يروى ويتعلم والفاء للدلالة على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى ﴿ان هذا الا قول البشر﴾ تأكيد لما قبله ولذلك أخلى عن العاطف ﴿سأصليه سقر﴾ بدل من سأرهقه صعودا ﴿وما أدراك ما سقر﴾ أى أى شىء أعلمك ما سقر على أن ما الاولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ أى أى شىء هى فى وصفها لما مر مرارا من أن ماقد يطلب بها الوصف وان كان الغالب أن يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وما أدراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك أى لا تبقى شيأ يلقى فيها الا أهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد أو لا تبقى على شىء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة ﴿لواحة للبشر﴾ مغيرة لأعالى الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرىء لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل ﴿عليها تسعة عشر﴾ أى ملكا أو صنفا أو صفا أو نقيبا من الملائكة يلون أمرها ويتسلطون على أهلها وقرىء بسكون عين عشر حذرا من توالى الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وقرىء تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن ﴿وما جعلنا أصحاب النار﴾ أى المدبرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها ﴿الا ملائكة﴾ ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولأنهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى وأشدهم بأسا عن النبى صلى الله عليه وسلم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم وروى أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فنزلت أى ماجعلناهم رجالا من جنسكم ﴿وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا﴾ أى ما جعلنا عددهم الا العدد الذى تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالأثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الأمر بل جعله فى القرآن أيضا كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم

باستقلالهم له واستبعادهم لتولى هذا العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ماسيأتى من استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد أن اختلاف النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع أو أن جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة كل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل أنواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف أو صف يتولاه و واحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه و يتولاه واحد أو أن الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى مايؤاخذ به بأنواع العذاب يتولاها الزبانية ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ متعلق بالجعل على المعنى المذكور أى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلاة والسلام وصدق القرآن لما شاهدوا مافيه موافقا لما فى كتابهم ﴿ويزداد الذين آمنوا ايمانا﴾ أى يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك أو كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ماأنزل ﴿ولا يرتاب أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفى لما قد يعترى المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون فى سلك أهل الكتاب فى نفى الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده و رسوخهم فى ذلك ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض﴾ شك أو نفاق فيكون اخبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة ﴿والكافرون﴾ المصرون على التكذيب ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أى أى شئ أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله فى الشناعة ﴿كذلك يضل الله من يشاء﴾ ذلك اشارة الى ماقبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف فى الأصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف وأصل التقدير يضل الله من يشاء ﴿ويهدى من يشاء﴾ اضلالا وهداية كائنين مثل ماذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدى من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية أدنى منهما ﴿ومايعلم جنود ربك﴾ أى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون ﴿الا هو﴾ اذ لاسبيل لأحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة ﴿وماهى﴾ أى سقر أو عدة خزنتها أو الآيات الناطقة بأحوالها ﴿الا ذكرى للبشر﴾ الا تذكرة لهم ﴿كلا﴾ ردع لمن أنكرها أو انكار ونفى لأن يكون لهم تذكر ﴿والقمر والليل اذ أدبر﴾ وقرئ اذا دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه قولهم صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه ﴿والصبح اذا أسفر﴾ أى أضاء وانكشف ﴿انها لاحدى الكبر﴾ جواب للقسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع فى جمع القاصعاء كأنها جمع قاصعة أى لاحدى البلايا أو لاحدى الدواهى الكبر على معنى أن البلايا الكبر أو الدواهى الكبر كثيرة وهذه واحدة فى العظم لانظيرة لها ﴿نذيرا للبشر﴾ تمييز أى لاحدى الكبر انذارا أو حال مما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على أنه خبر بعد خبر لان أو لمبتدا محذوف

﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ بدل من للبشر أى نذيرا لمن شاء منكم أن يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى أو لم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وأن يتقدم أو يتأخر مبتدأ فيكون فى معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لاصفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لايدخله التاء ﴿الا أصحاب اليمين﴾ فانهم فاكون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الأطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ﴿فى جنات﴾ لايكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء أصحاب اليمين كأنه قيل ما بالهم فقيل هم فى جنات وقيل حال من أصحاب اليمين وقيل من ضميرهم فى قوله تعالى ﴿يتساءلون﴾ وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم أن يسأل بعضهم بعضا على أن يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤلا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت فى الأصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما فى قولك تراءى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى ويقصد بها الدلالة على الأول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما فى قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون ﴿عن المجرمين﴾ يسألونهم عن أحوالهم وقد حذف المسؤل لكونه عين المسؤل عنه وقوله تعالى ﴿ماسلككم فى سقر﴾ مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون أى يسألونهم قائلين أى شئ أدخلكم فيها فتأمل ودع عنك ماتكلف فيه المتكلفون ﴿قالوا﴾ أى المجرمون مجيبين للسائلين ﴿لم نك من المصلين﴾ للصلوات الواجبة ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾ على معنى استمرار نفى الاطعام لاعلى نفى استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ أى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ أى بيوم الجزاء أضافوه الى الجزاء مع أن فيه من الدواهى والاهوال مالاغاية له لانه أدهاها وأهولها وأنهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهى وتأخير جنايتهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتفخيمها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين وليبان كون تكذيبهم بمقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم ﴿حتى أتانا اليقين﴾ أى الموت ومقدماته ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ لو شفعوا لهم جميعا والفاء فى قوله تعالى ﴿فمالهم عن التذكرة معرضين﴾ لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ماقبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به أى فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتآخذ الدواعى الى الايمان به وقوله تعالى ﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل أى مشبهين بحمر نافرة ﴿فرت من قسورة﴾ أى من أسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع مافيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما أفزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم مالا يخفى وقوله تعالى ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا

نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون ﴿كلا﴾ ردع لهم عن تلك الجراءة ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ﴿كلا﴾ ردع عن اعراضهم ﴿انه﴾ أى القرآن ﴿تذكرة﴾ وأى تذكرة ﴿فمن شاء﴾ أن يذكره ﴿ذكره﴾ وحاز بسببه سعادة الدارين ﴿وما يذكرون﴾ بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته فى أفعاله وقوله تعالى ﴿الا أن يشاء الله﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل أو من أعم الأحوال أى وما يذكرون بعلة من العلل أو فى حال من الأحوال الا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذلك وهو تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا ﴿هو أهل التقوى﴾ أى حقيق بأن يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع ﴿وأهل المغفرة﴾ حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة

سـورة القيامة

(مكية وآيها تسع وثلاثون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها فى قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وقيل هى للنفى لكن لا لنفى نفس الاقسام بل لنفى ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه باقسامى به حق اعظامه فانه حقيق بأكثر من ذلك وأكثر وأما ما قيل من أن المعنى نفى الاقسام لوضوح الأمر فقد عرفت ما فيه فى قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفى ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أى ليس الأمر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق وأيا ما كان فى الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة مالا مزيد عليه وقد مر تفصيله فى سورة يس وسورة الزخرف ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ أى بالنفس المتقية التى تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن فى التقوى ففيه طرف من البراعة التى فى القسم السابق أو بالنفس التى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الطاعات أو بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة وقيل بالجنس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت ليتنى كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب القسم مادل عليه قوله تعالى ﴿أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه﴾ وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف أى أيحسب أن الشأن لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها فى أقطار الأرض والقتها فى البحار وقيل ان عدى بن أبى ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان النبى عليه الصلاة والسلام يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام ﴿بلى﴾ أى نجمعها حال كوننا ﴿قادرين على أن نسوى بنانه﴾ أى

نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوى أصابعه التى هى أطرافه وآخر مايتم به خلقه وقرئ قادرون ﴿بل يريد الانسان ليفجر أمامه﴾ عطف على أيحسب اما على أنه استفهام مثله أضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا أو على أنه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام أى بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ أى متى يكون استبعادا أو استهزاء ﴿فاذا برق البصر﴾ أى تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهى لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق أى انفتح وانفرج ﴿وخسف القمر﴾ أى ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران فى النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف ﴿يقول الانسان يومئذ﴾ أى يوم اذ تقع هذه الامور ﴿أين المفر﴾ أى الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر أى موضع الفرار وقد جوز أن يكون هو أيضا مصدرا كالمرجع ﴿كلا﴾ ردع من طلب المفر وتمنيه ﴿لا وزر﴾ لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك ﴿الى ربك يومئذ المستقر﴾ أى اليه وحده استقرار العباد أو الى حكمه استقرار أمرهم أو الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ﴿ينبأ الانسان يومئذ﴾ أى يخبر كل امرئ برا كان أو فاجرا عند وزن الاعمال ﴿بما قدم﴾ أى عمل من عمل خيرا كان أو شرا فيثاب بالأول ويعاقب بالثانى ﴿وأخر﴾ أى لم يعمل خيرا كان أو شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى أو بما قدم من حسنة أو سيئة وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به فى حياته وبما أخر فخلفه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله وآخره ﴿بل الانسان على نفسه بصيرة﴾ أى حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتى من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة أو التاء للمبالغة ومعنى بل الترقى أى ينبأ الانسان بأعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لأن جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ أى ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن فى بصيرة أو من مرفوع ينبأ أى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة أو ينبأ بأعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر أى ولو أرخى ستوره . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحى نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن ينفلت منه فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحى ثم يقفيه بالدراسة الى أن يرسخ فيه فقيل ﴿لا تحرك به﴾ أى بالقرآن ﴿لسانك﴾ عند القاء الوحى ﴿لتعجل به﴾ أى لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك ﴿ان علينا جمعه﴾ فى صدرك بحيث لا يذهب عليك شئ من معانيه ﴿وقرآنه﴾ أى اثبات قراءته فى لسانك ﴿فاذا قرأناه﴾ أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التأنى ﴿فاتبع قرآنه﴾ فكن مقفيا له ولا تراسله ﴿ثم ان علينا بيانه﴾ أى بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه ﴿كلا﴾ ردع له عليه الصلاة والسلام عن عادة العجلة وترغيب له فى الأناة وأكد ذلك بقوله تعالى ﴿بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ على تعميم الخطاب للكل أى بل أنتم يا بنى آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون فى كل شئ ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير فى

الفعلين باعتبار معنى الجنس و يؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ أى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على أن وجوه مبتدأ وناضرة خبره و يومئذ منصوب بناضرة وناظرة فى قوله تعالى ﴿الى ربها ناظرة﴾ خبر ثان للمبتدا أو نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل لا على أن ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه أن يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها أنها تراه تعالى مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف و لا على جهة وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بأن الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لا يعدى بالى ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ شديدة العبوس وهى وجوه الكفرة ﴿تظن﴾ يتوقع أربابها ﴿أن يفعل بها فاقرة﴾ داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ﴿كلا﴾ ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة أى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم و بين العاجلة من العلاقة ﴿اذا بلغت التراقى﴾ أى بلغت النفس أعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ﴿وقيل من راق﴾ أى قال من حضر صاحبها من يرقيه و ينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقى ﴿وظن أنه الفراق﴾ وأيقن المحتضر أن ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها ﴿والتفت الساق بالساق﴾ والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه ﴿الى ربك يومئذ المساق﴾ أى الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره ﴿فلا صدق﴾ ما يجب تصديقه من الرسول عليه الصلاة والسلام والقرآن الذى نزل عليه أو فلا صدق ماله ولا زكاه ﴿ولا صلى﴾ ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى قوله تعالى أيحسب الانسان وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة كما مر ﴿ولكن كذب﴾ ما ذكر من الرسول والقرآن ﴿وتولى﴾ عن الطاعة ﴿ثم ذهب الى أهله يتمطى﴾ يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط أو من المطا وهو الظهر فانه يلويه ﴿أولى لك فأولى﴾ أى ويل لك وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل هو أفعل من الويل بعد القلب كأدنى من دون أو فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ﴿ثم أولى لك فأولى﴾ أى يتكرر عليه ذلك مرة بعد أخرى ﴿أيحسب الانسان أن يترك سدى﴾ أى يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل أن يترك فى قبره ولا يبعث وقوله تعالى ﴿ألم يك نطفة من منى يمنى﴾ الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ﴿ثم كان علقة﴾ أى بقدرة الله تعالى لقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة ﴿فخلق﴾ أى فقدر بأن جعلها مضغة مخلقة ﴿فسوى﴾ فعدل وكمل نشأته ﴿فجعل منه﴾ من الانسان ﴿الزوجين﴾ أى الصنفين ﴿الذكر والانثى﴾ بدل من الزوجين ﴿أليس ذلك﴾ العظيم الشأن الذى أنشأ هذا الانشاء البديع ﴿بقادر على أن يحيى الموتى﴾ وهو أهون من البدء فى قياس العقل . روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الانسان

(مكية وآيها احدى وثلاثون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿هل أتى﴾ استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل أتى ﴿على الانسان﴾ قبل زمان قريب ﴿حين من الدهر﴾ أى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد ﴿لم يكن شيأ مذكورا﴾ بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية أصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان أى غير مذكور أو صفة أخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف أى لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار فى قوله تعالى ﴿انا خلقنا الانسان من نطفة﴾ لزيادة التقرير أو آدم عليه السلام وهو المروى عن ابن عباس وقتادة والثورى وعكرمة والشعبى قال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه مرت به أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفى رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون الأول اشارة الى خلقه عليه الصلاة والسلام وهذا بيانا لخلق بنيه ﴿أمشاج﴾ أخلاط جمع مشج أو مشيج من مشجت الشىء اذا خلطته وصف النطفة به لما أن المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما أوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبى وقد روى هذا مرفوعا وقيل مفرد كأعشار وأكياش وقيل أمشاج ألوان وأطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى ﴿نبتليه﴾ حال من فاعل خلقنا أى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتى أو ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة الى آخره ﴿فجعلناه سميعا بصيرا﴾ ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى ﴿انا هديناه السبيل﴾ بانزال الآيات ونصب الدلائل ﴿اما شاكرا واما كفورا﴾ حالان من مفعول هدينا أى مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا واما للتفصيل أو التقسيم أى هديناه الى ما يوصل اليها فى حاليه جميعا أو مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل أى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا أو كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرىء أما بالفتح على حذف الجواب أى أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بأن الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط ﴿انا أعتدنا للكافرين﴾ من أفراد الانسان الذى هديناه السبيل ﴿سلاسل﴾ بها يقادون ﴿وأغلالا﴾ بها يقيدون ﴿وسعيرا﴾ بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما فى الذكر كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم الآية ولأن الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن فى وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقرىء سلاسلا

﴿رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ أى هنيئا واسعا وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال له وقيل اذا أرادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة و يستأذنون عليهم ﴿عاليهم ثياب سندس خضر﴾ قيل عاليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة أخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم أو حسبتهم أى يطوف عليهم و لدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ أو حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على أنه مبتدأ خبره ثياب أى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس ﴿و إستبرق﴾ بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثانى وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى أساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين و وصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ﴿ان هـذا﴾ على اضمار القول أى يقال لهم ان هـذا الذى ذكر من فنون الكرامات ﴿كان لكم جزاء﴾ بمقابلة أعمالكم الحسنة ﴿وكان سعيكم مشكورا﴾ مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب ﴿انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ أى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لاغيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ أى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه وأو للدلالة على أنهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلابد أن يكون النهى عن الاطاعة فى الاثم والكفر فيما ليس باثم و لا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ وداوم على ذكره فى جميع الاوقات أودم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل ينتظمهما ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص ﴿وسبحه ليلا طويلا﴾ وتهجد له قطعا من الليل طويلا ﴿ان هؤلاء﴾ الكفرة ﴿يحبون العاجلة﴾ و ينهمكون فى لذاتها الفانية ﴿ويذرون وراءهم﴾ أى أمامهم لايستعدون أو ينبذون وراء ظهورهم ﴿يوما ثقيلا﴾ لا يعبأون به و وصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شئ فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه ﴿نحن خلقناهم﴾ لاغيرنا ﴿وشددنا أسرهم﴾ أى أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب ﴿واذا شئنا بدلنا أمثالهم﴾ بعد اهلاكهم ﴿تبديلا﴾ بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ﴿ان هذه تذكرة﴾ اشارة الى السورة أو الآيات القريبة ﴿فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا﴾ أى فمن شاء أن يتخذ اليه تعالى سبيلا أى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه أى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقوله تعالى ﴿وما تشاؤن الا أن يشاء الله﴾ تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم

غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أى وما تشاؤن اتخاذ السبيل و لا تقدرون على تحصيله فى وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا فى الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ﴿ان الله عليما حكيما﴾ بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل أحد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى ﴿يدخل من يشاء فى رحمته﴾ بيان لأحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته أى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدى الى دخول الجنة من الايمان والطاعة ﴿والظالمين﴾ وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ماذكر ﴿أعد لهم عذابا اليما﴾ أى متناهيا فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ماقبله منصوب أى يدخل من يشاء فى رحمته و يعذب الظالمين و يكون أعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

سـورة والمرسلات

(مكية وآيها خمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا﴾ اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع فى الأقطار أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء ﴿عذرا﴾ للمحقين ﴿أو نذرا﴾ للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للاشعار بأن كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جئ بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق أو اقسام برياح عذاب أرسلهن فعصفن و برياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله تعالى و يجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص أو فرقن بين من يشكر الله تعالى و بين من يكفر به فألقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى فى الغيث و يشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها و ينسبونها الى الأنواء واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت أو اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى من مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فى أكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة أى أرسلنا للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا أو على العلية وقرئا بالتثقيل ﴿ان ما توعدون لواقع﴾ جواب للقسم أى ان الذى توعدونه من مجئ القيامة كائن لامحالة ﴿فاذا النجوم طمست﴾ محيت ومحقت أو ذهب

بنورها ﴿واذا السماء فرجت﴾ صدعت وفتحت فكانت أبوابا ﴿واذا الجبال نسفت﴾ جعلت كالحب الذى ينسف بالمنسف ونحوه و بست الجبال بسا وقيل أخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشىء اذا اختطفته وقرىء طمست وفرجت ونسفت مشددة ﴿واذا الرسل أقتت﴾ أى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذلا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وقرىء وقتت على الأصل و بالتخفيف فيهما ﴿لأى يوم أجلت﴾ مقدر بقول هو جواب لاذا فى قوله تعالى واذا الرسل أقتت أوحال من مرفوع أقتت أى يقال لأى يوم أخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى ﴿ليوم الفصل﴾ بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق ﴿وماأدراك مايوم الفصل﴾ مامبتدأ أدراك خبره أى أى شىء جعلك داريا ماهو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على أن ماخبر و يوم الفصل مبتدأ لابالعكس كما اختاره سيبويه لأن محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمرا بديعا هائلا لايقادر قدره و لايكتنه كنهه كما يفيده خبرية مالابيان كون أمر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أى فى ذلك اليوم الهائل و ويل فى الأصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه و يومئذ ظرفه أوصفته ﴿ألم نهلك الاولين﴾ كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرىء نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرىء ثم سنتبعهم وقرىء نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل الفظيع ﴿نفعل بالمجرمين﴾ أى سنتنا جارية على ذلك ﴿ويل يومئذ﴾ أى يوم اذ أهلكناهم ﴿للمكذبين﴾ بآيات الله تعالى وأنبيائه وليس فيه تكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا ﴿ألم نخلقكم﴾ أى ألم نقدركم ﴿من ماء مهين﴾ أى من نطفة قذرة مهينة ﴿فجعلناه فى قرار مكين﴾ هو الرحم ﴿الى قدر معلوم﴾ الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر ﴿فقدرنا﴾ أى فقدرناه وقد قرىء مشددا أوفقدرنا على ذلك على أن المراد بالقدرة مايقارن وجود المقدور بالفعل ﴿فنعم القادرون﴾ أى نحن ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بقدرتنا على ذلك أوعلى الاعادة ﴿ألم نجعل الارض كفاتا﴾ الكفات اسم مايكفت أى يضم و يجمع من كفت الشىء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم و يجمع أى ألم نجعلها كفاتا تكفت ﴿أحياء﴾ كثيرة على ظهرها ﴿وأمواتا﴾ غير محصورة فى بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير أحياء وأمواتا لأن أحياء الانس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف أى كفاتا تكفتكم أحياء وأمواتا ﴿وجعلنا فيها رواسى﴾ أى جبالا ثوابت ﴿شامخات﴾ طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن وأشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم أو للاشعار بأن فيها مالم يعرف ﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ بأن خلقنا فيها أنهارا ومنابع ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بأمثال هذه النعم العظيمة ﴿انطلقوا﴾ أى يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا ﴿الى ما كنتم به تكذبون﴾ فى الدنيا من العذاب ﴿انطلقوا﴾ خصوصا ﴿الى ظل﴾ أى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرىء انطلقوا على لفظ الماضى اخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا أو كرها ﴿ذى ثلاث شعب﴾ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق

ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق و يتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش قيل خصوصية الثلاث امالان حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لأن المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة فى الدماغ والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التى عن يساره و لذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ﴿لاظليل﴾ تهكم بهم أو ردلما أوهمه لفظ الظل ﴿ولا يغنى من اللهب﴾ أى غير مغن لهم من حر اللهب شيأ ﴿انها ترمى بشرر كالقصر﴾ أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرىء كالقصر بفتحتين وهى أعناق الابل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرىء كالقصر بمعنى القصور كرهن و رهن وقرىء كالقصر جمع قصرة ﴿كأنه جمالة﴾ قيل هو جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة ﴿صفر﴾ فان الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لأن سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرىء جمالات جمع جمال أو جمالة وقرىء جمالات جمع جمالة وقد قرىء بها وهى الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه فى امتداده والتفافه ﴿ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لاينطقون﴾ اشارة الى وقت دخولهم النار أى هذا يوم لاينطقون فيه بشىء لما أن السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشىء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرىء بنصب اليوم أى هذا الذى فصل واقع يوم لاينطقون ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ عطف على يؤذن منتظم فى سلك النفى أى لايكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لونصب ﴿ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل﴾ بين الحق والباطل والمحق والمبطل ﴿جمعناكم﴾ خطاب لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿والأولين﴾ من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل ﴿فان كان لكم كيد فكيدون﴾ فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ حيث ظهر أن لاحيلة لهم فى الخلاص من العذاب ﴿ان المتقين﴾ من الكفر والتكذيب ﴿فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون﴾ أى مستقرون فى فنون الترفه وأنواع التنعم ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون﴾ مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر أى مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه فى الدنيا من الأعمال الصالحة ﴿انا كذلك﴾ الجزاء العظيم ﴿نجزى المحسنين﴾ أى فى عقائدهم وأعمالهم لاجزاء أدنى منه ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا فى العذاب المخلد الوبيل ﴿كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون﴾ مقدر بقول هو حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا و بما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على أن كل مجرم ما آله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون فى الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ لزيادة التوبيخ والتقريع ﴿واذا قيل لهم اركعوا﴾ أى أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة ﴿لايركعون﴾ لايخشعون ولايقبلون ذلك و يصرون على ماهم عليه من الاستكبار وقيل اذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لايفعلون اذروى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لانجبى فانها مسبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام لاخير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلايستطيعون ﴿ويل يومئذ

للمكذبين﴾ وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة ﴿فبأى حديث بعده﴾ أى بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة و براهين ساطعة ﴿يؤمنون﴾ اذالم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

سورة النبأ

(مكية وآيها أربعون أو احدى وأربعون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿عم﴾ أصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقد قرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة أى عن أى شئ عظيم الشأن ﴿يتساءلون﴾ أى أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم و يخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من أحواله و وصف من أوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات أسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم أى يدعونهم وتحقيقه أن صيغة التفاعل فى الأفعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد و وقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته و يحال بمفعوليته على دلالة العقل كما فى قولك ترائى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما فى المثال المذكور أو واحد كما فى قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أى شئ يسأل هؤلاء القوم الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين و ربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما فى قوله تعالى فبأى آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى ﴿عن النبأ العظيم﴾ بيان لشأن المسؤل عنه اثر تفخيمه بابهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على أنه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بأن يعتنى بمعرفته و يسأل عنه كأنه قيل عن أى شئ يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هى متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وأيد ذلك بأنه قرئ عمه والأظهر أنه مبنى على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كأنه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام مضمر كأنه قيل عم يتساءلون أعن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذى له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى ﴿الذى هم فيه مختلفون﴾ بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به و رعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت

ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ماندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسمانى فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف فى كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفى والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقى المسلمين والكافرين على أن سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى ﴿كلا سيعلمون﴾ الخ فانه صريح فى أن المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغى تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا ما أدى اليه جليل النظر والذى يقتضيه التحقيق و يستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبى عليه الصلاة والسلام بأن يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر فى التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجرى فى كل منهما ما يجرى فى الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه الصلاة والسلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه و وقوع ما يختلفون فيه كما فى قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذى يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهى والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ﴿ثم كلا سيعلمون﴾ تكرير للردع والوعيد للمبالغة فى التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثانى أبلغ وأشد وقيل الاول عند النزع والثانى فى القيامة وقيل الاول للبعث والثانى للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبى عليه الصلاة والسلام كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة فى الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال أوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد ﴿وخلقناكم﴾ عطف على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة أما جعلنا الخ أو على ما يقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة أن يقال قد جعلنا الخ ﴿أزواجا﴾ أصنافا ذكرا وأنثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر و ينتظم أمر المعاشرة والمعاش و يتسنى التناسل ﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾ أى موتا لانه أحد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة فى انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه ﴿وجعلنا الليل﴾ للذى فيه يقع النوم غالبا ﴿لباسا﴾ يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد بهما يستتر به عند

النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به أكمل واعتباره فى تحقيق المقصد أدخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة فى قوله تعالى ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ أى وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو أخو الموت كما فى قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن أراد هربا من عدو أو بياتا له أو نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب فى تحصيل المعايش والحوائج ﴿وبنينا فوقكم سبعا شدادا﴾ أى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن ﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾ هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا أنه مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الآية الكريمة وللتشريعى أيضا كما فى قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وأياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشىء آخر بان يكون فيه أوله أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لأن يتوسط بينهما شىء من الظروف لغوا كان أو مستقرا لكن لا على أن يكون عمدة فى الكلام بل قيدا فيه كما فى قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسى وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأياما كان فهو قيد فى الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما فى قوله تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن أنه عمدة فيه وهو فى الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلألئ من وهجت النار اذا أضاءت أو البالغ فى الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء ﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ هى السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كما فى أحصد الزرع اذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض او الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب وقرىء بالمعصرات ووجه ذلك أن الانزال حيث كان من المعصرات سواء أريد بها السحائب أو الرياح فقد كان بها كما يقال أعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه أن الرياح هى التى تنشىء السحاب وتدر أخلافه فصلحت أن تجعل مبدأ للانزال ﴿ماء ثجاجا﴾ أى منصبا بكثرة يقال ثج الماء أى سال بكثرة وثجه أى أساله ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرىء ثجاجا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه ﴿لنخرج به﴾ بذلك الماء ﴿حبا﴾ يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما ﴿ونباتا﴾ يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات فى الاخراج لأصالته وشرفه لأن غالبه غذاء الانسان ﴿وجنات﴾ الجنة فى الاصل هى المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير بن أبى سلمى

كأن عينى فى غربى مقتلة … من النواضح تسقى جنة سحقا

وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى ﴿ألفافا﴾ أى ملتفة تداخل بعضها فى بعض قالوا لا واحد له كالأوزاع والأخياف وقيل الواحد لف ككن وأكنان أو لفيف كشريف وأشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد وأعلم أن

فيما ذكر من أفعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الأول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة أقدر وأقوى الثانى باعتبار علمه وحكمته فان من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الأرض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الأفعال الآفاقية والأنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى ﴿ان يوم الفصل كان ميقاتا﴾ شروع فى بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا أى ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان فى علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الأولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب فى أنهما بمعزل من التقريب الذى أشير اليه على أن الدنيا تنتهى عند النفخة الاولى وقوله تعالى ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ أى نفخة ثانية بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير فى تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع فى مبدئه النفخة وفى بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها فى الحياة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء فى قوله تعالى ﴿فتأتون﴾ فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلا ﴿أفواجا﴾ أى أمما كل أمة مع امامها كما فى قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم أو زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها . عن معاذ رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الامور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء الذين خالفت أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى فى أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء ﴿وفتحت السماء﴾

عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت بالتشديد وهو الأنسب بقوله تعالى ﴿فكانت أبوابا﴾ أى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كأنها ليست الا أبوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أى أمره وبأسه فى ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك أى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ ﴿وسيرت الجبال﴾ أى فى الجو على هيآتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب أى تراها رأى العين ساكنة فى أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب الذى يسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الأجرام العظام اذا تحركت نحوا من الأنحاء لا تكاد يتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لاسيما من بعيد وعليه قول من قال

بارعن مثل الطود تحسب أنهم   وقوف لحاج والركاب تهملج

وقد أدمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهواء وذلك قوله تعالى ﴿فكانت سرابا﴾ أى فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا أى غبارا منتشرا وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الأرض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية ﴿ان جهنم كانت مرصادا﴾ شروع فى تفصيل أحكام الفصل الذى أضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غنى عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار الذى هو اسم للمكان الذى يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه أى انها كانت فى حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها ﴿للطاغين﴾ متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا أى كائنا للطاغين وقوله تعالى ﴿مآبا﴾ بدل منه أى مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز أن يتعلق بنفس مآبا على أنها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا لطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لأهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهى مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى أنها مجدة فى ترصد الكفار لئلا يشذ منهم أحد وقرئ أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بأنها مرصاد للطاغين ﴿لابثين فيها﴾ حال مقدرة من المستكن فى للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى ﴿أحقابا﴾ ظرف للبثهم أى دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لايكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهى تلك الاحقاب ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى ﴿لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الا حميما وغساقا﴾ جملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم لايذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما مايسيل من صديدهم ﴿جزاء﴾ أى جوزوا

بذلك جزاء ﴿وفاقا﴾ ذا وفاق لأعمالهم أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على أنه فعال من وفقه كذا أى لاقه ﴿انهم كانوا لايرجون حسابا﴾ تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أى كانوا لايخافون أن يحاسبوا بأعمالهم ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ الناطقة بذلك ﴿كذابا﴾ أى تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصى وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب قال

فصدقتها وكذبتها   والمرء ينفعه كذابه

وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا أى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه ﴿وكل شئ﴾ من الاشياء التى من جملتها أعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره ﴿أحصيناه﴾ أى حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿كتابا﴾ مصدر مؤكد لأحصيناه لما أن الاحصاء والكتبة من واد واحد أو لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا فى اللوح أو فى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى ﴿فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفى الالتفات المنبئ عن التشديد فى التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل مالايدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب مالايخفى وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار ﴿ان للمتقين مفازا﴾ شروع فى بيان محاسن أحوال المؤمنين اثر بيان سوء أحوال الكفرة أى ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى ﴿حدائق وأعنابا﴾ أى بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا ﴿وكواعب﴾ أى نساء فلكت ثديهن وهن النواهد ﴿أترابا﴾ أى لدات ﴿وكأسا دهاقا﴾ أى مترعة يقال أدهق الحوض أى ملأه ﴿لايسمعون فيها﴾ أى فى الجنة وقيل فى الكأس ﴿لغوا ولا كذابا﴾ أى لاينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف أى لا يكذبه أو لا يكاذبه ﴿جزاء من ربك﴾ مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيأ فشيأ مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم ﴿عطاء﴾ أى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاء ﴿حسابا﴾ صفة لعطاء بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو بولغ فيه من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب أعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على أنه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك ﴿رب السموات والارض ومابينهما﴾ بدل من ربك وقوله تعالى ﴿الرحمن﴾ صفة له وقيل صفة للاول وأيا ما كان فى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى ﴿لايملكون منه خطابا﴾ استئناف مقرر لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لأحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على أنهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثانى نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثانى خبره ولا يملكون خبر آخر أو هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لايملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على رأى من يقول به والأوجه أن يكون كلاهما مرفوعا على المدح أو يكون الثانى نعتا للاول ولا يملكون استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء

والعطاء كما فى البدلية لما أن المرفوع أو المنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرىء بجر الاول على البدلية و رفع الثانى على الابتداء والخبر مابعده أو على أنه خبر لمبتدا مضمر ومابعده استئناف أوخبر ثان أوحال وضمير لايملكون لاهل السموات والارض أى لايملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبىء عنه لفظ الملك خطابا ما فى شىء ما والمراد نفى قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشىء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير اذنه على أبلغ وجه و آكدة وقيل ليس فى أيديهم مما يخاطب الله به و يأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ قيل الروح خلق أعظم من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ماخلق الله عز وجل بعد العرش خلقا أعظم منه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبى صالح ومجاهد قالواماينزل من السماء ملك الاومعه واحد منهم نقلة البغوى وقيل هم أشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال أى مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا و يوم ظرف لقوله تعالى ﴿لايتكلمون﴾ وقوله تعالى ﴿الا من أذن له الرحمن وقال صوابا﴾ بدل من ضمير لايتكلمون العائد الى أهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه و كبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لايملكون الخ ومؤكد له على معنى أن أهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشىء من جنس الكلام الا من أذن الله تعالى له منهم فى التكلم و قال ذلك المأذون له قولا صوابا أى حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراما لا على معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه أن يكون يوم ظرفا للا يملكون فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقيل الا من أذن الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لايتكلمون الا فى حق شخص أذن له الرحمن و قال ذلك الشخص صوابا أى حقا هو التوحيد واظهار الرحمن فى موضع الاضمار للايذان بأن مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا أن أحدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ﴿ذلك﴾ اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته و بعد منزلته فى الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره مابعده أى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال ﴿اليوم الحق﴾ أى الثابت المتحقق لامحالة من غير صارف يلويه و لا عاطف يثنيه والفاء فى قوله تعالى ﴿فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا﴾ فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا و كون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة فى تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به و رعاية للفواصل كأنه قيل واذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لامحالة فمن شاء أن يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة و قال قتادة مآبا أى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر فى قوله تعالى من

استطاع اليه سبيلا ﴿انا أنذرناكم﴾ أى بما ذكر فى السورة من الآيات الناطقة بالبعث و بما بعده من الدواهى أو بها و بسائر القوارع الواردة فى القرآن ﴿عذابا قريبا﴾ هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما و لأنه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لأنه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر و يأباه قوله تعالى ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ فانه اما بدل من عذابا أو ظرف لمضمر هو صفة له أى عذابا كائنا يوم ينظر المرء أى يشاهد ماقدمه من خير أو شر على أن ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف أو ينظر أى شىء قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما فى قوله تعالى ﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم و ولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشىء الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والحمد لله وحده

سورة والنازعات

(مكية وآيها خمس أو ست وأربعون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا﴾ اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الأرواح من الأجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد أو أرواح الكفرة كما قاله على رضى الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق و ينشطونها أى يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها و يسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج من البحر مايخرج فيسبقون بأرواح الكفرة الى النار و بأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لادراك ما أعدلها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى كما فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتائب فى المزدحم

للاشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمات الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الأوصاف الأخر اليه والفاء فى الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ماقبلهما بغير مهلة كما فى قوله

يالهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآئب

وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد أى اغراقا فى النزع حيث تنزعها من أقاصى الاجساد قال ابن مسعود رضى الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافير وأصول القدمين ثم تغرقها فى جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها فى جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه فى وقت النزع كأنها تغرق وانتصاب نشطاً وسبحاً وسبقا أيضا على المصدرية وأما أمرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم و يجوز أن يراد بالسابحات ومابعدها طوائف من الملائكة يسبحون فى مضيهم أى يسرعون فيه فيسبقون الى ما أمروا به من الأمور الدنيوية والأخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ماقبله من المقسم به اليه ودلالة مابعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان

الاقسام بمن يتولى نزع الأرواح و يقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لامحالة وفيه من الجزالة مالايخفى وقد جوز أن يكون اقساما بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بأن تقطع الفلك حتى تنحط فى أقصى الغرب وتنشط من برج الى برج أى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح فى الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر أمرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط أو بأنفس الغزاة أو أيديهم التى تنزع القسى باغراق السهام و ينشطون بالسهم للرمى و يسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون أمرها أو بخيلهم التى تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح فى جريها لتسبق الى الغايه فتدبر أمر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه هذا والذى يليق بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التى ترجف عندها الأجرام الساكنة أى تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالأرض والجبال وهى النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى ﴿تتبعها الرادفة﴾ أى الواقعة التى تردف الاولى وهى النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث أى لتبعثن يوم النفخة الأولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذى يقع فيه النفختان و بينهما أربعون سنة واعتبار امتداده مع أن البعث لايكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الأولى حى الامات و لا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ أى يوم ترجف وجفت القلوب قيل قلوب مبتدأ و يومئذ متعلق بواجفة وهى صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى ﴿أبصارها﴾ أى أبصار أصحابها ﴿خاشعة﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لقلوب وقد مر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لأبصار أصحابها سواء فى المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثانى مخبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على أن الوجيف الذى هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول فجعل أهون الشرين عمدة وأشدهما فضلة مما لا عهد له فى الكلام وأيضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب فى موقع التهويل فالوجه أن يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما فى شر أهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضا كأنه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة أى شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضى الله عنهما خائفة وجلة وقال السدى زائلة عن أماكنها كما فى قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى ﴿يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة﴾ حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار أي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا فى الحافرة أي فى الحالة

الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان فى حافرته أى فى طريقته التى جاء فيها فحفرها أى أثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة كقوله تعالى فى عيشة راضية أى منسوبة الى الحفر والرضا أو كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة وهى بمعنى المحفورة وقوله تعالى ﴿أئذا كنا عظاما نخرة﴾ تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون أى أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شئ من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر أو اسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالى الأجوف الذى يمر به الريح فيسمع له نخير ﴿قالوا﴾ حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم فى كافة أوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما أنكروه من الردة فى الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع ﴿تلك اذاً كرة خاسرة﴾ أى ذات خسران أو خاسرة أصحابها أى ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى ﴿فانما هى زجرة واحدة﴾ تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التى عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لاتستصعبوها فانما هى صيحة واحدة أى حاصلة بصيحة واحدة وهى النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كأنها عينها وقيل هى راجع الى الرادفة فقوله تعالى ﴿فاذا هم بالساهرة﴾ حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة أى فاذا هم أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة وقيل لان سالكها لاينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هى وجه الارض وقيل هى أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هى أرض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هى اسم الارض السابعة يأتى بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أتاك ان اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام فى استماع حديثه كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص حمله عليه الصلاة والسلام على أن يقر بامر يعرفه قبل ذلك كأنه قيل أليس قد أتاك حديثه وقوله تعالى ﴿اذ ناداه ربه بالواد المقدس﴾ ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما ﴿طوى﴾ بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أى ناداه نداءين أو المقدس مرة بعد أخرى ﴿اذهب الى فرعون﴾ على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء أى ناداه اذهب وقيل هو على حذف أن المفسرة و يدل عليه قراءة عبد الله أن أذهب لان فى النداء معنى القول ﴿انه طغى﴾ تعليل للامر أو لوجوب الامتثال به ﴿فقل﴾ بعد ما أتيته ﴿هل لك﴾ رغبة وتوجه ﴿الى أن تزكى﴾ بحذف احدى التاءين من تتزكى أى تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد ﴿وأهديك الى ربك﴾ وأرشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه ﴿فتخشى﴾ اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله من عباده

العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشى الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر أمر
عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول و يستنزله بالمداراة من
عتوه وهـذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى والفاء فى قوله تعالى ﴿فأراه الآية
الكبرى﴾ فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه عليه الصلاة والسلام ماأراه
اياها عقيب هذا الامر بل بعد ماجرى بينه و بين الله تعالى ماجرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات و بعد
ماجرى بينه و بين فرعون ماجرى من المحاورات الى أن قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين والاراءة
اما بمعنى التبصير أو التعريف فان اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان ارائة منه واظهارا للتجلد ونسبتها
اليه عليه الصلاة والسلام بالنظر الى الظاهر كما أن نسبتها الى نون العظمة فى قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر الى
الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فانها كانت المقدمة والاصل والأخرى
كالتبع لها أوهما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قال اذهب أنت وأخوك
بآياتى باعتبار مافى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله فى سورة طه ولامساغ
لحملها على مجموع معجزاته فان ماعدا هاتين الآيتين من الآيات التسع انما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ماغلب
السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى سورة الاعراف ولا ريب فى أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترقب
بعد ﴿فكذب﴾ بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا ﴿وعصى﴾ الله عز وجل بالتمرد بعد ماعلم صحة الامر
و وجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مأمورين
بعبادته عز وجل وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية و يقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بنى اسرائيل من الأسر والقسر
فقط ﴿ثم أدبر﴾ أى تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس ﴿يسعى﴾ أى يجتهد فى معارضة الآية أو أريد ثم
أقبل أى أنشأ يسعى فوضع موضعه أدبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل أدبر هاربا من الثعبان فانه روى أنه عليه
الصلاة والسلام لما ألقى العصا انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
والأعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من
قومه وقيل انها حين انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى
بما شئت و يقول فرعون أنشدك بالذى أرسلك الا أخذته فأخذه فعاد عصا و يأباه أن ذلك كان قبل الاصرار على
التكذيب والعصيان والتصدى للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿فحشر﴾ أى فجمع السحرة لقوله فأرسل فرعون
فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أى مايكاد به من السحرة و آلاتهم وقيل جنوده و يجوز أن
يراد جميع الناس ﴿فنادى﴾ فى المجمع بنفسه أو بواسطة المنادى ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ قيل قام فيهم خطيبا
فقال تلك العظيمة ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والاولى﴾ النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب
الذى ينكل من رآه أو سمعه و يمنعه من تعاطى مايفضى اليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله
كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق فى الآخرة والاغراق فى الدنيا وقيل مصدر لأخذ أى
أخذه الله أخذ نكال الآخرة الخ وقيل مفعول له أى أخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض أى أخذه
بنكال الآخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن مافيه من معنى المنع يكون
فيهما فان ذلك لا يتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما يؤدى اليها

لامحالة وقيل المراد بالآخرة والاولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ماعلمت لكم من اله غيرى قيل كان بين الكلمتين
أربعون سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به
﴿لعبرة﴾ عظيمة ﴿لمن يخشى﴾ أى لمن من شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى ﴿أأنتم أشد
خلقا﴾ خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد مابين كمال سهولته
بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة أى أخلقكم بعد موتكم أشد أى أشق وأصعب فى تقديركم
﴿أم السماء﴾ أى أم خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التى تحار العقول عن ملاحظة أدناها
كقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر
على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى ﴿بناها﴾ الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفى عدم ذكر
الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل مالا يخفى وقوله تعالى ﴿رفع
سمكها﴾ بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام
﴿فسواها﴾ فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير
وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان اذا أصلحه ﴿وأغطش ليلها﴾ أى جعله مظلما يقال
غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر هذا فى قوله تعالى واذا أظلم عليهم قاموا و يقال أيضا أغطش
الليل كما يقال أظلم ﴿وأخرج ضحاها﴾ أى أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق
بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان افاضة النور
بعد الظلمة أتم فى الانعام وأكمل فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها و يجوز
أن تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس أى أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال
اشراقها ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ أى بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم فى أقطارها وانتصاب الأرض بمضمر
يفسره دحاها ﴿أخرج منها ماءها﴾ بأن فجر منها عيونا وأجرى أنهارا ﴿ومرعاها﴾ أى رعيها وهو فى الاصل موضع
الرعى وقيل هو مصدر ميمى بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لأنها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان
السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب حتما وأما لانها حال من فاعله
باضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والاخفش كما فى قوله تعالى أو جاؤكم حصرت صدورهم ﴿والجبال﴾
منصوب بمضمر يفسره ﴿أرساها﴾ أى أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسو
المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل
ولولاه لما ثبتت فى أنفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والأرض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم
اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بأمر المأكل
والمشرب مع مافيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى الى الجبال وهـذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر
دحو الأرض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض فى موضع بيت المقدس
كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض
وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر فى سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق
الارض فى يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان الآية ان حمل مافيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال

الثلاثة على معانيها الظاهرة لاعلى تقديرها فهو ومافى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض ومافيها على خلق السماء ومافيها وعليه اطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى أحدث فى الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات و روى أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد و يوم الاثنين ودحاها وخلق مافيها يوم الثلاثاء و يوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس و يوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك اشارة الى ذكر ماذكر من بناء السماء و رفع سمكها وتسويتها وغيرها لاالى أنفسها و يحمل بعدية الدحو عنها على البعدية فى الذكر كما هو المعهود فى ألسنة العرب والعجم لافى الوجود لما عرفت من أن انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتتعين البعدية فى الوجود وفائدة تأخيره فى الذكر اما التنبيه على أنه قاصر فى الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بأنه أدخل فى الالزام لما أن المنافع المنوطة بما فى الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر واحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ماروى عن الحسن نصافى تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التى هى بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ماذكر فى آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما فى سورة البقرة على التراخى فى الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام فى السورة المذكورة وقوله تعالى ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ اما مفعول له أى فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى أنعامهم فان المراد بالمرعى مايعم ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أى متعكم بذلك متاعا أو مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها فى معنى متع بذلك وقوله تعالى ﴿فاذا جاءت الطامة الكبرى﴾ أى الداهية العظمى التى تطم على سائر الطامات أى تعلوها وتغلبها وهى القيامة أو النفخة الثانية وقيل هى الساعة التى يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التى يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار شروع فى بيان أحوال المعادهم اثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ منه لفظ المتاع ﴿يوم يتذكر الانسان ما سعى﴾ قيل هو بدل من اذا جاءت والأظهر أنه منصوب بأعنى كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب و يجوز أن يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على رأى الكوفيين أى يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدونا فى صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية ﴿وبرزت الجحيم﴾ عطف على جاءت أى أظهرت اظهارا بينا لا يخفى على أحد ﴿لمن يرى﴾ كائنا من كان يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذى بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كما فى قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد وعلى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لمن تراه من الكفار وقوله تعالى ﴿فأما من طغى﴾ الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى

فاما يأتينكم منى هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فأما من الخ والذى تستدعيه فخامة التنزيل و يقتضيه مقام التهويل أن الجواب المحذوف كان من عظائم الشئون مالم تشاهده العيون كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل أى فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان ﴿وآثر الحيوة الدنيا﴾ الفانية التى هى على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الأخروية الأبدية بالايمان والطاعة ﴿فان الجحيم﴾ التى ذكر شأنها ﴿هى المأوى﴾ أى هى مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف ودخول اللام فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهى اما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية فى النضر وأبيه الحرث المشهورين بالغلو فى الكفر والطغيان ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ أى مقامه بين يدى مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا و زهرتها ولم يغتر بزخارفها و زينتها علما منه بوخامة عاقبتها ﴿فان الجنة هى المأوى﴾ له لاغيرها وقيل نزلت الآيتان فى أبى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد و وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت وأخرت فيكون قوله تعالى و برزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أو حالا من الانسان باضمار قد أو بدونه على اختلاف الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فأما من طغى الخ تفصيلا لحال الانسان الذى يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب أعماله الى القسمين المذكورين ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ متى ارساؤها أى اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى و يثبتها و يكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة حيث تنتهى اليه وتستقر فيه وقوله تعالى ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ انكار و رد لسؤال المشركين عنها أى فى أى شئ أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها أى ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ لأن ذلك فرع علمك به وأنى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لايزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال أى فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل أنت من ذكراه أى ارسالك وأنت خاتم الانبياء المبعوث فى نسيم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى ﴿الى ربك منتهاها﴾ على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها أى علمها بكنهها وتفاصيل أمرها و وقت وقوعها لاالى أحد غيره وانما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الأول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لأحد منه شئ ما كائنا من كان فلأى شئ يسألونك عنها وقوله تعالى ﴿انما أنت منذر من يخشاها﴾ على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم أنت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه و بيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الشأن فان انكار كونه عليه الصلاة والسلام فى شئ من ذكراها مما يوهم بظاهره أن ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه فأزيح ذلك ببيان أن المنفى عنه عليه الصلاة والسلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام عنها فالمعنى انما أنت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل مافيها من فنون الاهوال كما تحيط بهخبرا لاتعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فمالهم يسألونك عما

ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثانى هو تقرير لقوله تعالى أنت من ذكراها ببيان أن ارساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجئ الساعة كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام بعثت أنا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقنى وقرئ منذر بالتنوين وهو الأصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضى تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها﴾ اما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجئ المنذر به لا سيما على الوجه الثانى أى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد أو ضحاه فلما ترك اليوم أضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما أدمجوه فى سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية أو ضحاها واعتبار كون اللبث فى الدنيا أو فى القبور لا يقتضيه المقام وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار أو بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم والجملة على الأول حال من الموصول فانه على تقديرى الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما أن قوله تعالى كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول فى يحشرهم أى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث فى الدنيا الا ساعة خلا أن الشبه هناك فى الأحوال الظاهرة من الزى والهيئة وفيما نحن فيه فى الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثانى مستأنفة لا محل لها من الاعراب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله عز وجل فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله أعلم

سورة عبس

(مكية وآيها إحدى وأربعون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ روى أن ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن أبى ربيعة الفهرى وأم مكتوم اسم أم أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف الرأيين أى لأن جاءه الأعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره فى الاقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن الالتفات فى قوله تعالى ﴿وما يدريك﴾ لذلك فان المشافهة أدخل فى تشديد العتاب أى وأى شئ يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى ﴿لعله يزكى﴾ استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بأن له شأنا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بأنه تعالى يدريه ذلك أى لعله يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الأوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى واردة على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه عليه

الصلاة والسلام للتنبيه على أن الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكى مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما فى قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلا وقوله تعالى ﴿أو يذكر﴾ عطف على يزكى داخل معه فى حكم الترجى وقوله تعالى ﴿فتنفعه الذكرى﴾ بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر أى أو يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكى التام وقيل الضمير فى لعله للكافر فالمعنى انك طمعت فى أن يتزكى أو يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الأعمى وما يدريك أن ذلك مرجو الوقوع ﴿أما من استغنى﴾ أى عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن ﴿فأنت له تصدى﴾ أى تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه الصلاة والسلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكبار وقرئ تصدى بادغام التاء فى الصاد وقرئ تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك الى التصدى له داع من الحرص والتهالك على اسلامه ﴿وما عليك أن لا يزكى﴾ وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عمن أسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار أى أى شئ عليك فى أن لا يتزكى وما له النفى أيضا ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ أى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير ﴿وهو يخشى﴾ أى الله تعالى وقيل يخشى أذية الكفار فى اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أنه حال من فاعل جاءك ﴿فأنت عنه تلهى﴾ تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرئ تتلهى وتلهى أى يلهيك شأن الصناديد وفى تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه على أن مناط الانكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام أى مثلك خصوصا لا ينبغى أن يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه الصلاة والسلام بمضمونهما . روى أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى ﴿كلا﴾ ردع له عليه الصلاة والسلام عما عوتب عليه من التصدى لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا فى الاهتمام بأمره متهالكا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى ﴿انها تذكرة﴾ أى موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذى استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له وتحقيق أن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى ﴿فمن شاء ذكره﴾ أى حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغنى فلا حاجة الى الاهتمام بأمره فالضميران للقرآن وتأنيث الأول لتأنيث خبره وقيل الأول للسورة أو للآيات السابقة والثانى للتذكرة والتذكير لانها فى معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الأدب وخبط خبطا يقضى منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى ﴿فى صحف﴾ متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جئ به للترغيب فيها والحث على حفظها أى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لان ﴿مكرمة﴾ عند الله عز وجل ﴿مرفوعة﴾ أى فى السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر ﴿مطهرة﴾ منزهة عن مساس أيدى الشياطين ﴿بأيدى سفرة﴾ أى كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدى رسل من الملائكة يسفرون بالوحى بينه تعالى وبين الأنبياء على أنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الأنبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقى

من الوحى لا الكتب منه وإرشاد الأمة بالأمر والنهى وتعليم الشرائع والأحكام لا لمجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الأسفار أو على أصحابه عليه الصلاة والسلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون أضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بما فى قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة ﴿كرام﴾ عند الله عز وجل أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم و يستغفرون لهم ﴿بررة﴾ اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أى يطيعه وقيل صادقين من بر فى يمينه ﴿قتل الانسان﴾ دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى ﴿ما أكفره﴾ تعجب من افراطه فى الكفران و بيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به اما من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولأمثاله من أفراده لا باعتبار جميع أفراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى ﴿من أى شىء خلقه﴾ شروع فى بيان افراطه فى الكفران بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفى الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى ﴿من نطفة خلقه﴾ تحقير له أى من أى شىء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه ﴿فقدره﴾ فهيأه لما يصلح له و يليق به من الاعضاء والأشكال أو فقدره أطوارا الى أن تم خلقه وقوله تعالى ﴿ثم السبيل يسره﴾ منصوب بمضمر يفسره الظاهر أى ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وألهمه أن يتنكس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ﴿ثم أماته فأقبره﴾ أى جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه وأقبره اذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الاماتة من النعم لأنها وصلة فى الجملة الى الحياة الأبدية والنعيم المقيم ﴿ثم اذا شاء أنشره﴾ أى اذا شاء انشاره أنشره على القاعدة المستمرة فى حذف مفعول المشيئة وفى تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرىء نشره ﴿كلا﴾ ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى ﴿لما يقض ما أمره﴾ بيان لسبب الردع أى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره اذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة و لا ريب فى أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراده كيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام شيبتنى سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء على عموم النفى لا على نفى العموم اما على أن المحكوم عليه هو المستغنى أو هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند الى الكل كما فى قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع فى اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحد أصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده أى حقا لم يعمل بما أمره به ﴿فلينظر الانسان الى طعامه﴾ شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أى فلينظر الى طعامه الذى عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى ﴿أنا صببنا الماء صبا﴾ أى الغيث بدل اشتمال من طعامه لأن الماء

سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرىء انا على الاستئناف وقرىء أنى بالامالة أى كيف صببنا الى آخره أى صببناه صبا عجيبا ﴿ثم شققنا الأرض﴾ أى بالنبات ﴿شقا﴾ بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء فى قوله تعالى ﴿فأنبتنا فيها حبا﴾ فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه و بين الامطار أصلا و لا بينه و بين انبات الحب بلا مهلة وانما الترتيب بين الأمطار و بين الشق بالنبات على التراخى المعهود و بين الشق المذكور وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الأرض الى أن يتكامل النمو و ينعقد الحب فان انشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد و يتسع الى تلك المرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبىء عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه فى حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى ﴿وعنبا﴾ عطف على حبا وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو انبات العنب عن شق الأرض ﴿وقضبا﴾ أى رطبة سميت بمصدر قضبه أى قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع ﴿وزيتونا ونخلا﴾ الكلام فيهما و فى أمثالهما كما فى العنب ﴿وحدائق غلبا﴾ أى عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها و كثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب ﴿وفاكهة وأبا﴾ أى مرعى من أبه اذا أمه أى قصده لأنه يؤم و ينتجع أو من أب لكذا اذا تهيأ له لأنه متهيء للرعى أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ اما مفعول له أى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم و بعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد أى متعكم بذلك متاعا أو لفعل مترتب عليه أى متعكم بذلك فتمتعتم متاعا أى تمتعا كما مر غير مرة أو مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الأفعال الثلاثة فى معنى التمتيع ﴿فاذا جاءت الصاخة﴾ شروع فى بيان أحوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصخ لها الخلائق أى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا أصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصيخون لها وقيل هى الصيحة التى تصخ الآذان أى تصمها لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صخه بالحجر أى صكه وقوله تعالى ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه﴾ اما منصوب بأعنى تفسيرا للصاخة أو بدل منها مبنى على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأى الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر فى قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى يعرض عنهم و لا يصاحبهم و لا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه وأما تعليل ذلك بعلمه بأنهم لا يغنون عنه شيئا أو بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار أى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به وأما الفرار حذرا من مطالبتهم أو بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه يفر قابيل من أخيه هابيل و يفر النبى عليه الصلاة والسلام من أمه و يفر ابراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار و كذا ما يروى أن الرجل يفر من أصحابه

وأقر بأنه لئلا يروه على ماهو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أى يهمه من عناه الأمر اذا أهمه أى أوقعه فى الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ بيان لمآل أمر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والأشقياء بعدذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره و يومئذ متعلق به أى مضيئة متهللة من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن ذلك من قيام الليل و فى الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ أى غبار وكدورة ﴿ترهقها﴾ أى تعلوها وتغشاها ﴿قترة﴾ أى سواد وظلمة ﴿أولئك﴾ اشارة الى أصحاب تلك الوجوه ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى سوء الحال أى أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغيره ﴿هم الكفرة الفجرة﴾ الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى الى سوادوجوههم الغبرة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة و وجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير

(مكية وآيها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا الشمس كورت﴾ أى لفت من كورت العمامة اذا لففتها على أن المراد بذلك اما رفعها وازالتها من مقرها فان الثوب اذا أريد رفعه يلف لفا و يطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى السماء واما لف ضوئها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الأقطار على أنه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم أو ألقيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا ألقاه على الأرض وعن أبى صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها ادخالها فى العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء ﴿واذا النجوم انكدرت﴾ أى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط فى الأرض وعنه رضى الله عنه أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بأيدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت من أيديهم وقيل انكدارها انطماس نورها و يروى أن الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿واذا الجبال سيرت﴾ أى عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لا فى الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية ﴿واذا العشار﴾ جمع عشراء وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهى أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم ﴿عطلت﴾ تركت مهملة لاشتغال أهلها بأنفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف ﴿واذا الوحوش حشرت﴾ أى جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شىء حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد ﴿واذا البحار سجرت﴾ أى أحميت أوملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت

بالتخفيف ﴿واذا النفوس زوجت﴾ أى قرنت باجسادها أو قرنت كل نفس بشكلها أو بكتابها أو بعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين ﴿واذا الموءودة﴾ أى المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن قيل كان الرجل منهم اذا ولدت له بنت ألبسها جبة من صوف أو شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها و يهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته ﴿سئلت بأى ذنب قتلت﴾ توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين وقرئ سألت أى خاصمت أو سألت الله تعالى أو قاتلها وانما قيل قتلت لما أن الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك و بالتشديد أيضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية ﴿واذا الصحف نشرت﴾ أى صحف الأعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب . عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت أى فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الأعمال ﴿واذا السماء كشطت﴾ قلعت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشىء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور ﴿واذا الجحيم سعرت﴾ أى أوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى آدم وقرئ سعرت بالتخفيف ﴿واذا الجنة أزلفت﴾ أى قربت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا أى فيما بين النفختين وهن من أول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الآخرة أى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ جواب اذا على أن المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما فى سباقها وسباق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم فى كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا أنه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه و بعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر و بحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الأعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيآت معينة حتى ان الذنوب والمعاصى تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه الصلاة والسلام فى حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك ألا يرى أن العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة و بالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان وأيا ما كان فاسناد احضارها الى النفس مع أنها تحضر بأمر الله تعالى كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس

ماعملت من خير محضرا الآية لأنها لما عملتها فى الدنيا فكأنها أحضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ أنها تشاهدها على ماهى عليه فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لأن الطاعات لاتخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ماكانت تشاهدها عليه هنا لأنها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أولبعض منها للايذان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لايكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل أحد ولوجىء بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى أن تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء الذى أشير الى بعض بدائع شئونه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ماقيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين وبقول من قال

قد أترك القرن مصفرا أنامله

وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندى وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادى فى تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ماعنده فضلا أن يتزيد فمن لوائح النظر الجليل الا أن الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الأمثلة مما يقبل الافراط والتمادى فيه فانه فى الاول كثيرا مايود وفى الثانى كثيرا ماأترك وفى الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ماذكر من التمادى فى التكثير حسبما فصل أما فيما نحن فيه فالكلام الذى عكس عنه علمت كل نفس ماأحضرت كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادى فيه وانما الذى يمكن فيه من المبالغة ماذكرناه فتأمل ويجوز أن يكون ذلك للاشعار بأنه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ماأحضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة أن تكون هى تلك التى علمت ماأحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على مافعلت وربما ندم الانسان على مافعل فانك لاتقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لامتيقن به أونادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمرا يرجى فيه الندم أوقلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعى الوجود كثير الوقوع ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ أى الكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ماعدا النيرين من الدرارى الخمسة وهى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى وصفت بقوله تعالى ﴿الجوار الكنس﴾ لأنها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو البيت الذى يتخذه من أغصان الشجر وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها ﴿والليل اذا عسعس﴾ أى أدبر ظلامه أو أقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر وعليه قول العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل هى لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه أوفق لقوله تعالى ﴿والصبح اذا تنفس﴾ لأنه أول النهار وقيل ادباره أقرب من تنفس الصبح ومعناه أن الصبح اذا أقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح ﴿انه﴾ أى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى الهائلة ﴿لقول رسول كريم﴾ هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عزوجل ﴿ذى قوة﴾ شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة فى أداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من أول الخلق الى آخر زمان التكليف ﴿عند ذى العرش مكين﴾ ذى مكانة رفيعة عند الله تعالى عندية اكرام وتشريف لاعندية مكان ﴿مطاع﴾ فيما بين ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه ﴿ثم أمين﴾ على الوحى وثم ظرف

لما قبله وقيل لما بعده وقرىء ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الأوصاف ﴿وماصاحبكم﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿بمجنون﴾ كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خبرا وعلمهم بنزاهته عليه السلام عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه عليهما السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة فى حقه عليه الصلاة والسلام انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لاتعداد فضائلهما والموازنة بينهما ﴿ولقد رآه﴾ أى وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام ﴿بالأفق المبين﴾ بمطلع الشمس الأعلى ﴿وماهو﴾ أى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿على الغيب﴾ على مايخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب ﴿بضنين﴾ أى ببخيل لايبخل بالوحى ولا يقصر فى التبليغ والتعليم وقرىء بظنين أى بمتهم من الظنة وهى التهمة ﴿وماهو بقول شيطان رجيم﴾ أى قول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر ﴿فأين تذهبون﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر القرآن والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها من ظهور أنه وحى مبين وليس مما يقولون فى شىء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب ﴿ان هو﴾ ماهو ﴿الا ذكر للعالمين﴾ موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى ﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ﴿أن يستقيم﴾ مفعول شاء أى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير ﴿وماتشاؤن﴾ أى الاستقامة مشيئة مستتبعة لها فى وقت من الاوقات ﴿الا أن يشاء الله﴾ أى الا وقت أن يشاء الله تعالى تلك المشيئة أى المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لاتستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها ﴿رب العالمين﴾ مالك الخلق ومربيهم أجمعين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت

(مكية وآيها تسع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا السماء انفطرت﴾ أى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا والكلام فى ارتفاع السماء كما مر فى ارتفاع الشمس ﴿واذا الكواكب انتثرت﴾ أى تساقطت متفرقة ﴿واذا البحار فجرت﴾ فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالأجاج وزال مابينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحداً وروى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رضى الله عنه وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرىء فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل أيضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لايبغيان ﴿واذا القبور بعثرت﴾ أى قلب ترابها وأخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى ﴿علمت نفس ماقدمت وأخرت﴾ جواب اذا لكن لاعلى أنها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من أن المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لاأزمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل مافى حيزها من الدواهى والكلام فيه كالذى مر تفصيله فى نظيره ومعنى ماقدم وأخر ما أسلف من عمل خير أو شر وأخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس أيضا

ماقدم من معصية وأخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ماقدم من أمواله لنفسه وما أخر لورثته وقيل ماقدم من فرض وأخر من فرض وقيل أول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر مرارا ﴿ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم﴾ أى أى شىء خدعك وجرأك على عصيانه وقد علمت مابين يديك من الدواهى التامة والعراقيل الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة أعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له أفعل ماشئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ماحملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى ﴿الذى خلقك فسواك فعدلك﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت أو صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرىء فعدلك بالتشديد أى صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه ﴿فى أى صورة ماشاء ركبك﴾ أى ركبك فى أى صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة أى ركبك فى أى صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ماقبلها لانها بيان لعدلك ﴿كلا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى ﴿بل تكذبون بالدين﴾ اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لاترتدعون عن ذلك بل تجترئون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا أو بدين الاسلام الذى هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كأنه قيل انكم لاتستقيمون على ماتوجبه نعمى عليكم وارشادى لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما تقولون من أنه لابعث ولا نشور ثم قيل أنتم لاتتبينون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى ﴿وان عليكم لحافظين﴾ حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق مايكذبون به أى تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم من قبلنا لحافظين لأعمالكم ﴿كراما﴾ لدينا ﴿كاتبين﴾ لها ﴿يعلمون ماتفعلون﴾ من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفى تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وأنه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ﴿ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم﴾ استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفى تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل مالا يخفى وقوله تعالى ﴿يصلونها﴾ أما صفة لجحيم أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من تهويلها كأنه قيل ماحالهم فيها فقيل يقاسون حرها ﴿يوم الدين﴾ يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به ﴿وماهم عنها بغائبين﴾ طرفة عين فان المراد دوام نفى الغيبة لانفى دوام الغيبة لما مر مرارا من أن الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفى لانفى الاستمرار باعتبار ماتفيده من الدوام والثبات بعد النفى لاقبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها فى قبورهم حسبما قال النبى عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقوله تعالى ﴿وما أدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين﴾ تفخيم لشأن يوم الدين الذى يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أى صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو أطم من ذلك وأعظم أى وأى شىء جعلك داريا مايوم الدين على أن ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأى سيبويه لما مر من أن مدار

الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب فى أن مناط افادة الهول والفخامة هنا هو ما لا يوم الدين أى أى شىء عجيب هو فى الهول والفظاعة لما مر غير مرة أن كلمة ماقد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ماز يد فيقال فى الجواب كاتب أو طبيب وفى اظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى ﴿يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾ بيان اجمالى لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل مافى القرآن من قوله تعالى ماأدراك فقد أدراه وكل مافيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لايملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه الصلاة والسلام الى معرفته اذكر يوم لاتملك نفس الخ فانه يدريك ماهو وقيل باضمار يدانون وليس بذاك فانه عار عن افادة مايفيده ماقبله كما أن ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء وبعدد كل قبر حسنة والله تعالى أعلم

سورة المطففين

(مختلف فيها وآيها ست وثلاثون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ويل للمطففين﴾ قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقيل وقيل وأياما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء والتطفيف البخس فى الكيل والوزن لأن مايبخس شىء طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بأبى جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى ﴿الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم والدعاء بالويل أى اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للاشارة الى أنه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر فى حيز الشرط الذى يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الوافر حسبما أرادوا بأى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه وأما ماقيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شىء بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم يقتضى أن يكون معنى الاستيفاء أخذ مالهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق فى معرض الحق فلا يكون مدارا لذمهم والدعاء عليهم

وحمل مالهم عليهم على معنى ماسيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لايجدى نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان أو ما لا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من أن من وعلى تعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز أن تكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وأنت خبير بأن القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور أيضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الافراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب فى أن الاستيفاء الذى هو عبارة عن الاخذ الوافى مما لا يتصور أن يكون على أنفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على أن الحديث واقع فى الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز فى قوله تعالى ﴿واذا كالوهم أو وزنوهم﴾ للناس أى اذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه ﴿يخسرون﴾ أى ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره فحذف الجار وأوصل الفعل كما فى قوله ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا أى جنيت لك وجعل البارز تأكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن فى صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال فى صورة الاستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون فى الصورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم فى الأخذ والاعطاء لا فى خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون﴾ استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه وأولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم فان الاشارة الى الشىء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه وأما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بأنهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم فى الشرارة والفساد أى ألا يظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل أنهم مبعوثون ﴿ليوم عظيم﴾ لايقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا متاخما للشك والوهم لايكاد يتجاسر على أمثال هاتيك القبائح فكيف بمن تيقنه وقوله تعالى ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ أى لحكمه وقضائه منصوب باضمار أعنى وقيل بمبعوثون أو مرفوع المحل خبراً لمبتدا مضمر أو مجرور بدلا من يوم عظيم مبنى على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفى هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم فى التطفيف وأمثاله مالا يخفى ﴿كلا﴾ ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ﴿ان كتاب الفجار لفى سجين﴾ الخ تعليل للردع أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم وأصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم أو لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أى ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين وقوله تعالى ﴿وما أدراك ماسجين﴾ تهويل لامره أى هو بحيث لايبلغه دراية أحد وقوله تعالى ﴿كتاب مرقوم﴾ أى مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لاخير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ﴿ويل يومئذ

للمكذبين﴾ متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ اما مجرور على أنه صفة ذامة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو منصوب على الذم ﴿وما يكذب به الا كل معتد﴾ أى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء ﴿أثيم﴾ أى منهمك فى الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها ﴿اذا تتلى عليه آياتنا﴾ الناطقة بذلك ﴿قال﴾ من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه ﴿أساطير الأولين﴾ أى هى حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدى الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر ابن الحرث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرىء اذا يتلى بتذكير الفعل وقرىء أاذا تتلى على الاستفهام الانكارى ﴿كلا﴾ ردع للمعتدى الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ بيان لما أدى بهم الى التفوه بتلك العظيمة أى ليس فى آياتنا ما يصح أن يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدأ فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم أى رسخ فيه وقرىء بادغام اللام فى الراء ﴿كلا﴾ ردع وزجر عن الكسب الرائن ﴿انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقتادة وابن أبى مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ﴿ثم انهم لصالوا الجحيم﴾ أى داخلو النار وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ﴿ثم يقال﴾ لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية ﴿هذا الذى كنتم به تكذبون﴾ فذوقوا عذابه ﴿كلا﴾ ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى ﴿ان كتاب الأبرار لفى عليين﴾ استئناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمى بذلك اما لانه سبب الارتقاع الى أعالى الدرجات فى الجنة واما لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام فى قوله تعالى ﴿وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم﴾ كما مر فى نظيره وقوله تعالى ﴿يشهده المقربون﴾ صفة أخرى لكتاب أى يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة ﴿ان الأبرار لفى نعيم﴾ شروع فى بيان محاسن أحوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر فى شأن الفجار ﴿على الأرائك﴾ أى على الأسرة فى الحجال ولا يكاد تطلق الأريكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة ﴿ينظرون﴾ أى الى ما شاؤا مد أعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما أولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى أعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الادراك ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾ أى بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للايذان بأن مالهم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية راء دون راء ﴿يسقون من رحيق﴾ شراب خالص لاغش فيه ﴿مختوم ختامه مسك﴾ أى مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك أى مقطعه رائحة مسك وقرىء خاتمه بفتح التاء وكسرها أى ما يختم به ويقطع ﴿وفى ذلك﴾ اشارة الى الرحيق وهو الأنسب لما بعده أو الى ماذكر من أحوالهم وما فيه من معنى البعد أما للاشعار بعلو مرتبته وبعد

منزله أو لكونه فى الجنة أى فى ذلك خاصة دون غيره ﴿فليتنافس المتنافسون﴾ أى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون وأصل التنافس التغالب فى الشئ النفيس وأصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشئ أنفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وقال البغوى وأصله من الشئ النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن به ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته أى مايمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على أن من بيانية أو تبعيضية أو من نفسه على أنها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لأنها أرفع شراب فى الجنة واما لأنها تأتيهم من فوق. روى أنها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى أوانيهم ﴿عينا﴾ نصب على الاختصاص وجواز أن يكون حالا من تسنيم مع كونه جامداً لاتصافه بقوله تعالى ﴿يشرب بها المقربون﴾ فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة فالباء مزيدة أو بمعنى من وقوله تعالى ﴿ان الذين أجرموا﴾ الخ حكاية لبعض قبائح مشركى قريش جئ بها تمهيداً لذكر بعض أحوال الابرار فى الجنة ﴿كانوا﴾ فى الدنيا ﴿من الذين آمنوا يضحكون﴾ أى يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة مافعلوا أى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى أفى الله شك أو لمراعاة الفواصل ﴿واذا مروا﴾ أى فقراء المؤمنين ﴿بهم﴾ أى بالمشركين وهم فى أنديتهم وهو الأظهر وان جاز العكس أيضا ﴿يتغامزون﴾ أى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم ﴿واذا انقلبوا﴾ من مجالسهم ﴿الى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين أشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين ﴿واذا رأوهم﴾ أينما كانوا ﴿قالوا ان هؤلاء لضالون﴾ أى نسبوا المسلمين بمن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد ﴿وما أرسلوا عليهم﴾ على المسلمين ﴿حافظين﴾ حال من واو قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بأن ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما فى قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما فى قولك حلف لأفعلن ﴿فاليوم الذين آمنوا﴾ أى المعهودون من الفقراء ﴿من الكفار﴾ أى من المعهودين وهو الأظهر وان أمكن التعميم من الجانبين ﴿يضحكون﴾ حين يرونهم أذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة أى فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا وقوله تعالى ﴿على الأرائك ينظرون﴾ حال من فاعل يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ فانه صريح فى أن ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا فلابد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام فى الثاء . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

سورة الانشقاق

(مكية وآيها خمس وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا السماء انشقت﴾ أى بالغمام كما فى قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله تعالى عنه تنشق من المجرة ﴿وأذنت لربها﴾ أى واستمعت أى انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى أتينا طائعين فى الانباء عن كون ما نسب الى السماء والأرض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما أشير اليه فيما سلف ﴿وحقت﴾ أى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد أن لم تكن كذلك بل فى نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهى حقيقة بذلك لكن لا على أن المراد خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور فحق الجملة أن تكون اعتراضا مقرراً لما قبلها لا معطوفة عليه ﴿واذا الأرض مدت﴾ أى بسطت بازالة جبالها وآكامها من مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا أو زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى أمده أى زاده ﴿وألقت ما فيها﴾ أى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها ﴿وتخلت﴾ وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كأنها تكلفت فى ذلك أقصى جهدها ﴿وأذنت لربها﴾ فى الالقاء والتخلى ﴿وحقت﴾ أى وهى حقيقة بذلك أى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعا فى الوقت الممتد الذى هو مدلولها قد مر سره فيما مر ﴿يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا﴾ أى جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الأحوال التى مثلت باللقاء مبالغ فى ذلك فان الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ﴿فملاقيه﴾ أى فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ الخ قيل جواب اذا كما فى قوله تعالى فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا أيها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبارة عن بيانه أو للتعويل على دلالة ما مر فى سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا أيها الانسان الخ تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا أيها الانسان الخ باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضى الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه ﴿وينقلب الى أهله مسرورا﴾ أى عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى أهله فى الجنة من الحور والغلمان ﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره﴾ أى يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره ﴿فسوف يدعو ثبوراً﴾ أى يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه ياثبوراه تعال فانه أوانك وأنى له ذلك ﴿ويصلى سعيرا﴾ أى يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما فى قوله تعالى ونصليه جهنم ﴿انه كان فى أهله﴾ فيما بين أهله وعشيرته فى الدنيا ﴿مسرورا﴾ مترفا بطرا مستبشرا كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم أمور

الآخرة ولا يتفكرون فى العواقب ولم يكن حزينا متفكرا فى حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ماقبلها وقوله تعالى ﴿انه ظن أن لن يحور﴾ تعليل لسروره فى الدنيا أى ظن أن لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وأن مخففة من أن سادة مع مافى حيزها مسد مفعولى الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف ﴿بلى﴾ ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ﴿ان ربه كان به بصيرا﴾ تحقيق وتعليل له أى بلى ليحورن البتة ان ربه الذى خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلابد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان فى أبى سلمة بن عبد الأشد وأخيه الأسود ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ هى الحمرة التى تشاهد فى أفق المغرب بعد الغروب أو البياض الذى يليها سمى به لرقته ومنه الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب ﴿والليل وما وسق﴾ وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق أى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه من الدواب وغيرها ﴿والقمر اذا اتسق﴾ أى اجتمع وتم بدرا ليلة أربع عشرة ﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾ أى لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لأختها فى الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو الأوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت ومابعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لأفراده كالقراءة الأولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء أى ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقا أى طبقا مجاوزا لطبق أو حال من الضمير فى لتركبن أى لتركبن طبقا مجاوزين أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة والفاء فى قوله تعالى ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾ لترتيب مابعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهوالها الموجبة للايمان والسجود أى اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين أى أى شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى ﴿واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها أى فأى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبى عليه الصلاة والسلام ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى المفصل سجدة وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد أن رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس رضى الله عنه صليت خلف أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هى غير واجبة ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ بما يضمرون فى قلوبهم ويجمعون فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علما فعليا ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان أريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ أى غير مقطوع أو ممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سـورة البروج

(مكية وآيها ثنتان وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والسماء ذات البروج﴾ هى البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور ﴿واليوم الموعود﴾ أى يوم القيامة ﴿وشاهد ومشهود﴾ أى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف أى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو للمبالغة فى الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالى وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل كما فى قول من قال

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال

وقيل تقديره لقد قتل وأيا ما كان فالجملة خبرية والأظهر أنها دعائية دالة على الجواب كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أنهم أى كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من الايمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والأخدود الخد فى الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة أسدا فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفى من الأدواء وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد فى أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعى ولا تنافقى ماهى الا غميضة فصبرت قيل أخرج الغلام من قبره فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن على رضى الله عنه أن بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب

بالناس فتقول ان الله قد أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله قد حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له
ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالأخاديد وايقاد النار وطرح من
أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه
السلام فدعاهم فأجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودى بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفا فى
الأخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا ﴿النار﴾ بدل اشتمال من الأخدود
﴿ذات الوقود﴾ وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة مايوجبه من الحطب وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم
وقوله تعالى ﴿اذ هم عليها قعود﴾ ظرف لقتل أى لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها فى مكان مشرف عليها من حافات
الأخدود كما فى قوله وبات على النار الندى والمحلق ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ أى يشهد بعضهم لبعض
عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم
وأيديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع مايفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا
هو الذى يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روى أن الجبابرة لما ألقوا المؤمنين فى النار وهم
قعود حولها علقت بهم النار فأحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن أنس
والواحدى وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق ﴿وما نقموا منهم﴾ أى ما أنكروا منهم وماعابوا ﴿الا
أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسيان الأحبة والوطن

ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى ﴿الذى له ملك
السموات والأرض﴾ للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى ﴿والله على كل شئ شهيد﴾ وعدلهم ووعيد شديد
لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الأشياء التى من جملتها أعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتما ﴿ان
الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ أى محنوهم فى دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما أصحاب الاخدود خاصة
وبالمفتونين المطروحون فى الاخدود واما الذين بلوهم فى ذلك بالأذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون فى جملتهم
دخولا أوليا ﴿ثم لم يتوبوا﴾ أى عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة فى الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا
وقوله تعالى ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ جملة وقعت خبرا لان أو الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الأحسن
والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا ضير فى نسخه بان وان خالف الأخفش والمعنى لهم فى الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم
﴿ولهم عذاب الحريق﴾ وهى نار أخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ على الاطلاق
من المفتونين وغيرهم ﴿لهم﴾ بسبب ماذكر من الايمان والعمل الصالح ﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ ان أريد
بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر
فان أشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ﴿ذلك﴾ اشارة اما الى الجنات الموصوفة
والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذى يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض
لذات المشار اليه من حيث اتصافه بأوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير فاذا أشير الى الجنات من حيث
ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى مايفيده قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها
لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا وأياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته فى الفضل والشرف

ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك المذكور العظيم الشأن ﴿الفوز الكبير﴾ الذى يصغر عنده الدنيا وما
فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر أطلق على المفعول مبالغة
وعلى الثانى مصدر على حاله ﴿ان بطش ربك لشديد﴾ استئناف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم ايذانا بأن لكفار
قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام
والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه اياهم بالعذاب
والانتقام كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة أن أخذه أليم شديد ﴿انه هو يبدئ ويعيد﴾
أى هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لأحد فى شئ منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه أو هو يبدئ البطش
بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة ﴿وهو الغفور﴾ لمن تاب وآمن ﴿الودود﴾ المحب لمن أطاع ﴿ذو العرش﴾
خالقه وقيل المراد بالعرش الملك أى ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذى العرش على أنه صفة ربك ﴿المجيد﴾
العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على أنه صفة لربك أو للعرش ومجده
علوه وعظمته ﴿فعال لما يريد﴾ بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره وهو خبر مبتدأ
محذوف وقوله تعالى ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة
وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه الصلاة والسلام بالاشعار بأنه سيصيب قومه ما أصاب الجنود ﴿فرعون وثمود﴾
بدل من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ماصدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وماحل بهم
من العذاب والنكال والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت مافعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشئون الله تعالى وأنذرهم أن
يصيبهم مثل ماأصاب أمثالهم وقوله تعالى ﴿بل الذين كفروا فى تكذيب﴾ اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم
أشد منهم فى الكفر والطغيان كأنه قيل ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم أشد منهم فى استحقاق العذاب واستيجاب العقاب
فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الكريم أو قيل ليست جنايتهم بمجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من
حديثهم بل هم مع ذلك فى تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق
به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة ﴿والله من ورائهم محيط﴾ تمثيل لعدم نجاتهم
من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق
للحق أى ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد
بالاضافة أى قرآن رب مجيد ﴿فى لوح محفوظ﴾ أى من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على
أنه صفة قرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء أى مافوق السماء السابعة الذى فيه اللوح . عن النبى صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسنات

سـورة الطارق

(مكية وآيها سبع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والسماء والطارق﴾ الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى وأصل الطرق
الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع فى كل ماظهر بالليل كائنا

ما كان ثم أشبع فى التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال

طرق الخيال ولا كليلة مدلج   سدكا بأرجلنا ولم يتبرج

والمراد ههنا الكوكب البادى بالليل اما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما الطارق﴾ تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على أن رفعة قدره بحيث لاينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فالاولى مبتدأ وأدراك خبر والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبما بين فى نظائره أى وأى شىء أعلمك ما الطارق وقوله تعالى ﴿النجم الثاقب﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كأنه قيل ما هو فقيل النجم المضىء فى الغاية كأنه يثقب الظلام أو الأفلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لامحالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم فى السماء السابعة لايسكنها غيره فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفى ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى أن ذلك الوصف غير كاشف عن كنه أمره وأن ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه واجلال محله مالا يخفى وقوله تعالى ﴿ان كل نفس لما عليها حافظ﴾ جواب للقسم ومابينهما اعتراض جىء به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا أى ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما فى قوله تعالى وكان الله على كل شىء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرىء لما مخففه على أن ان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة وما مزيدة أى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ والفاء فى قوله تعالى ﴿فلينظر الانسان مم خلق﴾ للتنبيه على أنما بين من أن كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل مايصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان أن يتفكر فى مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له أن من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملى على حافظه مايرديه وقوله تعالى ﴿خلق من ماء دافق﴾ استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين فى الرحم كما ينبىء عنه قوله تعالى ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ أى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ أعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويورث الافراط فى الجماع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما أقرب الى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرىء الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هى صالب ﴿انه﴾ الضمير للخالق تعالى فان قوله خلق يدل عليه أى ان ذلك الذى خلقه ابتداء مما ذكر ﴿على رجعه﴾ أى على اعادته بعد موته ﴿لقادر﴾ لبين القدرة ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أى يتعرف ويتصفح ماأسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال ويميز بين ماطاب منها وماخبث وهو ظرف لرجعه ﴿فماله﴾ أى للانسان ﴿من قوة﴾ فى نفسه يمتنع بها ﴿ولاناصر﴾ ينتصر به ﴿والسماء ذات الرجع﴾ أى المطر سمى رجعا لما أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب

يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه أوبا أو لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا ﴿والأرض ذات الصدع﴾ هو ماتتصدع عنه الارض من النبات أو مصدر من المبنى للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى أنهما فى أنفسهما من شواهده وهو السر فى التعبير بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواقع من التنزيل لافى تشققها بالعيون ﴿انه﴾ أى القرآن الذى من جملته ماتلى من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده ﴿لقول فصل﴾ أى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كأنه نفس الفصل ﴿وما هو بالهزل﴾ ليس فى شىء منه شائبة هزل بل كله جد محض لاهوادة فيه فمن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة ﴿انهم﴾ أى أهل مكة ﴿يكيدون﴾ فى ابطال أمره واطفاء نوره ﴿كيدا﴾ حسبما تفى به قدرتهم ﴿وأكيد كيدا﴾ أى أقابلهم بكيد متين لايمكن رده حيث أستدرجهم من حيث لايعلمون ﴿فمهل الكافرين﴾ أى لاتشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك أو لا تستعجل به والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدى لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى ﴿أمهلهم﴾ بدل من مهل وقوله تعالى ﴿رويدا﴾ اما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف أى أمهلهم امهالا رويدا أى قريبا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أوقليلا كما قاله قتادة قال أبو عبيدة هو فى الاصل تصغير رود بالضم وأنشد كأنها ثمل تمشى على رود أى على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر أرود بالترخيم وله فى الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا أى متمهلين وفى ايراد البدل بصيغة لاتحتمل التكثير وتقييده برويدا على أحد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه مالا يخفى . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات والله أعلم

سورة الأعلى

(مكية وآيها تسع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ اى نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لاعلى وجه الاعظام والاجلال والأعلى اماصفة للرب وهو الأظهر أو للاسم وقرىء سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت ﴿الذى خلق فسوى﴾ صفة أخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أى خلق كل شىء فسوى خلقه بأن جعل له مابه يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى ﴿والذى قدر﴾ اماصفة أخرى للرب كالموصول الاول أومعطوف عليه وكذا حال مابعده قدر أجناس الاشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها ﴿فهدى﴾ أى فوجه كل واحد منها الى مايصدر عنه وينبغى له طبعا أواختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولوتتبعت أحوال النباتات

والحيوانات لرأيت كل منها ماتحار فيه العقول يروى أن الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها و بين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل ويروى أن التمساح لايكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله له طائرا قدر غذاؤه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل مافيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا وأما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لاسيما من حيث الانسانية فمما لايحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير ﴿والذى أخرج المرعى﴾ أى أنبت مايرعاه الدواب غضا طريا يرف ﴿فجعله﴾ بعد ذلك ﴿غثاء أحوى﴾ أى دريناً أسود وقيل أحوى حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما أوحى الله اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء أى سنقرئك مانوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ والاتقان مع أنك أمى لاتدرى ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية أخرى لك مع مافى تضاعيف ماتقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهى والألف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله تعالى فأضلونا السبيلا وقوله تعالى ﴿الا ماشاء الله﴾ استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى لاتنسى مما تقرؤه شيئاً من الاشياء الا ماشاء الله أن تنساه أبدا بأن نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان فى الجملة على القلة والندرة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال عليه الصلاة والسلام نسيتها وقيل نفى النسيان رأسا فان القلة قد تستعمل فى النفى فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفى رأسا الا ماقد ينسى ثم يذكر ﴿انه يعلم الجهر وما يخفى﴾ تعليل لما قبله أى يعلم ماظهر وما بطن من الامور التى من جملتها ما أوحى اليك فينسى مايشاء انساءه ويبقى محفوظا مايشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ﴿ونيسرك لليسرى﴾ عطف على نقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام مع أن الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى ويسر لى أمرى للايذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها كما فى قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره كما تفصح عنه الفاء فى قوله تعالى ﴿فذكر ان نفعت الذكرى﴾ أى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى مافى تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت تفعله لابعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز فى الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم

الا كفرا وعنادا فأمر عليه الصلاة والسلام بان يخص التذكير بمواد النفع فى الجملة بأن يكون من يذكره كلا أو بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه فى تذكير من لايورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى أنه مما لايكون والاول أنسب لقوله تعالى ﴿سيذكر من يخشى﴾ أى سيتذكر بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق خشيته أو من يخشى الله تعالى فى الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر فى أمر ماتذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما فى قوله تعالى وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين أى اذ كنتم وقيل هى بمعنى ما أى فذكر ما نفعت الذكرى فانها لاتخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجانى والزهراوى ﴿ويتجنبها﴾ أى الذكرى ﴿الأشقى﴾ من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن أبى ربيعة ﴿الذى يصلى النار الكبرى﴾ أى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ﴿ثم لايموت فيها﴾ حتى يستريح ﴿ولايحيى﴾ حياة تنفعه وثم للتراخى فى مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة أفظع من الصلى ﴿قد أفلح﴾ أى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه ﴿من تزكى﴾ أى تطهر من الكفر والمعاصى بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره ﴿وذكر اسم ربه﴾ بقلبه ولسانه ﴿فصلى﴾ أقام الصلوات الخمس كقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى أو كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى أى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه أى كبره يوم العيد فصلى أى صلاته ﴿بل تؤثرون الحيوة الدنيا﴾ اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما فى قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية أو للكل فالمراد بايثارها ماهو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الانسان غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة وتشديد العتاب فى حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير فى نفسها لما أن نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ﴿ان هذا﴾ اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد أفلح من تزكى وقيل الى ما فى السورة جميعا ﴿لفى الصحف الأولى﴾ أى ثابت فيها معناه ﴿صحف ابراهيم وموسى﴾ بدل من الصحف الاولى وفى ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى. روى أن جميع ما أنزل الله عز وجل من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل والزبور والفرقان. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى

و محمد عليهم السلام

سـورة الغاشية

(مكية وآيها ست وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ قيل هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل أتى على الانسان الآية قال قطرب أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام أريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بأنه من الاحاديث البديعة التى حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس فى تلقيها الوعاة من كل حاضر و باد والغاشية الداهية الشديدة التى تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهى القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هى النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل الجنة أيضا وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ الى قوله تعالى مبثوثة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقى كأنه قيل من جهته عليه الصلاة والسلام ما أتانى حديثها فما هو فقيل وجوه يومئذ أى يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن أتاه عليه الصلاة والسلام حديثها فأخبره عليه الصلاة والسلام عنها فقال وجوه الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها فى موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى ﴿عاملة ناصبة﴾ خبران آخران لوجوه اذ المراد بها أصحابها أى تعمل أعمالا شاقة تتعب فيها وهى جر السلاسل والاغلال والخوض فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلال النار ووهادها وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها فهى يومئذ فى نصب منها وقيل عملت ونصبت فى أعمال لا تجدى عليها فى الآخرة وقوله تعالى ﴿تصلى﴾ أى تدخل ﴿نارا حامية﴾ أى متناهية فى الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة أن الصفة حقها أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب فى أن صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب أمور متساوية فى الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز أن يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل أحوالها ﴿تسقى من عين آنية﴾ أى متناهية فى الحر كما فى قوله تعالى وبين حميم آن ﴿ليس لهم طعام الا من ضريع﴾ بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين لآخرين ﴿لا يسمن ولا يغنى من جوع﴾ أى ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شىء يضطرون الى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعدادا للشبع والسمن الا أنه لا يفيدهم شيئا منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى

أحشائهم الى ادخال شىء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب وأما أن يكون لهم شوق الى مطعوم ما أو التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه فى بطونهم الى شىء مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة به فى الجملة وهو المعنى بما روى أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى أكل الضريع فاذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أى لا يغنى من جوع ما وتأخير نفى الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفى الاسمان ضرورة استلزام نفى الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفى وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ شروع فى رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية حال أهل النار لانه أدخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكى حسنا وبهجة والكلام فى اعراب الجملة كالذى مر فى نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة ﴿لسعيها راضية﴾ أى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته ﴿فى جنة عالية﴾ مرتفعة المحل أو علية المقدار ﴿لا تسمع﴾ أى أنت أو الوجوه ﴿فيها لاغية﴾ لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو فان كلام أهل الجنة كله أذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية ﴿فيها عين جارية﴾ أى عيون كثيرة تجرى مياهها كقوله تعالى علمت نفس ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ رفيعة السمك أو المقدار ﴿وأكواب﴾ جمع كوب وهو اناء لا عروة له ﴿موضوعة﴾ أى بين أيديهم ﴿ونمارق﴾ وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم ﴿مصفوفة﴾ بعضها الى بعض ﴿وزرابى﴾ أى بسط فاخرة جمع زربية ﴿مبثوثة﴾ أى مبسوطة ﴿أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت﴾ استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على أنها بدل اشتمال من الابل أى أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التى هى نصب أعينهم يستعملونها كل حين الى أنها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيأتها اللائقة بتأتى ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة كالنوء بالأوقار الثقيلة وجر الأثقال الفادحة الى الأقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى ان أظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك للانسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير ﴿والى السماء﴾ التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار ﴿كيف رفعت﴾ رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك ﴿والى الجبال﴾ التى ينزلون فى أقطارها وينتفعون بمياهها وأشجارها ﴿كيف نصبت﴾ نصبا رصينا فهى راسخة لا تميل ولا تميد ﴿والى الأرض﴾ التى يضربون فيها ويتقلبون عليها ﴿كيف سطحت﴾ سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئت الأفعال الأربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من

الانكار والنفور و يسمعوا انذارك و يستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء فى قوله تعالى ﴿فذكر﴾ لترتيب الأمر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر أى فاقتصر على التذكير و لاتلح عليهم و لايهمنك أنهم لا ينظرون و لايتذكرون وقوله تعالى ﴿انما أنت مذكر﴾ تعليل للأمر وقوله تعالى ﴿لست عليهم بمصيطر﴾ تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار أى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الأصل و بالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هى لغة بنى تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى ﴿الا من تولى و كفر﴾ استثناء منقطع أى لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ الذى هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر أى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض و يعضد الأول أنه قرئ ألا على التنبيه وقوله تعالى ﴿ان الينا ايابهم﴾ تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر أى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على أنه فيعال مصدر فيعل من الاياب أو فعال من أوب كفسار من فسر ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم قلبت الواو ياء فأدغمت الياء الأولى فى الثانية ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران وفى تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الأولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب فى الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية يحاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر

(مكية وآيها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والفجر﴾ أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلاته ﴿وليال عشر﴾ هن عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو العشر الأواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الأيام ﴿والشفع والوتر﴾ أى الأشياء كلها شفعها و وترها أو شفع هذه الليالى و وترها وقد روى أن النبى عليه الصلاة والسلام فسرهما بيوم النحر و يوم عرفة ولقد كثرت فيهما الأقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح فى العدد و بالكسر فى الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو و كسر التاء ﴿والليل اذا يسر﴾ أى يمضى كقوله تعالى والليل اذ أدبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة و وفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام أى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ باثباتها على الاطلاق و بحذفها فى الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق ﴿هل فى ذلك قسم﴾ الخ تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند أرباب العقول وتنبيه على أن الاقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الأمور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه أو الى الاقسام بها وأيا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار

اليه و بعد منزلته فى الشرف والفضل أى هل فيما ذكر من الأشياء قسم أى مقسم به ﴿لذى حجر﴾ يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا و تعظيما والمراد تحقيق أن الكل كذلك وانما أوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الأمر أو هل فى اقسامى بتلك الأشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به و يفعل مثله و يؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لأنه يحجر صاحبه أى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لأنه يعقل و ينهى وحصاة أيضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ الخ فانه استشهاد بعلمه عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه من تعذيب عاد وأضرابهم المشاركين لقومه عليه الصلاة والسلام فى الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه الآية وقوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون كأنه قيل ألم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب هؤلاء أيضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمى بنو هاشم هاشما وقد قيل لأوائلهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد فى القرآن خبر عاد الأولى الا ما فى سورة الأحقاف وقوله تعالى ﴿إرم﴾ عطف بيان لعاد للايذان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أى سبط ارم أو أهل ارم على ما قيل من أن ارم اسم بلدتهم أو أرضهم التى كانوا فيها و يؤيده القراءة بالاضافة وأيا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرئ إرم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ﴿ذات العماد﴾ صفة لارم أى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالأعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا أو ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد أو ذات البناء الرفيع أو ذات الأساطين على أن ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم أى بعاد أهل أعلام ذات العماد على أنها اسم بلدتهم وقرئ أرم ذات العماد أى جعلها الله تعالى رميما بدل من فعل ربك وقيل هى جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة و روى أنه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة و بلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ﴿التى لم يخلق مثلها فى البلاد﴾ صفة أخرى لارم أى لم يخلق مثلهم فى عظم الأجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها و يلقيها على الحى فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى ﴿وثمود﴾ عطف على عاد وهى قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخى جديس وهما ابنا عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد ﴿الذين جابوا الصخر بالواد﴾ أى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾ وصف بذلك لكثرة

جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم أو لتعذيبه بالاوتاد ﴿الذين طغوا فى البلاد﴾ اما مجرور على أنه صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم أى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم وكذا الكلام فى قوله تعالى ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ أى بالكفر وسائر المعاصى ﴿فصب عليهم ربك﴾ أى أنزل انزالا شديدا على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب مافعلته من الطغيان والفساد ﴿سوط عذاب﴾ أى عذاب شديد لايدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التى شرحت فى سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى أن ذلك بالنسبة الى ماأعدلهم فى الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مائع أو جار مجراه فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة و كثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع أنه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب وقيل السوط خلط الشئ بعضه ببعض فالمعنى ماخلط لهم من أنواع العذاب وقد فسر بالنصيب و بالشدة أيضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ فى تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما فى المعنى الأول فان كل واحد من هذه المعانى مما يقبل الاستمرار فى نفسه وقوله تعالى ﴿ان ربك لبالمرصاد﴾ تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عليه الصلاة والسلام سيصيبهم مثل ماأصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وقيل هو جواب القسم ومابينهما اعتراض والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وأنهم لايفوتونه وقوله تعالى ﴿فأما الانسان﴾ الخ متصل بما قبله كأنه قيل انه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيرا وشرا فأما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا ولذائذها ﴿اذا ما ابتلاه ربه﴾ أى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء فى قوله تعالى ﴿فأكرمه ونعمه﴾ تفسيرية فان الاكرام والتنعيم من الابتلاء ﴿فيقول ربى أكرمن﴾ أى فضلنى بما أعطانى من المال والجاه حسبما كنت استحقه ولايخطر بباله أنه فضل تفضل به عليه ليبلوه أيشكر أم يكفر وهو خبر للمبتدا الذى هو الانسان والفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الانسان فيقول ربى أكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من أول الأمر بأن الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى ﴿وأما اذا ما ابتلاه﴾ أى وأما هو اذا ما ابتلاه ربه ﴿فقدر عليه رزقه﴾ حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ﴿فيقول ربى أهانن﴾ ولايخطر بباله أن ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع مع أنه ليس من الاهانة فى شئ بل التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ أكرمنى وأهاننى باثبات الياء وأكرمن وأهانن بسكون النون فى الوقف ﴿كلا﴾ ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها فى كلتا الحالتين قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى لم أبتله بالغنى لكرامته على ولم أبتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الأخير بعيد وقوله تعالى ﴿بل لاتكرمون اليتيم﴾ انتقال من بيان سوء أقواله الى بيان سوء أفعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديداً للتقريع وتأكيداً للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس أى بل لكم أحوال أشد شرا مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون مايلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لايكرمون ﴿ولاتحاضون﴾ بحذف احدى التاءين من تتحاضون أى لايحض بعضكم بعضا ﴿على طعام المسكين﴾ أى على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء ﴿وتأكلون

التراث﴾ أى الميراث وأصله وراث ﴿أكلا لما﴾ أى ذالم أى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لايورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ماجمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك ﴿وتحبون المال حبا جما﴾ كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء ﴿كلا﴾ ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى ﴿اذا دكت الارض دكا دكا﴾ الخ استئناف جئ به بطريق الوعيد تعليلا للردع أى اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ماعلى وجهها من جبال وأبنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شئ حتى صارت كالصخرة الملساء وأياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية ﴿وجاء ربك﴾ أى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيبته وسياسته وقيل جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل ﴿والملك صفا صفا﴾ أى مصطفين أو ذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس ﴿وجئ يومئذ بجهنم﴾ كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا ﴿يومئذ﴾ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى ﴿يتذكر الانسان﴾ أى يتذكر مافرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الأعمال تتجسم فى النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة أو يتعظ وقوله تعالى ﴿وأنى له الذكرى﴾ اعتراض جئ به لتحقيق أنه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه فى أوانه وأنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أى ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أى وأنى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة فى دار التكليف مما لاوجه له على أن تذكره ليس من التوبة فى شئ فانه عالم بأنها انما تكون فى الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿يقول ياليتنى قدمت لحياتى﴾ وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول ياليتنى عملت لاجل حياتى هذه أو وقت حياتى فى الدنيا أعمالا صالحة أنتفع بها اليوم وليس فى هذا التمنى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذى يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة وأما أن ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا وأما ماقيل من أن المحجور قد يتمنى أن كان ممكنا منه فربما يوهم أن من صرف قدرته الى أحد طرفى الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته الى أى طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة ﴿فيومئذ﴾ أى يوم اذ يكون ماذكر من الأحوال والأقوال ﴿لايعذب عذابه أحد ولايوثق وثاقه أحد﴾ الهاء لله تعالى أى لايتولى عذاب الله تعالى ووثاقه أحد سواه اذ الأمر كله له أو للانسان أى لايعذب أحد من الزبانية مثل مايعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان أيضا وقيل المراد به أبى بن خلف أى لايعذب أحد مثل عذابه ولايوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه فى الكفر والعناد وقيل لايحمل عذاب الانسان أحد كقوله تعالى ولاتزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى ﴿ياأيتها النفس المطمئنة﴾ حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لأنها تترقى فى معارج الأسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغنى به فى وجودها وسائر شئونها عن غيره بالكلية وقيل هى النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث

لا يخالجها شك ما وقيل هى الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده أنه قرئ يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة أى يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الأظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ﴿ارجعى الى ربك﴾ أى الى موعده أو الى أمره ﴿راضية﴾ بما أوتيت من النعيم المقيم ﴿مرضية﴾ عند الله عز وجل ﴿فادخلى فى عبادى﴾ فى زمرة عبادى الصالحين المختصين بى ﴿وادخلى جنتى﴾ معهم أو انتظمى فى سلك المقربين واستضيئى بأنوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلى أجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلى فى عبدى وقرئ فى جسد عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى حبيب بن عدى رضى الله عنهما والظاهر العموم . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد

(مكية وآيها عشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على أن الانسان خلق مغمورا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ اما لتشريفه عليه الصلاة والسلام بجعل حلوله به مناطا لاعظامه بالاقسام به أو للتنبيه من أول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه فى هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك أو لتسليته عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحه على معنى وأنت حل به فى المستقبل كما فى قوله تعالى انك ميت وأنهم ميتون تصنع فيه ماتريد من القتل والأسر وقد كان كذلك حيث أحل له عليه الصلاة والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل عليه الصلاة والسلام فيها ماشاء وحرم ماشاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلى ولن تحل لأحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام الا الاذخر ﴿ووالد﴾ عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تعالى ﴿وما ولد﴾ اسمعيل والنبى صلوات الله عليهم أجمعين حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم الصلاة والسلام والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والدوا يرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى أنه متحقق فى حالتى الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو أنسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا أن التفخيم المستفاد من كلمة مالا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل وكل والد وولده ﴿لقد خلقنا الانسان فى كبد﴾ أى تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسى فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وماوراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده وأصله كبده اذا أصاب كبده ثم اتسع فيه

حتى استعمل فى كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير فى قوله تعالى ﴿أيحسب﴾ لبعضهم الذى كان عليه الصلاة والسلام يكابد منهم مايكابد كالوليد بن المغيرة وأضرابه وقيل هو أبو الاشد بن كلدة الجمحى وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظى فيقوم عليه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا ولا تزل قدماه أى أيظن هذا القوى المارد المتضعف للمؤمنين ﴿أن لن يقدر عليه أحد﴾ أن مخففة من أن واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف أى أيحسب أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد ﴿يقول أهلكت مالا لبدا﴾ يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يبصر بهما ﴿ولسانا﴾ يترجم به عن ضمائره ﴿وشفتين﴾ يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها ﴿وهديناه النجدين﴾ أى طريق الخير والشر أو الثديين وأصل النجد المكان المرتفع ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ أى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التى هى الطريق فى الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ أى أى شئ أعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة ﴿فك رقبة﴾ أى هو اعتاق رقبة ﴿أو اطعام فى يوم ذى مسغبة﴾ أى مجاعة ﴿يتيما ذا مقربة﴾ أى قرابة ﴿أو مسكينا ذا متربة﴾ أى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور حسن دخول لا على الماضى فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به ﴿وتواصوا بالصبر﴾ عطف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمته من الخيرات ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد درجتهم فى الشرف والفضل أى أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة ﴿أصحاب الميمنة﴾ أى اليمين أو اليمن ﴿والذين كفروا بآياتنا﴾ بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن ﴿هم أصحاب المشأمة﴾ أى الشمال أو الشؤم ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ مطبقة من آصدت الباب اذا أطبقته وأغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من أوصدته . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامه

سورة والشمس

(مكية وآيها خمس عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والشمس وضحاها﴾ أى ضوئها اذا أشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف ﴿والقمر اذا تلاها﴾ بأن طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها فى الاستدارة وكمال النور ﴿والنهار اذا جلاها﴾ أى جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التى تبسطه أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها ﴿والليل اذا يغشاها﴾ أى الشمس فيغطى

ضوؤها أو الآفاق أو الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا فى قولك أقسم بالله حقفن أن يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا ﴿والسماء ومابناها﴾ أى ومن بناها وايثار ماعلى من لارادة الوصفية تفخيما كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذى بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام فى قوله تعالى ﴿والأرض وما طحاها﴾ أى بسطها من كل جانب كدحاها ﴿ونفس وما سواها﴾ أى انشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام أو للتكثير وهو الأنسب للجواب ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ أى أفهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح ومايؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل ﴿قد أفلح من زكاها﴾ أى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد فى قوله تعالى ﴿وقد خاب من دساها﴾ لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به أيضا أصالة أى خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب ماحذف تعويلا على دلالة قوله تعالى ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ عليه كأنه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الأول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية أى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجراءته على الله تعالى أو صلة للتكذيب أى كذبت بما أوعدت به من العذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو أيضا مصدر كالرجعى ﴿اذ انبعث أشقاها﴾ منصوب بكذبت أو بالطغوى أى حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان أفعل التفضيل اذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل فى الرضا به ﴿فقال لهم﴾ أى لثمود ﴿رسول الله﴾ أى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان وهو السر فى اضافة الناقة الى الله تعالى فى قوله تعالى ﴿ناقة الله﴾ أى ذروا ناقة الله ﴿وسقياها﴾ ولا تذودوها عنها فى نوبتها ﴿فكذبوه﴾ أى فى وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وقد جوز أن يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقياها ﴿فعقروها﴾ أى الأشقى والجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس ﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمدمة اذا ألبسها الشحم ﴿بذنبهم﴾ بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب ﴿فسواها﴾ أى الدمدمة بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالارض أو سواها فى الهلاك ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أى عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقى بعض الابقاء وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شأنه الخوف والواو للحال أو للاستئناف وقرئ فلا يخاف وقرئ ولم يخف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل

(مكية وآيها احدى وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والليل اذا يغشى﴾ أى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه ﴿والنهار اذا تجلى﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس ﴿وماخلق الذكر والانثى﴾ أى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل ماله توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذى خلق الذكر والانثى وقيل مامصدرية ﴿ان سعيكم لشتى﴾ جواب القسم وشتى جمع شتيت أى ان مساعيكم لأشتات مختلفة وقوله تعالى ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ الخ تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين لأحكامها أى فأما من أعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى التى نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهى الايمان أو بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة ﴿فسنيسره لليسرى﴾ فسنهيئه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا أسرجها وألجمها ﴿وأما من بخل﴾ أى بماله فلم يبذله فى سبيل الخير ﴿واستغنى﴾ أى زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة ﴿وكذب بالحسنى﴾ أى ماذكر من المعانى المتلازمة ﴿فسنيسره للعسرى﴾ أى للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختيارهما ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع أن كلا منهما أدنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بأن كلا منهما أصل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الأول باعطاء الطاعة والثانى بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى ﴿ومايغنى عنه﴾ أى ولا يغنى أو أى شئ يغنى عنه ﴿ماله﴾ الذى يبخل به ﴿اذا تردى﴾ أى هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك أو تردى فى الحفرة اذا قبر أو تردى فى قعر جهنم ﴿ان علينا للهدى﴾ استئناف مقرر لما قبله أى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى ومايؤدى اليه من طريق الضلال وما يؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين أن الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا ﴿وان لنا للآخرة والاولى﴾ أى التصرف الكلى فيهما كيفما نشاء فنفعل فيهما مانشاء من الأفعال التى من جملتها ماوعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل مافى الدنيا والآخرة فلا يضرنا تركم الاهتداء بهدانا ﴿فأنذرتكم نارا تلظى﴾ بحذف احدى التاءين من تتلظى أى تتلهب وقرئ على الأصل ﴿لا يصلاها﴾ صليا لازما ﴿الا الأشقى﴾ الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى ﴿الذى كذب وتولى﴾ أى كذب بالحق وأعرض عن الطاعة ﴿وسيجنبها﴾ أى سيبعد عنها ﴿الأتقى﴾ المبالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها أو صليها الابدى وأما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق ﴿الذى يؤتى ماله﴾ يعطيه ويصرفه فى وجوه البر والحسنات وقوله تعالى ﴿يتزكى﴾ اما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لا محل له أو فى حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتى أى يطلب أن يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾

استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكى خالصا لوجه الله تعالى أى ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء مايؤتى مجازاتها وقوله تعالى ﴿الا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولا له لأن المعنى لايؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة والآيات نزلت فى حق أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالأشقى أبو جهل أو أمية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد فمر به النبي عليه الصلاة والسلام فقال أحد يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال لأبى بكر رضى الله عنه ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عليه الصلاة والسلام فانصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ماأعتقه أبو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى ﴿ولسوف يرضى﴾ جواب قسم مضمر أى وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع مايبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها اذ به يتحقق الرضا وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سـورة والضحى

(مكية وآيها احدى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والضحى﴾ هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لأنها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد به النهار كما فى قوله تعالى أن يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا ﴿والليل﴾ أى جنس الليل ﴿اذا سجى﴾ أى سكن أهله أو ركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت أمواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ﴿ماودعك ربك﴾ جواب القسم أى ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف أى ماتركك ﴿وماقلى﴾ أى وماأبغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل أو للقصد الى نفى صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع أن فيه مراعاة للفواصل . روى أن الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف أو لزجره سائلا ملحا فقال المشركون أن محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه الصلاة والسلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وحيث تضمن ماسبق من نفى التوديع والقلى أنه تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا بشره عليه الصلاة والسلام بأن ماسيؤتيه فى الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل ﴿وللآخرة خير لك من الاولى﴾ لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وماأوتى عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وان كان مما لايعادله شرف ولايدانيه فضل لكنه لايخلو فى الدنيا من بعض العوارض القادحة فى تمشية الأحكام مع أنه عند ماأعد له عليه الصلاة والسلام فى الآخرة من السبق والتقدم على كافة الأنبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من

الكرامات السنية التى لاتحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أى لنهاية أمرك خير من بدايته لاتزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الأمر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة فى عصره عليه الصلاة والسلام وفى أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله تعالى وقد أنبأ ابن عباس رضى الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه الصلاة والسلام فى الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك الخ لا للقسم لأنها لاتدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كائن لامحالة وان تراخى لحكمة وقيل هى للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احداهما أن يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسأعطيك والثانية أن يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقال أبو على الفارسى ليست هذه اللام هى التى فى قولك ان زيدا لقائم بل هى التى فى قولك لأقومن ونابت سوف عن احدى نونى التأكيد فكأنه قيل وليعطينك وكذلك اللام فى قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى ﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾ تعديد لما أفاض عليه عليه الصلاة والسلام من أول أمره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفى وتقرير المنفى على أبلغ وجه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله . روى أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك أيواؤه وقرئ فأوى وهو اما من أواه بمعنى آواه أو من أوى له اذا رحمه وقوله تعالى ﴿ووجدك ضالا﴾ عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما أشير اليه أو على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه كأنه قيل أما وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع التى لاتهتدى اليها العقول كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ماالكتاب وقيل ضل فى صباه فى بعض شعاب مكة فرده أبو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادى من السماء يامعشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لايخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي عليه الصلاة والسلام قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل أضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب . يروى أن ابليس أخذ بزمام ناقته فى ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الهند ورده الى القافلة ﴿فهدى﴾ فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية فى تضاعيف ماأوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك مالم تكن تعلم أو أزال ضلالك عن جدك أو عمك ﴿ووجدك عائلا﴾ أى فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما ﴿فأغنى﴾ فأغناك بمال خديجة أو بمال حصل لك من ربح التجارة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه الصلاة والسلام جعل رزقى تحت ظل رمحى وقيل قنعك وأغنى قلبك ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لاتحتقر وقرئ فلا تكهر أى فلا تعبس فى وجهه ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل يريد الآخرة يجىء الى باب

أحدكم فيقول أتبعثون الى أهليكم بشئ وقيل المراد بالسائل ههنا الذى يسأل عن الدين ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ بشكرها واشاعتها واظهار آثارها وأحكامها أريد بها ما أفاضه الله تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من فنون النعم التى من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله تعالى وهداك وأغناك فهما يكن من شئ فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك فى هذه الثلاث واقتد بالله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الأمر هدايته عليه الصلاة والسلام للضلال وتعليمه للشرائع والأحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة ألم نشرح

(مكية وآيها ثمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ لما كان الصدر محلا لأحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الأنسية أى ألم نفسحه حتى حوى عالمى الغيب والشهادة وجمع بين ملكتى الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شئون الحق وقيل أريد به ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر أو أنموذج جسمانى مما سيظهر له عليه الصلاة والسلام من الكمال الروحانى والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكارى عن انتفائه للايذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من أول الأمر بأن الشرح من منافعه عليه الصلاة والسلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة فى قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ عطف على ما أشير اليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما أن فى وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب أطراف النظم الكريم أى حططنا عنك عبأك الثقيل ﴿الذى أنقض ظهرك﴾ أى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعى الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه الصلاة والسلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم احاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع أو من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بعنوان النبوة وأحكامها أى رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله والكلام فى العطف وزيادة لك كالذى سلف وقوله تعالى ﴿فان مع العسر يسرا﴾ تقرير لما قبله ووعد

كريم بتيسير كل عسير له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفى كلمته مع اشعار بغاية سرعة مجئ اليسر كأنه مقارن للعسر ﴿ان مع العسر يسرا﴾ تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتان للصائم فرحة أى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا أعيد يكون الثانى عين الأول سواء كان معهودا أو جنسا وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثانى فرد مغاير لما أريد بالاول ﴿فاذا فرغت﴾ أى من التبليغ وقيل من الغزو ﴿فانصب﴾ فاجتهد فى العبادة واتعب شكرا لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك ﴿والى ربك﴾ وحده ﴿فارغب﴾ بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره وقرئ فرغب أى فرغب الناس الى طلب ما عنده . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى

سورة والتين

(مكية وقيل مدنية وآيها ثمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والتين والزيتون﴾ هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما فى المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبو ذر رضى الله عنه أنه أهدى للنبى عليه الصلاة والسلام سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن على بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله فى بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هى الشجرة المباركة المشهود لها فى التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكى وسواك الانبياء قبلى وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طورتينا وطورزيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبرى وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس رضى الله عنهما التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الأول قال ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعى وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والكلبى ﴿وطور سينين﴾ هو الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذى

هو فيـه و لذلك أضيف اليهما وسينون كيرون فى جواز الاعراب بالواو واليـاء والاقرار على اليـاء وتحريك النون بالحركات الاعرابية ﴿وهذا البـلد الأمين﴾ أى الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعـالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه و يجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالآمن فى قوله تعـالى حرما آمنا بمعنى ذى أمن و وجه الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح والتبيين ﴿لقد خلقنا الانسـان﴾ أى جنس الانسـان ﴿فى أحسن تقويم﴾ أى كائنا فى أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث برأه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقـدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هى من أنموذجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن و بنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة فى البدن و لا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيفما شاءت فاذا أرادت فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقيه الى ما فى القلب من الروح الحيوانى الذى هو أعدل الأرواح وأصفاها وأقربها منها وأقواها مناسبة الى عالم المجردات القاء روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما فى الشرايين من الارواح الى الدماغ الذى هو منبت الاعصاب التى فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة و القريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وأفعالها تسنى له أن يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه و يطلع على أنه سبحانه منزه عن كونه داخلا فى العالم أو خارجا عنه يفعل فيـه ما يشاء و يحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيـه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الأرواح والقوى المرتبة فى العالم الانسانى الذى هو نسخه للعالم الأكبر وأنموذج منه وقوله تعالى ﴿ثم رددنا أسفل سافلين﴾ أى جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى أعلى عليين وقيل رددناه الى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وأياما كان فأسفل سافلين اما حال من المفعول أى رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أى رددناه مكانا أسفل سافلين والاول أظهر وقرىء أسفل السافلين وقوله تعالى ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ على الأول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع أى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى ﴿فلهـم أجر غير ممنون﴾ غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم أو غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب فى قوله تعالى ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ للرسول عليه الصلاة والسلام أى فأى شىء يكذبك دلالة أو نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت أى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذه الدلائل والمعنى أن خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فأى شىء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى أن تكون كاذبا بسبب تكذيبه أيها الانسان ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أى أليس الذى فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهى وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه

من العذاب . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والتين أعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين مادام فى دار الدنيا واذا مات أعطاه الله تعالى من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

سـورة العلق

(مكية وآيها تسع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اقرأ﴾ أى ما يوحى اليـك فان الأمر بالقراءة يقتضى المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتما سواء كانت السورة أول ما نزل أولا والأقرب أن هـذا الى قوله تعـالى ما لم يعلم أول ما نزل عليه عليه الصلاة والسلام كما ينطق به حديث الزهرى المشهور وقوله تعـالى ﴿باسم ربك﴾ متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أى اقرأ ملتبسا باسمه تعالى أى مبتدئا به لتتحقق مقارنته لجميع أجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السـلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحى المتواتر و وصف الرب بقوله تعالى ﴿الذى خلق﴾ لتذكير أول النعماء الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى والتنبيه على أن من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العـالم المتكلم أى الذى أنشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل شىء وقوله تعـالى ﴿خلق الانسان﴾ على الأول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو أشرفهم واليـه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الأول أيضا خلق الانسان و يقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعـالى ﴿من علق﴾ أى دم جامد لبيان كمال قدرته تعـالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على أن الانسان فى معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونهما أبعد منه بالنسبة الى الانسانية ولمـا كان خلق الانسان أول النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى وأقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل و كمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعـالى بذلك أولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الأمر بقوله تعالى ﴿اقرأ﴾ أى افعل ما أمرت به تأكيدا للايجاب وتمهيدا لمـا يعقبه من قوله تعـالى ﴿وربك الأكرم﴾ الخ فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عليه السـلام من العذر بقوله عليه السـلام ما أنا بقارىء يريد أن القراءة شأن من يكتب و يقرأ وأنا أمى فقيل له وربك الذى أمرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الأكرم ﴿الذى علم بالقلم﴾ أى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارىء بواسطة الكتابة والقـلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى ﴿علم الانسان ما لم يعلم﴾ بدل اشتمال من علم بالقلم أى علمه به و بدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفى حذف المفعول أولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى و كمال كرمه والاشعار بأنه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى ﴿كلا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه

وان لم يسبق ذكره للمبالغة فى الزجر وقوله تعالى ﴿ان الانسان ليطغى﴾ أى ليجاوز الحد و يستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل فى أبى جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى ﴿أن رآه استغنى﴾ مفعول له أى يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على أن استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم و لذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما فى علمتنى وان جوزه بعضهم فى الرؤية البصرية أيضا وجعل من ذلك قول عائشة رضى الله عنها لقدرأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الاالاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لابنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض للايذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد . روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة و ذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم مافعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ﴿ان الى ربك الرجعى﴾ تهديد للطاغى وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد فى التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه لقصره عليه أى ان الى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث لاالى غيره استقلالا ولا اشترا كافسترى حينئذعاقبة طغيانك وقوله تعالى ﴿أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى﴾ تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية و يقضى منها العجب. روى أن أبا جهل قال فى ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن عنقه فرآه عليه السلام فى الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك قال ان بينى و بينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستعظام النهى وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية وأما مافى قوله تعالى ﴿أرأيت ان كان على الهدى أوأمر بالتقوى﴾ وما فى قوله تعالى ﴿أرأيت ان كذب وتولى﴾ فقلبية معناه أخبرنى فان الرؤية لما كانت سببا للاخبارعن المرئى أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس فى حيز التردد أصلا بل باعتبار أوصافها التى هى كونها أمرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما فى قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول أواسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثانى سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثانى لأرأيت لايكون الاجملة استفهامية أوقسمية والمعنى أخبرنى ذلك الناهى ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده أو مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ أى يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على مافعل وانما أفرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظما فى سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع فى نفس الامر واستتباع الوعيد الذى ينطق به الجواب وأما القسم الاول فأمر مستحيل قد ذكر فى حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر فى تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الاول بمعنى أخبرنى مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثانى الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت فى الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عن عبادة الله تعالى أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده و كذلك ان كان

على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى و يطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى عن الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثانى للكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تعالى أمرا بالتقوى أتنهاه وقيل هو أمية ابن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة ﴿كلا﴾ ردع للناهى اللعين وخسوء له واللام فى قوله تعالى ﴿لئن لم ينته﴾ موطئة للقسم أى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ﴿لنسفعا بالناصية﴾ لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لأسفعن و كتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ بدل من الناصية وانما جاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية و بالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازى وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ماليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ ﴿فليدع ناديه﴾ أى أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون . روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت ﴿سندع الزبانية﴾ ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كأمسى وأصلها زبانى فقل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب وعن النبى عليه السلام لودعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا ﴿كلا﴾ ردع بعد ردع و زجر اثر زجر ﴿لاتطعه﴾ أى دم على ماأنت عليه من معاصاته ﴿واسجد﴾ و واظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به ﴿واقترب﴾ وتقرب بذلك الى ربك و فى الحديث أقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

سـورة القدر

(مختلف فيها وآيها خمس)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿انا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر فى جميع الاذهان و باسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى ﴿وما أدراك ماليلة القدر﴾ لما فيه من الدلالة على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها و لايدريها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ فانه بيان اجمالى لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفى اظهار ليلة القدر فى الموضعين من تأكيد التفخيم مالايخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روى أنه أنزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى عليه السلام نجوما فى ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبى وقيل المعنى أنزلناه فى شأن ليلة القدر وفضلها كما فى قول عمر رضى الله عنه خشيت أن ينزل فى قرآن وقول عائشة رضى الله عنها لأنا أحقر فى نفسى من أن ينزل فى قرآن فالأنسب أن يجعل الضمير

حينئذ للسورة التى هى جزء من القرآن لاللكل واختلفوا فى وقتها فأكثرهم على أنها فى شهر رمضان فى العشر الأواخر فى أوتارها وأكثر الاقوال أنها السابعة منها ولعل السر فى اخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالى الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أولخطرها وشرفها على سائر الليالى وتخصيص الألف بالذكر اما للتكثير أو لما روى أنه عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل أرى النبى عليه السلام أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل فى هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق فى سورة النبأ ماقيل فى شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة أى تتنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من كل سماء الى الارض أو الى السماء الدنيا ﴿باذن ربهم﴾ متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أى ملتبسين باذن ربهم أى بأمره ﴿من كل أمر﴾ أى من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه ﴿سلام هى﴾ أى ماهى الا سلامة أى لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير وأما فى غيرها فيقضى سلامة و بلاء أو ماهى الا سلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أى وقت طلوعه وقرئ بالكسر على أنه مصدر كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أى لمكثهم فى محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر فى الجار . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

سورة لم يكن

(مختلف فيها وآيها ثمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ أى اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة مانسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له فى كتابهم وايراد الصلة فعلا لما أن كفرهم حادث بعد أنبيائهم ﴿والمشركين﴾ أى عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول ﴿منفكين﴾ أى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لاريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون و يقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان و يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ماقلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور فى كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشئ

عن الشئ أن يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم أى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما فى قوله تعالى واتبعوا ماتتلو الشياطين أى تلت وقوله تعالى ﴿رسول﴾ بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايذان بغاية ظهور أمره و كونه ذلك الموعود فى الكتابين وقوله تعالى ﴿من الله﴾ متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى رسول وأى رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى ﴿يتلو﴾ صفة أخرى له أو حال من الضمير فى متعلق الجار ﴿صحفا مطهرة﴾ أى منزهة عن الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه أو من أن يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة مافيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى ﴿فيها كتب قيمة﴾ صفة لصحفا أو حال من ضميرها فى مطهرة و يجوز أن يكون الصفة أو الحال الجار والمجرور فقط و كتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى ﴿وماتفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ الخ كلام مسوق لغاية تشنيع أهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان أن مانسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما فى الأمر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الأعذار بالكلية وهو السر فى وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما فى تضاعيفه من الأحكام والأخبار التى من جملتها نعوت النبى عليه الصلاة والسلام بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأى المذكور فى حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريق أهل الكتاب وايذانا بأن انفكاكهم عن الرأى المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأى آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى ﴿الا من بعد ماجاءتهم البينة﴾ استثناء مفرغ من أعم الاوقات أى وما تفرقوا فى وقت من الاوقات الا من بعد ماجاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود فى كتابهم دلالة جلية لاريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم وقوله تعالى ﴿وما أمروا الا ليعبدوا الله﴾ جملة حالية مفيدة لغاية قبح مافعلوا أى والحال أنهم ماأمروا وانما أمروا فى كتابهم الا لاجل أن يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى أن أى الا بأن يعبدوا الله و يعضده قراءة الا أن يعبدوا الله ﴿مخلصين له الدين﴾ أى جاعلين دينهم خالصا له تعالى أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى فى الدين ﴿حنفاء﴾ مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ﴿و يقيموا الصلوة و يؤتوا الزكوة﴾ ان أريد بهما مافى شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان أريد بهما مافى شريعتنا فمعنى أمرهم بهما فى الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم بجميع أحكامها التى هما من جملتها ﴿وذلك﴾ اشارة الى ماذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته و بعد منزلته ﴿دين القيمة﴾ أى دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من أنهم لا ينفكون عن دينهم الى مبعثه و يعدون أن ينفكوا عنه حينئذ و يتفقوا على الحق وقوله تعالى وماتفرق الذين أوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ماهو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بأن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا أنفك عما أنا فيه حتى أستغنى فيستغنى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن

الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وأنت خبير بأن هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتى على تقدير أن يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بأن يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكأنه قيل وما أجمعوا على دينهم الا من بعد ماجاءتهم البينة وأما على تقدير أن يردا به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا فتأمل ﴿ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم﴾ بيان لحال الفريقين فى الآخرة بعد بيان حالهم فى الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة فى الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة أو أنهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على أن ماهم فيه من الكفر والمعاصى عين النار الا أنها ظهرت فى هذه النشأة بصور عرضية وستخلعها فى النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر فى قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين فى سورة الأعراف ﴿خالدين فيها﴾ حال من المستكن فى الخبر واشتراك الفريقين فى دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافى تفاوت عذابهم فى الكيفية فان جهنم دركات وعذابها ألوان ﴿أولئك﴾ اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم فى الشر أى أولئك البعداء المذكورون ﴿هم شر البرية﴾ شر الخليقة أى أعمالا وهو الموافق لما سيأتى فى حق المؤمنين فيكون فى حيز التعليل لخلودهم فى النار أو شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيداً لفظاعة حالهم وقرىء بالهمز على الأصل ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بيان لمحاسن أحوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنيه من شفع الترهيب بالترغيب ﴿أولئك﴾ المنعوتون بما هو فى الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة ﴿هم خير البرية﴾ وقرىء خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد ﴿جزاؤهم﴾ بمقابلة مالهم من الايمان والطاعة ﴿عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار﴾ ان أريد بالجنات الأشجار الملتفة الأغصان كما هو الظاهر فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وان أريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأياما كان فالمراد جريانها بغير أخدود ﴿خالدين فيها أبدا﴾ متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفى تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون مامنحوه فى مقابلة ماوصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتأبيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم مالا يخفى ﴿رضى الله عنهم﴾ استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ماذكر من أجزية أعمالهم ﴿ورضوا عنه﴾ حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأتيح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ذلك﴾ أى ماذكر من الجزاء والرضوان ﴿لمن خشى ربه﴾ فان الخشية التى هى من خصائص العلماء بشئون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سـورة الزلزلة

(مختلف فيها وآيها تسع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا زلزلت الأرض﴾ أى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا ﴿زلزالها﴾ أى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لاغاية وراءه أو زلزالها العجيب الذى لايقادر قدره أو زلزالها الداخل فى حيز الامكان وقرىء بفتح الزاء وهو اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح أيضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ أى مافى جوفها من الأموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الأرض فى موقع الاضمار لزيادة التقرير أو للايماء الى تبدل الارض غير الأرض أو لأن اخراج الأثقال حال بعض أجزائها ﴿وقال الانسان﴾ أى كل فرد من أفراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة ﴿مالها﴾ زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال وأخرجت مافيها من الأثقال استعظاما لما شاهدوه من الأمر الهائل وقد سيرت الجبال فى الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والأظهر هو الأول على أن المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب ﴿يومئذ﴾ بدل من اذا وقوله تعالى ﴿تحدث أخبارها﴾ عامل فيهما ويجوز أن يكون اذا منتصبا بمضمر أى يوم اذ زلزلت الأرض تحدث الخلق أخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على مالاجله زلزالها وأخراج أثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها وقرىء تنبىء أخبارها وقرىء تنبئ من الانباء ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أى تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها وأمره اياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كأنه قيل تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لأن التحديث يستعمل بالباء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى اليها ﴿يومئذ﴾ أى يوم اذ يقع ماذكر ﴿يصدر الناس﴾ من قبورهم الى موقف الحساب ﴿أشتاتا﴾ متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر فى قوله تعالى فتأتون أفواجا وقيل يصدرون عن الموقف أشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ﴿ليروا أعمالهم﴾ أى أجزية أعمالهم خيرا كان أو شرا وقرىء ليروا بالفتح وقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ تفصيل ليروا وقرىء يره والذرة النملة الصغيرة وقيل مايرى فى شعاع الشمس من الهباء وأياما كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الأولى مختصة بالسعداء والثانية بالأشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا الا أراه الله تعالى اياه أما المؤمن فيغفر له سيئآته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته تحسرا ويعاقبه بسيئآته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله والله أعلم

سورة والعاديات

(مختلف فيها وآيها احدى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والعاديات﴾ أقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو وقوله تعالى ﴿ضبحا﴾ مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها أى تضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند عدوها أو بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كأنه قيل والضابحات أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى ضابحات ﴿فالموريات قدحا﴾ الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أى فالتى تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة ﴿فالمغيرات﴾ أسند الاغارة التى هى مباغتة العدو للنهب أو للقتل أو للاسر اليها وهى حال أهلها ايذانا بأنها العمدة فى اغارتهم ﴿صبحا﴾ أى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو و يهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى ﴿فأثرن به﴾ عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن به أى فهيجن بذلك الوقت ﴿نقعا﴾ أى غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لأنه لا يثور أو لا يظهر ثورانه بالليل و بهذا ظهر أن الايراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرىء فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى الاظهار ﴿فوسطن به﴾ أى توسطن بذلك الوقت أو توسطن ملتبسات بالنقع ﴿جمعا﴾ من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتب مابعد كل منها على ماقبلها كما فى قوله

يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب

فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ﴿ان الانسان لربه لكنود﴾ أى لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض أفراده . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى أناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى وكان أحد النقباء فأبطأ عليه عليه الصلاة والسلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبى عليه الصلاة والسلام بسلامتها و بشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ماهم فيه من الكنود وفى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت و كيت وقد أرجف هؤلاء فى حق أربابها ما أرجفوا أنهم مبالغون فى الكفران ﴿وانه على ذلك﴾ أى وان الانسان على كنوده ﴿لشهيد﴾ يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه ﴿وانه لحب الخير﴾ أى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا ﴿لشديد﴾ أى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل أى انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى أن من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم و يحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى ﴿أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور﴾ الخ تهديد و وعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من فى القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرىء بحثر و بحث و بحثر و بحث على بنائهما للفاعل ﴿وحصل﴾ أى جمع

محصلا أو ميز خيره من شره وقرىء وحصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ﴿مافى الصدور﴾ من الأسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال الجلية ﴿ان ربهم﴾ أى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب فى قوله تعالى وجعل لكم السمع والأبصار الآية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح و بعدمها قبله كما أشير اليه هناك ﴿بهم﴾ بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها ﴿يومئذ﴾ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور ﴿لخبير﴾ أى عالم بظواهر ماعملوا و بواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبىء عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وماسيكون وقوله تعالى بهم و يومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السماك أن ربهم بهم يومئذ خبير . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة

(مكية وآيها عشر)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿القارعة﴾ القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهى القيامة التى مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر فى سورة التكوير سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والاهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتشار والارض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿ماالقارعة﴾ على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولاريب فى أن مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة أى أى شىء عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما القارعة﴾ تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان أدرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت فى موقع المفعول الثانى له والجملة الكبيرة معطوفة على ماقبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدا الاول أى وأى شىء أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين أى هى يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعى كتطاير الفراش الى النار أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هى هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أى تقرع يوم يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ أى

كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف فى تفرق أجزائها وتطايرها فى الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض و يغير هيئاتها و يسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهى وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الأرض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا و لا أمتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات و برزوا لله الوحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام و بروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام فى سورة النمل وقوله تعالى ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ الخ بيان اجمالى لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضى الله عنهما انه ميزان له لسان و كفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل و به قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الأجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التى هى أعراض منقضية وقيل ان الأعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة و بالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان أى فمن ترجحت مقادير حسناته ﴿فهو فى عيشة راضية﴾ أى ذات رضا أو مرضية ﴿وأما من خفت موازينه﴾ بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته ﴿فأمه﴾ أى فمأواه ﴿هاوية﴾ هى من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها و بعد مهواها . روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الأسفل منها وعبر عن المأوى باللام لان أهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبى أن المعنى فأم رأسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى ﴿وما أدراك ماهيه نار حامية﴾ فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهى ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارىء حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد أجيز اثباتها مع الوصل . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة

سـورة التكاثر

(مختلف فيها وآيها ثمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ألهاكم التكاثر﴾ أى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها . روى أن بنى عبدمناف و بنى سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى افنانا فى الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتم بالأحياء ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أى حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى

بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد الى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعى لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرىء أألهاكم على الاستفهام التقريرى ﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغى أن لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة ﴿سوف تعلمون﴾ سوء مغبة ما أنتم عليه اذا عاينتم عاقبته ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثانى أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو فى القبر والثانى عند النشور ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ أى لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم مالا يوصف و لا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى ﴿لترون الجحيم﴾ جواب قسم مضمر أكد به الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد ابهامه تفخيما ﴿ثم لترونها﴾ تكرير للتأكيد أو الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها أو المراد بالاولى المعرفة و بالثانية المشاهدة والمعاينة ﴿عين اليقين﴾ أى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ أى عن النعيم الذى ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب و يلبس اللين و يقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل و لا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية

سـورة والعصر

(مكية وآيها ثلاث)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والعصر﴾ أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشى الذى هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الأعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة ﴿ان الانسان لفى خسر﴾ أى خسران فى متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم فى مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فانهم فى تجارة لن تبور حيث باعوا الفانى الخسيس واشتروا الباقى النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيالها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم وقوله تعالى ﴿وتواصوا بالحق﴾ الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذى لا سبيل الى انكاره و لا زوال فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه و رسله فى كل عقد وعمل ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أى عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها اداؤها أو على ما يبلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجه تحت التواصى بالحق لابراز كمال الاعتناء به أو لأن الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق اليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهرا و باطنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله تعالى له و كان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سـورة الهمزة

(مكية وآيها تسع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ويل﴾ مبتدأ خبره ﴿لكل همزة لمزة﴾ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا فى الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على أن ذلك منه عادة مستمرة قدضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت فى الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعى خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم ﴿الذى جمع مالا﴾ بدل من كل أو منصوب أو مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى ﴿وعدده﴾ وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده أى جمع المال وضبط عدده أو جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الأنصار والأعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أى يعمل عمل من يظن أن ماله يبقيه حيا والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال أمله ومناه الامانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد فى الدنيا وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى الحياة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروى أن الاخنس كان له أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة أو حال من فاعل جمع ﴿كلا﴾ ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى ﴿لينبذن﴾ جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع أى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة ﴿فى الحطمة﴾ أى فى النار التى شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما أن شأنه كسر أعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ لتهويل أمرها ببيان أنها ليست من الأمور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى ﴿نار الله﴾ خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لشأن المسئول عنها أى هى نار الله ﴿الموقدة﴾ بأمر الله عز سلطانه وفى اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل أمرها ما لا مزيد عليه ﴿التى تطلع على الأفئدة﴾ أى تعلو أوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما فى الجسد وأشده تألما بأدنى أذى يمسه أو لأنه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة ﴿انها عليهم مؤصدة﴾ أى مطبقة من أوصدت الباب وآصدته أى أطبقته ﴿فى عمد ممددة﴾ اما حال من الضمير المجرور فى عليهم أى كائنين فى عمد ممددة أى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص أو خبر مبتدا مضمر أى هم فى عمد أو صفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أى كائنة فى عمد ممددة بأن تؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق اللهم أجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عمد بضمتين . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

سـورة الفيل

(مكية وآيها خمس)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية أى ألم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فان ذلك من الارهاصات لما روى أن القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها النبى عليه الصلاة والسلام وتفصيلها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل ألف وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى غيره من الجهات هرول فأرسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل وروى أن أبرهة تساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فى شأنها فلما رآه أبرهة عظم فى عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فنزل أبرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل أجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى حيث جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر لا تكلمنى فيه ألهاك عنه ذود أخذت لك فقال عبد المطلب أنا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع وأتى باب الكعبة فأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هى بنجدية ولا تهامية فأرسل حلقة الباب ثم انطلق مع أصحابه ينتظرون ماذا يفعل أبرهة فأرسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان أبرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن النبى عليه الصلاة والسلام وعن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وقرئ ألم تر بسكون الراء للجد فى اظهار أثر الجازم وقوله تعالى ﴿ألم يجعل كيدهم فى تضليل﴾ الخ بيان اجمالى لما فعله الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كأنه قيل قد جعل كيدهم فى تعطيل الكعبة وتخريبها فى تضييع وابطال بأن دمرهم أشنع تدمير ﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل﴾ أى طوائف وجماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها ﴿ترميهم بحجارة﴾ صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لأن الطير اسم جمع تأنيثه باعتبار

المعنى ﴿من سجيل﴾ من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كأنه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم للديوان الذى يكتب فيه أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقى صفرا منه أو كتبن أكلته الدواب و راثته أشير اليه بأول أحواله . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسخ والله أعلم

سـورة قريش

(مكية وآيها أربع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لايلاف قريش﴾ متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك أصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول و يؤيده أنهما فى مصحف أبى سورة واحدة بلا فصل والمعنى أهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب و يحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن فى رحلتيهم فلا يجترىء عليهم أحد وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون و يتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا ألفته وقرىء لالاف قريش أى لمؤالفتهم وقيل يقال ألفته الفا والافا وقرىء لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد وقوله تعالى ﴿ايلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ بدل من الأول و رحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع أن المراد رحلتى الشتاء والصيف لأمن الالباس وفى اطلاق الايلاف عن المفعول أولا وابدال هذا منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرىء ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرىء رحلة بالضم وهى الجهة التى يرحل اليها ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم﴾ بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من جيرانه ﴿من جوع﴾ شديد كانوا فيه قبلهما وقيل أريد به القحط الذى أكلوا فيه الجيف والعظام ﴿وآمنهم من خوف﴾ عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم فى بلدهم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سـورة الماعون

(مختلف فيها وآيها سبع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أرأيت الذى يكذب بالدين﴾ استفهام أريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه والخطاب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرىء أرأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء فى قوله تعالى ﴿فذلك الذى يدع اليتيم﴾ جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء أو بالاسلام أن لم تعرفه أو ان أردت أن تعرفه فهو الذى يدفع اليتيم دفعا عنيفا و يزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته فى الشر والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فأتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمى وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرىء يدع اليتيم أى يتركه و يجفوه ﴿ولا يحض﴾ أى أهله وغيرهم من الموسرين ﴿على طعام المسكين﴾ واذا كان حال من ترك حث غيره على ماذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء فى قوله تعالى ﴿فويل﴾ الخ اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل اذا كان ماذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل ﴿للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون﴾ غافلون غير مبالين بها ﴿الذين هم يراءون﴾ أى يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها ﴿و يمنعون الماعون﴾ أى الزكاة أو ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق أحق بذلك واما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ماذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح أخر غير ماذكر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكاة مؤديا

سـورة الكوثر

(مكية وآيها ثلاث)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿انا أعطيناك﴾ وقرىء انطيناك ﴿الكوثر﴾ أى الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيرى الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر فى الجنة وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير وروى فى صفته أنه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن الحاوى لخير الدنيا والدين والفاء فى قوله تعالى ﴿فصل لربك﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ماذكر من العطية التى لم يعطها ولن يعطيها أحدا من العالمين مستوجب للمأمور به أى استيجاب أى فدم على الصلاة لربك الذى أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها أداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر ﴿وانحر﴾ البدن التى هى خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم و يمنع عنهم الماعون وعن عطية

هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هى جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو أن يرفع يديه فى التكبير الى نحره هو المروى عن النبى عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبى وأبى الاحوص ﴿ان شانئك﴾ أى مبغضك كائنا من كان ﴿هو الأبتر﴾ الذى لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل و لا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة مالا يندرج تحت البيان وقيل نزلت فى العاص بن وائل وأياما كان فلا ريب فى عموم الحكم. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

سـورة الكافرون

(مكية وآيها ست)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل يأيها الكافرون﴾ هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأتى منهم الايمان أبدا. روى أن رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ أى فيما يستقبل لأن لا لا تدخل غالبا الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أى ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهى ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه أى لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما أنا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة حالا كما أن الأولين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما فى أعبد على من لان المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذى لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ثانيا تأكيد لمثله المذكور أولا وقوله تعالى ﴿لكم دينكم﴾ تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم كما أن قوله تعالى ﴿ولى دين﴾ تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى أن دينكم الذى هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى أيضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به أمانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وأن دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه الى الحصول لكم أيضا لأنكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لآلهتكم أو استلامى اياها ولأن ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز أن يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أى ولى دينى لا دينكم كما هو فى قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى انى نبى مبعوث اليكم لأدعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك فتأمل. عن النبى صلى الله عليه وسلم من

قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر

سـورة النصر

(مدنية وآيها ثلاث)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا جاء نصر الله﴾ أى اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك ﴿والفتح﴾ أى فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجىء سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجىء للايذان بأنهما متوجهان نحوه عليه السلام وأنهما على جناح الوصول اليه عليه السلام عن قريب. روى أنها نزلت قبل الفتح وعليه الأكثر وقيل فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار أن بعض ما فى حيزها أعنى رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبى عليه الصلاة والسلام عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ ولذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ﴿ورأيت الناس﴾ أى أبصرتهم أو علمتهم ﴿يدخلون فى دين الله﴾ أى ملة الاسلام التى لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الأول حال من الناس وعلى الثانى مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى ﴿أفواجا﴾ حال من فاعل يدخلون أى يدخلون فيه جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين. روى أنه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى دين الاسلام أفواجا من غير قتال وقرىء فتح الله والنصر وقرىء يدخلون على البناء للمفعول ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فقل سبحان الله حامدا له أو فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الأولى ظاهر وأما على الثانية فلعله عليه السلام أمر بأن يداوم على ذلك استعظاما لنعمه لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح أو فاذكره مسبحا حامدا زيادة فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له حامدا على نعمه روى أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمان ركعات أو فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على أن صدق وعده أو فأثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام ﴿واستغفره﴾ هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الأولى. عن عائشة رضى الله عنها أنه كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وعنه عليه السلام انى لأستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها النبى عليه الصلاة والسلام على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك

للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل أمر الدين كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم و روى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا و بين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بأنفسنا و آبائنا وأو لادنا وعنه عليه السلام أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسى فبكت فقال لاتبكى فانك أول أهلى لحوقابى وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو أمر بالاستغفار لأمته ﴿أنه كان توابا﴾ منذ خلق المكلفين أى مبالغا فى قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت

(مكية وآيها خمس)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبت﴾ أى هلكت ﴿يدا أبى لهب﴾ هو عبد العزى بن عبد المطلب و ايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبالك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه عليه السلام به ﴿وتب﴾ أى وهلك كله وقيل المراد بالأول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال

جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

و يؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الأول اخبار عن هلاك عمله لأن الأعمال تزاول غالبا بالأيدى والثانى اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثانى اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرىء أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب وقرىء أبى لهب بسكون الهاء ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ أى لم يغن عنه حين حل به التباب على أن ما نافية أو أى شىء أغنى عنه على أنها استفهامية فى معنى الانكار منصوبة بما بعدها أصل ماله وما كسبه من الأرباح والنتائج والمنافع والوجاهة والأتباع أو ماله الموروث من أبيه والذى كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى عليه الصلاة والسلام أو عمله الذى ظن أنه منه على شىء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده و روى أنه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخى حقا فأنا أفتدى منه نفسى بمالى و ولدى فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة أسد فى طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى و كانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما أخبر به القرآن ﴿سيصلى﴾ بفتح الياء وقرىء بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده أى سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل فى الآخرة ﴿نارا ذات لهب﴾ أى نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصا فى أنه لا يؤمن أبدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن أن يكون مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبى عليه الصلاة

والسلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر ﴿وامرأته﴾ عطف على المستكن فى سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان و كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل فى طريق النبى عليه الصلاة والسلام وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشى بالنميمة و يقال لمن يمشى بالنمائم و يفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النار ﴿حمالة الحطب﴾ بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الاضافة غير حقيقية اذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرىء بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرىء حمالة للحطب بالتنوين نصبا و رفعا وقرىء مريته بالتصغير للتحقير ﴿فى جيدها حبل من مسد﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر و المسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من أى ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل وأو بارها والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا بحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك و يتمعض بعلها وهما فى بيت العز والشرف قال مرة الهمدانى كانت أم جميل تأتى كل يوم بابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هى ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه و بين أبى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص

(مختلف فيها وآيها أربع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل هو الله أحد﴾ الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبىء عنه اسمه الذى أصله القصد أطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده و لا حاجة الى الربط لأنها عين الشأن الذى عبر عنه بالضمير والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من أول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من أول الامر الا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما أمامه مما يفسره و يزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة أحد مبدلة من الواو وأصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفى و يراد به العموم كما فى قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وما فى قوله عليه السلام ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤس غيركم فانها أصلية وقال مكى أصل أحد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت احداهما تخفيفا وقال ثعلب ان أحدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد و لذلك اختص به تعالى أو هو لما سئل عنه أى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى أن قريشا قالوا صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف وقرىء هو الله أحد بغير قل وقرىء الله أحد بغير قل هو وقرىء قل هو الواحد وقوله تعالى ﴿الله الصمد﴾ مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى

مفعول من صمد اليه اذا قصده أى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزال وقيل الذى يفعل مايشاء ويحكم مايريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الألوهية وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للاولى بين أولا ألوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة فقيل ﴿لم يلد﴾ تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى أى لم يصدر عنه ولد لانه لايجانسه شىء ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ﴿ولم يولد﴾ أى لم يصدر عن شىء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ماقبله وتحقيقه بالاشارة الى أنهما متلازمان اذ المعهود أن مايلد يولد ومالا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لايلد فهو قريب من عطف لايستقدمون على لايستأخرون كما مر تحقيقه ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ أى لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من أحد وليس بذاك وأما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنى عن البيان وقرىء بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على أشتات المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها ورد فى الحديث النبوى أنها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد أى ماخلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة . وعنه عليه السلام أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل وما وجبت يارسول الله قال وجبت له الجنة

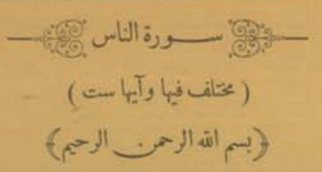
سورة الفلق

(مختلف فيها وآيها خمس)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبىء عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى وأما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ مايخافه كما قيل فلا اذ لاريب للعائذ فى

قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها ﴿من شر ماخلق﴾ أى من شر ماخلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد وأما عالم الأمر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى ﴿ومن شر غاسق﴾ تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى الى الاعاذة أى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى ﴿اذا وقب﴾ أى دخل ظلامه فى كل شىء لان حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأشار الى القمر فقال تعوذى بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لايشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين وقيل هو كل شر يعترى الانسان ووقوبه هجومه ﴿ومن شر النفاثات فى العقد﴾ أى ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرىء النافثات كما قرىء النفثات بغير ألف وتعريفها اما للعهد أو للايذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم أنه كان غلام من اليهود يخدم النبى عليه الصلاة والسلام وكان عنده أسنان من مشطه عليه السلام فأعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الأعصم اليهودى وبناته وهن النافثات فى العقد فدفنها فى بئر اريس فمرض النبى عليه الصلاة والسلام فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل عليه الصلاة والسلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا رضى الله عنهما فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوثة البئر وهى الصخرة التى توضع فى أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كأنما أنشط من عقال فقالوا يارسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام أما أنا فقد عافانى الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شرا قالت عائشة رضى الله عنها ماغضب النبى عليه الصلاة والسلام غضبا ينتقم لنفسه قط الا أن يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها ﴿ومن شر حاسد اذا حسد﴾ أى اذا أظهر مافى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادىء الاضرار بالمحسود قولا أو فعلا والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لاغير . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى



سورة الناس

(مختلف فيها وآيها ست)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل أعوذ﴾ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ﴿برب الناس﴾ أى مالك أمورهم ومربيهم بافاضة مايصلحهم ودفع مايضرهم وقوله تعالى ﴿ملك الناس﴾ عطف بيان جئ به لبيان أن تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى ﴿اله الناس﴾ فانه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياستهم والتولى لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجاداً واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوتيته وألوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية فى ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعى مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لامحالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر فى توفية المقام حقه وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة ﴿من شر الوسواس﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمى بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة ﴿الخناس﴾ الذى عادته أن يخنس أى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه ﴿الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع أو النصب على الذم ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للذى يوسوس على أنه ضربان جنى وانسى كما قال عز وجل شياطين الانس والجن أو متعلق بيوسوس أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وقد جوز أن يكون بيانا للناس على أنه يطلق على الجن أيضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد بالناس الناسى ويجعل سقوط الياء كسقوطها فى قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الامن تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره

خاتمة المؤلف

قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم ياولى العصمة والارشاد وهادى الغواة الى سنن الرشاد بارئ البرية مالك الرقاب عليك توكلى واليك متاب أنت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل مخوف ألوذ بحرمك المأمون من غوائل ريب المنون وألتجئ الى حرزك الحريز وآوى الى ركنك العزيز وأسألك من خزائن برك المخزون فى مكامن سرك المكنون خير ماجرى به قلم التكوين من أمور الدنيا والدين وأعوذ بك من فنون الفتن والشرور لاسيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فأعذنى بحمايتك وأعنى بعنايتك وأفض على من شوارق الأنوار الربانية وبوارق الآثار السبحانية مايخلصنى من العوائق الظلمانية ويجردنى من العلائق الجسمانية وهذب نفسى الأبية من دنس الطبائع والاخلاق ونور قلبى القاسى بلوامع الاشراق ليستعد للعبور على سرائر الأنس ويتهيأ للحضور فى حظائر القدس وثبتنى على مناهج الحق والهدى وأرشدنى الى مسالك البر والتقى واجعل أعز مرامى ابتغاء رضاك وأشرف أيامى يوم لقاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرنى مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق طائفة من المتقين لتفسير كتابه المجيد وأطلعهم على لطائف أسراره لجاءوا فى كشف أستاره بكل قول سديد والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بهر الفصحاء بعباراته الساحرة وسحر البلغاء بمحاسن أساليبه الباهرة وعلى آله الذين أوردهم مناهل فضله فأرواهم وأصحابه الذين تقدموا بفضل محبته على من سواهم

﴿أما بعد﴾ فان نفائس الكنوز لا تحصل فى يد كل قاصد كما أن أقمار دائرة المشترى لا تتبين الا لكل حاذق راصد وان منظار العقول الى ادراك فضائل الرجال هو ما يظهر على أيديهم من فضائل الأعمال

هذا وقد فاق أولئك السادة العاملين وتقدم على جملة أرباب النباهة الكاملين حضرة ذلك الشريف الحسينى العلوى المتحلى بكل خلق جميل نبوى السيد محمد محمد عبد اللطيف الخطيب فانه قد جاء فى أعماله بالعجيب وما فوق العجيب

ومما بذل فى تصحيحه غاية المجهود وأتمه فكان عنوانا على اتصافه بتلك الفضائل الجمة طبع التفسير المسمى بارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ألا وهو تفسير قاضى القضاة العلامة أبى السعود المحيط بأسرار المعانى الذى أنسانا ببلاغته ذكر الشيخ عبد القاهر الجرجانى ومن ذكر معه السكاكى فقد أخطأ وما عرف وبرهن على أنه لم يدر التفاوت فى مراتب الشرف

ولعمرى ان هذا التفسير لأحق التفاسير بالمطالعة وأولاها بتكرار النظر فيه وكثرة المراجعة فجزى الله حضرة السيد أحسن الجزاء على ما أبداه ووفقه للمثابرة على خدمة الشرع الشريف وحفظه وأبقاه

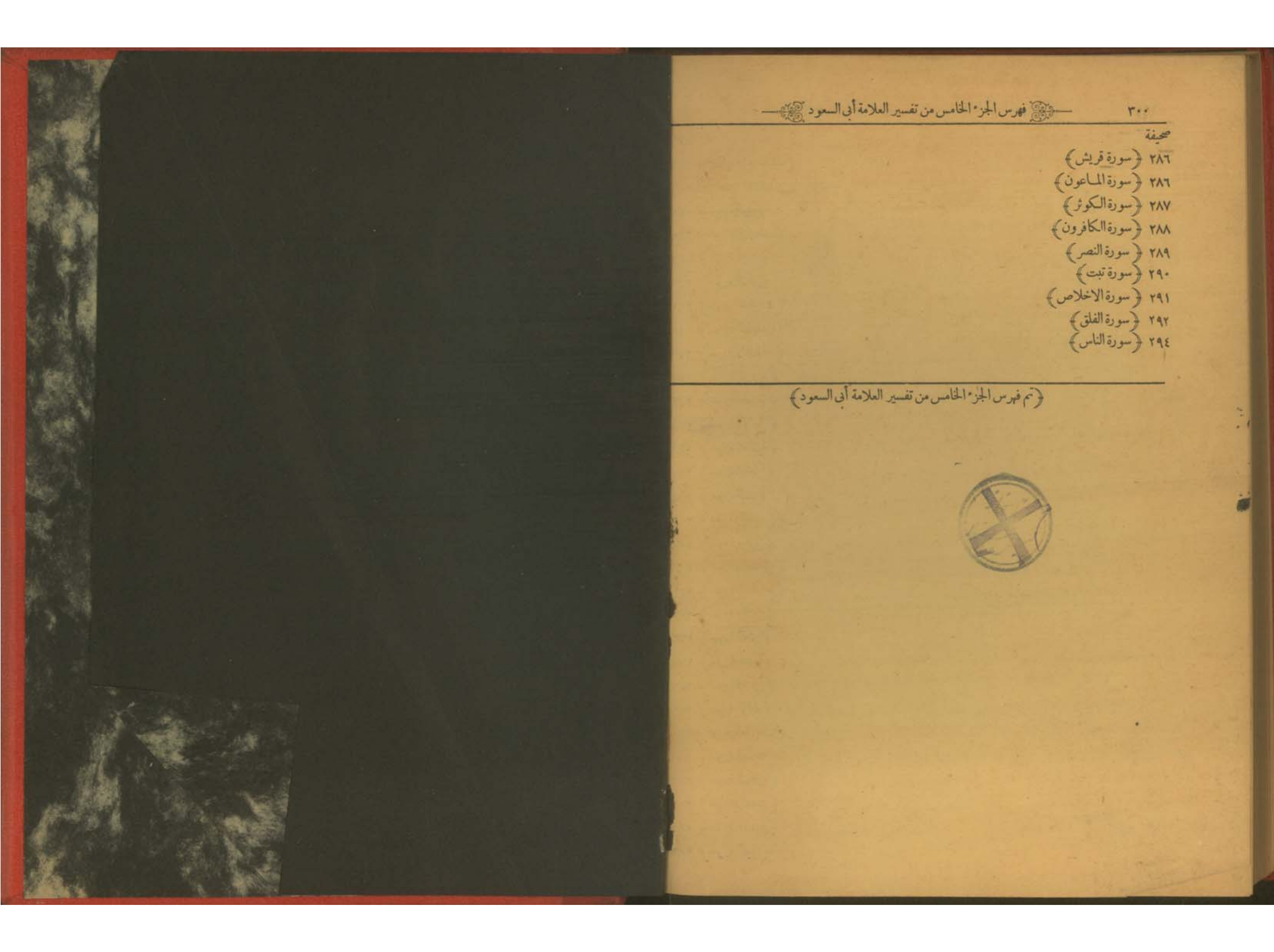
القاهرة فى يوم الخميس	١١ صفر سنة ١٣٤٨ هـ ١٨ يوليه سنة ١٩٢٩ م	حسن محمد المسعودى المدرس بالقسم العالى للازهر



صحيفة

صحيفة

صحيفة



صحيفة

﴿تم فهرس الجزء الخامس من تفسير العلامة أبي السعود﴾

